كتاب في علم الاخلاق عدد ١٧

لاحمد بن مسكويه

I

٢٨١٨

2818

بر نسخه‌سی دخی ١٩٥٧ نومروده‌در

م

متن الإشارات كتاب احمد بن محمد مسكويه
في الاخلاق
كتاب في علم الاخلاق

وجدت مكتوبا على حاشية شرح الاشارات على قول الشيخ وهو قريب من ان يعلم الشهرة
انه امكان ... بنزاه ماهذه صورته ١
والعوضة ... وقريب من الوجدان انه انما يحصل
فمن انعكاس ... منكسا وهو اولى الافهام
على التعيين ... فهو منكسا - وهو المطلوب

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

العلة الغائية ما لاجله وجود الشيء وهي اما
في المبدعات او في المحدثات والفاعل والغاية
في المبدعات شيء واحد في الوجود واما علة
ان الواحد لذاته لذاته لا يفعل لاجل شيء
غير ذاته فيكون الفاعل والغاية شيئا واحدا
واما في المحدثات فالغاية حينئذ غير الوجود
المعلول لكانت من الغايات التي تكون بالعقل
وانما ايضا
كالموت المترتب على الذبح

٢٨١٨

Mikrofilm Arşiv
No 3607

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا
شرعيا حرره الفقير احمد شيخ زاده المفتش
باوقاف الحرمين الشريفين
عفي عنهما

وقف ... احمد

بسم الله الرحمن الرحيم رب تمم بالخير

اللهم انا نتوجه اليك ونسعى بحولك ونجاهد نفوسنا في طاعتك
ونركب الصراط المستقيم الذي يجنبنا لنا الى مرضاتك فاعنا بقوتك
واهدنا بعزتك واعصمنا بقدرتك ووفقنا بطاعتك انك ولي ذلك وصلى
على خير نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الخيرة من جميع خلقك
وبلغنا الدرجة العليا برحمتك والسعادة القصوى بجودك

قال احمد بن محمد بن مسكويه

وراتبك انك على ما تشاء قدير

المقالة الاولى

غرضنا في هذا الكتاب ان نحصل لانفسنا خلقا تصدر به
عنا الافعال كلها جميلة وتكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفة
فيها ولا مشقة ويكون ذلك بصناعة وعلى ترتيب تعليمي والطريق
الى ذلك ان نعرف اولا نفوسنا ونعني بها النفس الناطقة الخاصة
بالانسان ما هي واي شيء هي ولاي شيء اوجدت فينا اعني كمالها
وغايتها وما قواها وملكاتها التي اذا استعملناها على ما ينبغي
بلغنا بها هذه المرتبة العلية وما الاشياء العايقة لنا عنها
وما الذي يزكيها فتفلح وما الذي يدسيها فتخيب فان الله عز وجل
يقول ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من
زكيها وقد خاب من دسيها ولما كان لكل صناعة مبادى

للتنبيه

عليها تبنى وبها تحصل وكانت تلك المبادى ماخوذة من صناعة
اخرى وليس في شيء من هذه الصناعات ان تبين مبادى انفسها كان
لنا عذر واضح في ذكر مبادى هذه الصناعة على طريق الاجمال
والاشارة بالقول الوجيز والى بكر ما قصدناه واتباعها بعد ذلك
بما توخيناه من اصابة الخلق الشريف الذي نتشرف به شرفا ذاتيا
حقيقيا لا على طريق العرض الذي لا ثبات له ولا حقيقة اعني المكتسب
بالمال والمكاثرة والسلطان والمغالبة والاصطلاح والمواضعة
فنقول وبالله التوفيق ان نتبين ان فينا شيئا ليس بجسم
ولا بجزء من جسم ولا عرض وانه لا يحتاج في وجوده الى قوة جسمية بل هو
جوهر بسيط غير محسوس بشيء من الحواس ثم نتبين ما المقصود بالانسان
الذي خلقنا له ... وجدنا في الانسان شيئا
يضاد الاجسام واجزاء الاجسام بحده وخواصه وله
افعال تضاد افعال الجسم وخواصه حتى لا تشاركه في حال من الاحوال
وكذلك نجده يباين الاعراض ويضادها كل المباينة ثم
وجدنا هذه المضادة والمباينة له للاجسام والاعراض انما هي
من حيث كانت الاجسام اجساما والاعراض اعراضا حكمنا بان
هذا الشيء ليس جسما ولا جزءا من جسم ولا عرضا وذلك انه لا يستحيل ولا يتغير

وايضا فانه يدرك جميع الاشياء بالسوية ولا يلحقه فتور
ولا كلال ولا نقص وبيان ذلك ان كل جسم له صورة فانه ليس يقبل
صورة اخرى من جنس صورته الاولى الا بعد مفارقة الصورة الاولى
مفارقة تامة مثال ذلك ان الجسم اذا قبل صورة او شكلا كشكل
الاشكال كالتثليث مثلا فليس يقبل شكلا آخر من التربيع والتدوير
وغيرهما الا بعد ان يفارقه الشكل الاول وكذلك اذا قبل صورة
نقش او كتابة او اي شي كان من الصور فليس يقبل صورة اخرى
من ذلك الجنس الا بعد زوال الاولى وبطلانها البتة فان بقي فيه
شي من رسم الصورة الاولى لم يقبل الصورة الثانية على التمام
بل تختلط فيه الصورتان فلا تخلص له احدهما على التمام ومثال
ذلك اذا قبل الشمع صورة نقش في خاتم لم يقبل غيره من النقوش
الا بعد ان يزول عنه رسم النقش الاول وكذلك الفضة اذا قبلت
صورة خاتم وهذا حكم مستمر في الاجسام كلها ونحن نجد انفسنا
تقبل صورة الاشيا كلها على اختلافها من المحسوسات والمعقولات
على التمام والكمال من غير مفارقة الاولى ولا معاقبة ولا زوال رسم
بل يبقى الرسم الاول تاما كاملا وتقبل الرسم الثاني ايضا تاما كاملا
ثم لا تزال تقبل صورة بعد صورة ابدا دائما من غير ان تضعف

او تنقص في وقت من الاوقات عن قبول ما يطرأ عليها من الصور بل
تزداد بالصورة الاولى قوة على ما يرد عليها من الصور الاخرى
وهذه الخاصية مضادة لخواص الاجسام ولهذه العلة يزداد
الانسان فهما كلما ارتاض وتخرج في العلوم والآداب فليست النفس
اذا جسما فاما انها ليست بعرض فتبيين من قبل ان العرض
لا يحمل عرضا لان العرض في نفسه محمول ابدا اي موجود في غيره
لا قوام له بذاته وهذا الجوهر الذي وصفنا حاله هو ابدا قابل
وحامل اتم واكمل من حمل الجسم للاعراض فاذا النفس ليست جسما
ولا جزءا من جسم ولا عرضا وايضا فان الطول والعرض والعمق
الذي به صار الجسم جسما يحصل في النفس وفي قوتها الوهمية
من غير ان يصير به طويلا عريضا عميقا ثم تزداد فيه هذه المعاني
ابدا بلا نهاية به فلا تصير به اطول ولا اعرض ولا اعمق بل لا تتصف
به جسما البتة ولا اذا تصورت ايضا بكيفيات الجسم تتكيف
بها اعني اذا تصورت الالوان والطعوم والروائح لم تتصور
بها كما تتصور بها الاجسام ولا يمنع بعضها قبول اضدادها
كما يمنع في الجسم بل يقبلها كلها في حال واحدة بالسوا وكذلك
حالها في المعقولات فانها تزداد بكل معقول تحصله قوة على قبول

غيره دائما أبدا بلا نهاية وهذه حالة مقابلة لأحوال الأجسام
وخاصة في غاية البعد من خواصها وأيضا فإن الأجسام
لا تعرف العلوم إلا من الحواس ولا تميل إلا إليها فهو يشتاقها
بالملابسة والمشابكة كالشهوات البدنية ومحبة الانتقام
والغلبة وبالجملة كل ما يحس ويوصل إليه بالحس وهو يزداد
بهذه اللذات قوة ويستفيد منها تماما وكمالا لأنها مادة
وأسباب وجوده فهو يفرح بها ويشتاق إليها من أجل
أنها تتمم وجوده وتزيد فيه وتمده فأما هذا المعنى الآخر
الذي سميناه نفسا فإنه كلما تباعد من هذه المعاني البدنية
التي أحصيناها وتداخل إلى ذاته وتخلى عن الحواس بأكثر ما يمكن
ازداد قوة وتماما وكمالا وتظهر له الآراء الصحيحة والمعقولات
البسيطة وهذا أدل دليل على أن طباعه وجوهره من غير طباع
الجسم والبدن وأنه أكرم جوهرا وأفضل طباعا من كل ما في
هذا العالم من الأمور الجسمانية وأيضا فإنه يشتاق إلى ما ليس
من طباع البدن ويحرص أبدا على معرفة حقائق الأمور الإلهية
وميله إلى الأمور التي هي أفضل من الأمور الجسمية وإيثاره له وانصرافه
عن اللذات الجسمانية لتحصيل اللذات العقلية يبين لنا دلالة واضحة أنه

تحصيل

الجسميه

من جوهر أعلى وأكرم جدا من الأمور الجسمانية لأنه لا يمكن في شيء
من الأشياء أن يشتاق إلى ما ليس من طبيعته ولا أن ينصرف
عما يحسن ذاته ويقوم جوهره فإذا رأى أفعال النفس إذا انصرفت
إلى ذاتها وتركت الحواس مخالفة لأفعال البدن ومضادة لها في مجاوزاتها
وإراداتها فلا محالة أن جوهرها مفارق لجوهر البدن ومخالف له في
طبعه وأيضا فإن النفس وإن كانت تأخذ كثيرا من مبادئ العلوم
من الحواس فلها من نفسها مبادئ أخر وأفعال لا تأخذها من الحواس
البتة وهي المبادئ الشريفة العالية التي تبنى عليها القياسات
الصحيحة وذلك أنها إذا حكمت أنه ليس بين طرفي النقيض واسطة
فإنها لم تأخذ هذا الحكم من شيء آخر لأنه أولي ولو أخذته من شيء آخر
لم يكن أوليا وأيضا فإن الحواس تدرك المحسوسات فقط وأما
النفس فإنها تدرك أسباب الاتفاقات وأسباب الاختلافات
التي بين المحسوسات وهي معقولاتها التي لا تستعين عليها بشيء
من الجسم ولا آثار الجسم وكذلك إذا حكمت على الحس بأنه صدق
أو كذب فليس تأخذ هذا الحكم من الحس لأن الحس لا يضاد نفسه فيما
يحكم به وعند النفس العاقلة أيضا تستدرك كثيرا من خطأ
الحواس في مبادئ أفعالها وترد عليها أحكامها من ذلك أن البصر يخطئ

تستدرك

ما يدم فما يراه من قرب ومن بعد اما خطاه في البعد فبادراكه الشمس
صغيرة مقدارها عرض قدم وهي مثل الارض كلها مائة وستين
مرة ونشهد بذلك البرهان العقلي فيقبل منه ونرد على الحس ما يشهد له
فلا نقبله واما خطاه في القرب فتخيله ضوء الشمس اذا وقع علينا
من ثقب صغار مربعات كخلل البواري واشباهها التي تستظل
فائدة بها فانا ندرك الضوء الواصل الينا منها مستديرا فنرد عليه
هذا الحكم ونغلطه في ادراكه ونعلم انه ليس كما تراه وغلط البصر
ايضا في حركة القمر والسحاب والسفينة والشاطي وغلط ايضا
في الاساطين المسطرة والنخيل واشباهها حتى تراها مختلفة
ايضاح في اوضاعها وغلط ايضا في الاشياء التي تتحرك على الاستدارة
حتى يراها كالحلقة والطوق وغلط في الاشياء الغايصة في الماء
حتى يرى بعضها اكبر من مقداره ويرى بعضها مكسورا وهو
صحيح وبعضها معوجا وهو مستقيم وبعضها منكوسا وهو
منتصب فيستخرج العقل اسباب هذه كلها من مبادي عقلية
ويحكم عليها احكاما صحيحة وكذلك الحال في حاسة السمع وحاسة
الذوق وحاسة الشم وحاسة اللمس اعني ان حاسة الذوق
تغلط في الحلو فتجده مرا وحاسة الشم تغلط في المواضع

الصقيلة المستديرة واشباهها عند الصدى وما اشبهه
وحاسة الشم تغلط كثيرا في الاشياء المنتنة لا سيما في المنتقل
من رايحة الى رايحة فالعقل يرد هذه القضايا ويقف فيها
ثم يستخرج اسبابها ويحكم فيها احكاما صحيحة والحاكم في
الشي المزيف لها والمصحح افضل واعلى رتبة من المحكوم عليه
وبالجملة فان النفس اذا علمت ان الحس قد كذب او صدق فليست اخذ
هذه العلم من الحس ثم اذا علمت انها قد ادركت معقولا فانها ليست
تعلم هذا العلم من علم اخر فانها لو علمت هذا العلم من علم اخر لاحتاجت
في ذلك العلم ايضا الى علم اخر وهذا يمر بلا نهاية فاذن علمها بانها
علمت ليس ماخوذا من علم اخر البتة بل هو من ذاتها وجوهرها
اعني العقل وليست تحتاج في ادراك ذاتها الى شي اخر غير ذاتها
ولهذا ما نرى في اوايل هذا العلم ان العقل والعاقل والمعقول شي
واحد لا غيرية فيه وهذا شي يتبين في موضعه فاما الحواس
فلا تحس ذواتها ولا ما هو موافق لها كل الموافقة كما سنبين
ايضا فاذن قد تبين من هذه الاشياء بيانا واضحا ان النفس
ليست بجسم ولا بجزء من جسم ولا حال في جسم وانها شي اخر
مفارق للجسم بجوهره واحكامه وخواصه وافعاله فنقول

اما شوقها الى افعالها الخاصة بها اعنى العلوم والمعارف
مع هربها من افعال الجسم الخاصة به فهو فضيلتها وبحسب
طلب الانسان لهذه الفضيلة وحرصه عليها يكون فضله وهذا
الفضل يتزايد بحسب عناية الانسان بنفسه وانصرافه
عن الامور العائقة له عن هذا المعنى بجهده وطاقته وقد وضح
مما تقدم ما الاشيا العائقة له عن هذه الفضائل اعنى
الاشيا البدنية والحواس وما يتصل بها فاما الفضائل
انفسها فليبين تحصيلها لنا الآن بعد ان نطهر نفوسنا
من الرذائل التي هي اضدادها اعنى شهواتها الردية الجسمانية
ونزواتها الفاحشة البهيمية فان الانسان اذا علم ان هذه الاشيا
ليست فضائل بل هي رذائل تجنبها وكره ان يوصف بها واذا
ظن انها فضائل لزمها وصارت له عادة وبحسب التباسه
بها يكون بعده عن قبول الفضائل وقد يظن الانسان
ان هذه الاشيا التي يشتاقها البدن بالحواس ويميل اليها الجمهور
اعنى المآكل والمشارب والمناكح هي فضائل وليست فضائل
لانه اذا تفقدها في الحيوانات الآخر وجد كثيرا منها اقدر على
الاستكثار منها واحرص عليها كالكلب والخنزير واصناف كثيرة

ضربها

لما

واقدر

من حيوان الما وسباع الوحش والطير فانها اقوى من الانسان
على هذه الاشيا واكثر احتمالا لها وليست تكون بها افضل من الانسان
وايضا فان الانسان اذا اكتفى من طعامه وشرابه وسائر لذاته
البدنية اذا عرض عليه الاستزادة منها كما يستزاد من
الفضائل ابى ذلك وتبين له قبح صورته من تعاطيها الاشيا
مع الاستغنا عنها والاكتفا منها بل يتجاوز ذلك الى مقته
وذمه بل الى عقوبته وتاديبه فينبغي الآن ان نقدم لما نطلبه
من سعادة النفس وفضائلها كلاما نستعين به في فهم ما نريده ٥
فنقول كل موجود من حيوان ونبات وجماد وكذلك
بسائطها اعنى النار والما والارض والهوا وكذلك الاجرام
العلوية لها قوى وملكات وافعال بها يصير ذلك الموجود هو
ما هو وبها يتميز عن كل ما سواه وله ايضا قوى وملكات
وافعال يشارك بها ما سواه ولما كان الانسان من بين الموجودات
كلها هو الذي يلتمس له الخلق المحمود والافعال المرضية وجب
ان لا ينظر في هذا الوقت في قواه وملكاته وافعاله التي يشارك
بها سائر الموجودات اذ كان ذلك يخص صناعة اخرى وعلما آخر
يسمى العلم الطبيعي فاما افعاله وقواه وملكاته التي يختص بها من حيث

دعا قوم

امام ما نطلبه

هو انسان وبها يتم انسانيته وفضائله فهي الامور الارادية التي
تتعلق بها قوة الفكر والتمييز والنظر وفيها تسمى الفلسفة العملية
والاشياء الارادية التي تنسب الى الانسان تنقسم الى الخيرات
والشرور وذلك لان الغرض المقصود بوجود الانسان اذا
توجه الواحد منا اليه حتى يحصل له هو الذي يجب ان يسمى خيرا
وسعيدا فاما اذا عاقته عوائق اخر عنه فهو الشرير الشقي وخيرا وسعادة
فاذا الخيرات هي الامور التي تحصل للانسان بارادته وسعيه من
الامور التي لها وجد الانسان ومن اجلها خلق والشرور هي الامور
التي تعوقه عن هذه الخيرات بارادته وسعيه او كسله وانصرافه
والخيرات قد قسمها الاولون الى اقسام كثيرة نحن نعددها
فيما بعد ان شاء الله وقد قدمنا ان كل واحد من الموجودات
له كمال خاص به وفعل لا يشاركه فيه غيره من حيث هو ذلك
الشيء اعني انه لا يجوز ان يكون موجود آخر سواه اصلح لذلك الفعل منه
وهذا حكم مستمر في الامور العلوية والامور السفلية كالشمس وسائر
الكواكب وكانواع الحيوان كلها كالفرس والبازي وكالنبات
والمعادن وكالعناصر البسائط التي هي تصحح احد الاثنين
من جميعها صحة ما قلناه وحكمنا به فاذن الانسان من بين

وذلك ان منها ما هو شريف ومنها ما هو ممدوح ومنها ما هو نافع ومنها ما هو بالقوة كذلك واعني بالقوة التهيؤ والاستعداد ومن الخيرات اقسام اخر هو صح

سائر الموجودات له فعل خاص به لا يشاركه فيه غيره وهو
ما صدر عن قوته المميزة المروية فكل من كان تمييزه اصح ورويته
اصدق واختياره افضل كان اكمل في انسانيته وكما ان السيف
والمنشار وان صدر عن كل واحد منهما فعله الخاص به وصورته
التي عمل من اجلها فافضل السيوف ما كان امضى وانفذ وما كفاه
اليسير من الاعتماد في بلوغ كماله الذي اعد له وكذلك الحال في الفرس
والبازي وسائر الحيوانات الاخر فان افضل الافراس ما كان اسرع
حركة واشد تيقظا لما يريده الفارس منه في طاعة اللجام وحسن
القبول في الحركات وخفة العدو والنشاط وكذلك الانسان
افضلهم من كان اقدر على افعاله الخاصة به واشدهم تمسكا
بشرائط جوهره الذي تميز به من الموجودات فاذن بالواجب
الذي لا مرية فيه ينبغي ان نحرص على الخيرات التي هي كمالنا
والتي من اجلها خلقنا ونجتهد في الوصول الى الانتهاء اليها ونتجنب
الشرور التي تعوقنا عنها وتنقصنا حظنا منها فان الفرس
اذا قصر عن كماله ولم تظهر افعاله الخاصة به على افضل احوالها
حط عن مرتبة الفرسية واستعمل بالاكاف كما يستعمل الحمير
وكذلك حال السيف وسائر الالات متى قصرت ونقصت حطت

عن مراتبها واستعملت استعمال ما دونها فالانسان اذا انقص حسب الروية والمروّة فيه ولذلك قيل افضل الروية ما كان
افعاله او قصرت عما خلق له اعني ان يكون رويته وافعاله التي تصدر في افضل ... فيه ثم ينزل لم تعد فرسه الى ان ينتهي الى النظر في الامور
عنه وعن رويته غير كاملة فهو احرى ان تنحط عن مرتبة الانسانية المكنة من العالم الحسي فيكون الناظر في هذه لا اشيا واستعمال
الى مرتبة البهيمية هذا اذا اصدرت عنه افعاله الانسانية عن روية والصورة الخاصة به التي صار من اجلها سعيدا
ناقصة غير تامة فاما اذا اصدرت عنه الافعال الصادرة ما معرضا للملك الابدي في النعيم السرمدي في اشيا دنية لا وجود
اعدله اعني الشرور التي تكون بالروية الناقصة او العدم لها بالحقيقة فقد تبين اذن اجناس السعادات بالجملة
بها عن جميعها لاجل الشهوة التي تشارك فيها البهيمة او الاغذ واضدادها من الشقاوات واجناسها وان الخيرات
بالامور الحسية الجسمية التي تشغله عما عرض له من تزكية نفسه والشرور في الافعال الارادية اما باختيار الافضل والعمل
التي تنتهي به الى الملك الرفيع والشرور الحقيقي في توصله الى ... به واما باختيار الادون والميل اليه ولما كانت هذه الخيرات
قرة العين التي قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الانسانية كثيرة وملكاتها التي في النفس كثيرة ولم يكن في طاقة
وبلقيه الجوار رب العالمين في النعيم المقيم واللذات التي الانسان الواحد القيام بجميعها وجب ان يقوم بجميعها جماعة
لم ترها عين ولا سمعتها اذن ولا خطر على قلب بشر واغنى كثيرة منهم ولذلك وجب ان يكون اشخاص الناس كثيرة وان يجمعوا
عن هذه الموهبة السرمدية الشريفة بتلك الاعتيابيات التي ... زمان واحد على تحصيل هذه السعادات المشتركة ليكمل كل
لا ثبات لها فهو حقيق بالمقت من خالقه تعالى خليق بتعجيل واحد منهم بمعاونة الباقين له فيكون الخيرات مشتركة والسعادات
العقوبة له وازاحة العباد والبلاد منه واذ قد تبين فوضى بينهم فيتوزعونها حتى يقوم كل واحد بجزء منها فيتم
ان سعادة كل موجود انما هي في صدور افعاله الانسانية للجميع بمعاونة الجميع الكمال الانسي وتحصل لهم السعادات
عنه بحسب تميزه وروّيته وان لهذه السعادة مراتب كثيرة الثلث التي شرحناها في كتاب ترتيب السعادات ولاجل ذلك

جمعاء

د السعادة

التي تختص بجود الله عنه تامة كاملة
دار سعادة الانسان تكون في صدور افعاله
صح

بعض الناس

وحب ان يحب الناس بعضهم بعضا لان كل واحد يرى كماله في التي تتمها من البدن الغالب فلذلك يجب ان يكون عدد الفضايل
نفسه عند الاخر فلولا ذلك ما تمت هذه السعادات وتكون بحسب اعداد هذه القوى وكذلك اضدادها التي هي رذايل فمتى لما تمت لها سعادة
اذ كل واحد بمنزلة عضو من اعضاء البدن وقوام الانسان كانت حركة النفس الناطقة معتدلة وغير خارجة عن ذاتها وكان عن
بتمام اعضاء بدنه وقد تنقسم النفس هذه النفس وقواها اشوقها الى المعارف الصحيحة المعقولة لا المظنونة التي ليست بحادث
تنقسم الى ثلثة اقسام اعني القوة التي بها يكون الفكر والتمييز والنظر وهي بالحقيقة جهالات حدثت عنها فضيلة العلم وتتبعها الحكمة ومتى
في حقايق الامور والقوة التي بها يكون الغضب والنجدة والاقدام كانت حركة النفس البهيمية معتدلة منقادة للنفس العاقلة غير متغالبة
على الاهوال والشوق الى التسلط والترفع وضروب الكرامات عنها فيما تقسطه لها ولا منهمكة في اتباع هواها حدثت عنها
والقوة التي بها يكون الشهوة وطلب الغذاء والشوق الى الملاذ فضيلة العفة وتتبعها فضيلة السخاء ومتى كانت حركة النفس الغضبية
التي في المآكل والمشارب والمناكح وضروب اللذات الحسية السبعية معتدلة تطيع النفس العاقلة فيما تقسطه لها فلا تتبع
وهذه الثلث متباينة ويعلم ذلك من ان بعضها اذا قوي اضر بغيرها ولا تحمى اكثرها فيما لا ينبغي لها حدثت عنها فضيلة الحلم وتتبعها
اضر بالاخر وربما ابطل احدها فعل الاخر وهذه ربما جعلت فضيلة الشجاعة ثم تحدث من هذه الفضايل الثلث واعتدالها تا
نفوسا وربما جعلت قوى لنفس واحدة والنظر في ذلك ليس ونسبة بعضها الى بعض فضيلة هي كمالها وتمامها وهي فضيلة العدالة
يليق بهذا الموضع والذي يكفي في علم الاخلاق بانها قوى قلت فلذلك اجمع الحكماء ان اجناس الفضايل اربعة وهي الحكمة والعفة تعلم
متباينة تقوى احدها وتضعف بحسب المزاج والعادة او الثانية والشجاعة والعدالة ولذلك لا يفتخر احد ولا يباهي الا بهذه
فالقوة الناطقة هي التي تسمى الملكية والتها التي تستعملها من البدن الفضايل فقط فاما من يفتخر بابائه واسلافه فلانهم كانوا على بعض
الدماغ والقوة الشهوية التي تسمى البهيمية والتها التي تستعملها هذه الفضايل او عليها كلها وكل واحد من هذه الفضايل اذا
من البدن الكبد والقوة الغضبية هي التي تسمى السبعية والتها تعدت صاحبها الى غيره تمدح صاحبها وتمدح عليها واذا اقتصر

بها على نفسه لم يتم بها بل غيرت هذه الأسماء. أما الجود فانه إذا لم ينفذ صاحبه يسمى صاحبه منفاقا وأما الشجاعة فان صاحبها يسمى أيضا غيورا وأما العلم فان صاحبه يسمى مستبصرا ثم إن صاحب الجود والشجاعة إذا عم غيره بفضيلته وتعداه رجي باحـ[ـتياجه] واحتشم وهيب بالأمرين وذلك في الدنيا فقط لأنهما فضيلتان حيوانيتان فأما العلم فان صاحبه إذا تعداه رجي به واحتشم في الدنيا والآخرة لأنه فضيلة إنسانية ملكية وأضداد هذه الفضائل الأربع من الرذائل وهي الجهل والشره والجبن والجور وتحت كل واحد من هذه الأجناس أنواع كثيرة سنذكر منها ما يمكن ذكره فأما أشخاص الأنواع فهي بلا نهاية وهي أمراض نفسانية تحدث عنها آلام كثيرة كالخوف والحزن والغضب وأنواع العشق الشهواني وضروب من سوء الخلق وسنذكر علاجاتها فيما بعد إن شاء الله والذي يجب علينا الآن تحديد هذه الأشياء أعني الأجناس الأربعة التي تحوي على جل الفضائل فنقول أما الحكمة فهي فضيلة النفس الناطقة المميزة وهي أن تعلم الموجودات كلها من حيث هي موجودة وإن شئت فقل أن تعلم الأمور الإلهية والأمور الإنسانية وثمرة علمها ذلك أن تعرف المعقولات أيها يجب أن تفعل وأيها يجب أن تهمل وأما الـ

وأما العلم إذا تعداه صاحبه فانه يرجى ويحتشم ح

أيضا أربع م

علاج يذكر م

علاج

علم ع

[عفة ف]هي فضيلة الجزء الشهواني وظهور هذه الفضيلة في الإنسان يكون بأن يصرف شهواته بحسب الرأي أعني أن يوافق التمييز الصحيح حتى لا ينقاد لها ويصير بذلك حرا غير متعبد لشيء من شهواته وأما الشجاعة فهي فضيلة النفس الغضبية وتظهر في الإنسان بحسب انقيادها للنفس الناطقة واستعمال ما يوجبه الرأي في الأمور الهائلة أعني أن لا يخاف من الأمور المفزعة إذا كان فعلها جميلا والصبر عليها محمودا وأما العدالة فهي فضيلة للنفس تحدث لها من اجتماع هذه الفضائل الثلاث التي عددناها وذلك عند مسالمة هذه القوى بعضها لبعض واستسلامها للقوة المميزة حتى لا تتغالب ولا تتحرك لنحو مطلوباتها على سوم طباعها وتحدث للإنسان بها سمة يختار بها أبدا الإنصاف من نفسه على نفسه أولا ثم الإنصاف والانتصاف من غيره وسنتكلم على كل واحد من هذه الفضائل كلاما أوسع من هذا إذا ذكرنا الفضائل التي تحت كل جنس من هذه الأربع إذ كان غرضنا في هذا الموضع الإشارة إليها بالرسوم الوجيزة ليتصورها المتعلم والذي ينبغي أن نتبع ما قدمناه ذكر أنواع هذه الأجناس وما تحت كل واحد منها أما الأقسام التي تحت الحكمة فهي الذكاء، الذكر، التعقل، سرعة الفهم وقوته، صفاء الذهن

بحيث ع

تمرح

تفوله

العقل حسن التصور الحفظ

سهولة التعلم، وبهذه الاشيا يكون حسن الاستعداد للـ
واما الوقوف على جواهر هذه الاقسام فيكون من جهة
وذلك ان العلم بالحدود يفهم جواهر الاشيا المطلوبة
دايما على حال واحدة وهو العلم البرهاني الذي لا يبقى ولا
الشك بوجه من الوجوه والفضايل التي هي بذاتها فضـ
ليس يكون في حال من الاحوال غير فضايل وكذلك العلوم بها
الذكا فهو سرعة انقداح النتايج وسهولتها على النفس
الذكر فهو ثبات صورة ما تخلصه العقل او الوهم من الا
واما التعقل فهو موافقة بحث النفس على الاشيا الموضوعة
ما هي عليه واما صفا الذهن فهو استعداد النفس لاستخراج
المطلوب واما جودة الفهم وقوته فهو تامل النفس لما الذهن
لزم من المقدم واما سهولة التعلم فهي قوة للعقل وحدة
في الفهم بها تدرك الامور النظرية، الفضايل التي تحت العفة
الحيا، الدعة، الصبر، السخا، الحرية، القناعة، الدماثة، الا
حسن الهدي، المسالمة، الوقار، الورع، اما الحيا فهو انحصار السمته
النفس خوف اتيان القبايح والحذر من الذم والسب الصادق ا
واما الدعة فهي سكون النفس عند حركة الشهوات واما

فهو مقاومة النفس الهوى لئلا تنقاد لقبايح اللذات واما
لا احوال د السخا فهو التوسط في الاعطا والاخذ وهو ان ينفق الاموال
مقدار ع فيما ينبغي بقدر ما ينبغي على ما ينبغي وتحت السخا خاصة انواع
كثيرة عن تحصيها الكثرة الحاجة اليها واما الحرية فهي فضيلة
النفس بها يكتسب المال من وجهه ويعطي ما يجب في وجهه وتمنع
من اكتساب المال من غير وجهه واما القناعة فهي التساهل
في الماكل والمشارب والزينة واما الدماثة فهي حسن انقياد
بخلاء ع النفس لما يحمد وتسرعها الى الجميل واما الانتظام فهو حال
للنفس تقودها الى حسن تقدير الامور وترتيبها كما ينبغي واما
محبته العمر تكميلها ع الهدي فهو محبة تكميل النفس بالزينة الحسنة واما المسالمة فهي
موادعة تحصل للنفس عن ملكة لا اضطراب فيها واما الوقار
فهو سكون النفس وثباتها عند الحركات التي تكون في المطالب
واما الورع فهو لزوم الاعمال الجميلة التي فيها كمال النفس الفضايل
التي تحت الشجاعة، كبر النفس، النجدة، عظم الهمة، الثبات، الحلم
عدم الطيش، الشهامة، احتمال الكد، اما كبر النفس فهو الاستهانة
باليسار والاقتدار على حمل الكرامة والهوان وصاحبه ابدا يؤهل
نفسه للامور العظام مع استحقاقه لها واما النجدة فهي ثقة النفس

عند المخاوف حتى لا تخامرها جزع وأما عظم الهمة فهو فضيلة
للنفس تحتمل بها سعادة الجد وضدها حتى الشدائد التي تكون
عند الموت وأما الثبات فهو فضيلة تقوى بها النفس على للنفس صح
احتمال الآلام ومقاومتها وعند الأهوال خاصة وأما ال
فهو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكون شغبة ولا يحركها
الغضب بسهولة وبسرعة وأما السكون الذي نعني به عدم
فهو إما عند الخصومات وإما في الحروب التي يذب بها
عن الحريم أو عن الشريعة وهي قوة للنفس تقسر حركتها في
الأحوال لشدتها وأما الشهامة فهي الحرص على الأعمال العظام
توقعا للأحدوثة الجميلة وأما احتمال الكد فهو قوة للنفس
تستعمل آلات البدن في الأمور الحسنة بالتمرين وحسن العادة
التي تحت السخاء الكرم الإيثار النبل المواساة السماحة
أما الكرم فهو إنفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور
الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي وباقي الشروط التي ذكرناها
في السخاء وأما الإيثار فهو فضيلة للنفس بها يكف الإنسان
عن بعض حاجاته التي تخصه حتى يبذله لمن يستحقه وأما النبل
فهو سرور النفس بالأفعال العظام وابتهاجها بلزوم هذه السيرة

وأما المواساة فهي معاونة الأصدقاء والمستحقين ومشاركتهم
في الأموال والأقوات وأما السماحة فهي بذل بعض ما لا يجب
وأما المسامحة فهي ترك بعض ما يجب والجميع بالإرادة والاختيار بذلك
الفضائل التي تحت العدالة الصداقة الألفة صلة الرحم المكافأة
حسن الشركة حسن القضاء التودد العبادة أما الصداقة
فهي محبة صادقة يهتم معها بجميع أسباب الصديق وإيثار فعل
الخيرات التي يمكن فعلها به وأما الألفة فهي اتفاق الآراء والاعتقادات
على التضافر في تدبير العيش وأما صلة الرحم فهي مشاركة ذوي التضام
اللحمة في الخيرات التي تكون في الدنيا وأما المكافأة فهي مقابلة
الإحسان بمثله أو زيادة عليه وأما حسن الشركة فهي الأخذ
والعطاء في المعاملات على الاعتدال الموافق للجميع وأما حسن
القضاء فهو مجازاة بغير من ولا ندم وأما التودد فهو طلب مودات بعمردق
الأكفاء وأهل الفضل بحسن اللقاء وبالأعمال التي تستدعي ذلك
منهم وأما العبادة فهو تعظيم الله وتمجيده وطاعته وإكرام
أوليائه من الملائكة والأنبياء والأئمة والعمل بما توجبه الشريعة
وتقوى الله عز وجل يكمل هذه الأشياء ويتممها وإذ قد أحصينا وادروك
الفضائل الأول وأقسامها وذكرنا أنواعها وأخبرنا عنها فقد

اجزاها

الرذائل التي تضاد الفضائل لانه يفهم من كل واحد من هذه انسان انسان فاما ما يجب علينا فهو ان نذكر جل هذه الاوساط

الفضائل ما يقابلها لان العلم بالاضداد واحد ولما كانت هذه الفضائل وقوانينها بحسب ما يليق بالصناعة لا على ما يجب على شخص شخص

هي اوساط بين اطراف وتلك الاطراف هي الرذائل وجب ان نفهم ان هذا غير ممكن فان النجار والصائغ وسائر ارباب الصناعات

وان اتسع لنا الزمان ذكرناها الان وجود اسمائها في هذا الموضع انما يحصل في نفوسهم قوانين واصول فيعرف النجار صورة الباب

وينبغي ان نفهم من قولنا ان كل فضيلة هي وسط بين رذائل انما اراد او السرير والصائغ يعرف صورة الخاتم والتاج على الاطلاق

ان الوسط لما كانت على غاية البعد من الساقين لانها وسط وان فاما اشخاص ما قام في نفسه فانما يستخرجها من تلك القوانين

المركز من الدائرة هو على غاية البعد من المحيط فاذا كان الشيء ولا يمكنه تعرف الاشخاص لانها بلا نهاية وذلك ان كل باب وخاتم

غاية البعد من شيء اذ هو من هذه الجهة على القطر فعلى هذا انما يعمله على قدر ما ينفع وعلى قدر الحاجة وبحسب المادة والصناعة

ينبغي ان نفهم معنى الوسط من الفضيلة اذ كانت بين رذائل ولا يحصل الا معرفة الاصول فقط واذ قد ذكرنا معنى الوسط في الاخلاق

منها اقصى البعد ولهذا اذا انحرفت الفضيلة عن موضعها الخاص وما ينبغي ان نفهم منه فلنذكر هذه الاوساط ليفهم منها الاطراف

ادنى انحراف قربت من رذيلة اخرى ولم تسلم من العيب بحسب قربها التي هي رذائل وشرور فنقول اما الحكمة فهي وسط بين السفه والبله

من تلك الرذيلة التي تميل اليها ولهذا اصعب جدا وجود هذا الوسط واعني بالسفه ههنا استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغي وكما لا ينبغي

والتمسك به بعد وجوده اصعب ولذلك قال الحكماء اصابة وسماه قوم الجربزة واعني بالبله تعطيل هذه القوة واطراحها

نقطة الهدف اعسر من العدول عنها ولزوم الصواب فيها وليس ينبغي ان نفهم البله ههنا نقصان الخلقة بل تعطيل هذه القوة

حتى لا يخطئها اعسر واصعب وذكر الاطراف التي تسمى رذائل بالارادة واما الذكاء فهو وسط بين الخبث والبلادة فان

للافعال والاحوال والزمان وسائر الجهات كثيرة جدا ولذلك احد طرفي كل وسط هو افراط والآخر تفريط اعني الزيادة عليه

الشر اكثر من دواعي الخير ويجب ان تطلب اوساط تلك الاطراف والنقصان منه فالخبث والدهاء والحيل الرديئة هي كلها الى جانب

فانها

الزياده ما ينبغي ان يكون للذكاء فيه واما البلاده والبلاهه فهي ان يتخصص فيه الذريعه والعقل واما الفضايل التي تحت
والعجز عن ادراك المعارف كلها الى جانب النقصان من الا العفه فالحيا وسط بين رذيلتين احديهما الوقاحه والاخرى
ولما الذكر فهو وسط بين النسيان الذي يكون باهمال ما ينبغي ان الخرق وقد ذكرنا فيما تقدم ساير الفضايل التي تحت العفه
يحفظ وبين العنايه بما لا ينبغي ان يحفظ واما التعقل وهو حسن وانت تقدر على ان تلحظ اطراف الفضايل الاخر التي هي رذايل
التصور فهو وسط بين الذهاب بالنظر في الشي الموضوع وربما وجدت لها اسما بحسب اللغه وربما لم تجد لها اسما وليس تعسر
اكثر مما هو عليه وبين القصور بالنظر فيه عما هو عليه واما عليك فهم معانيها والسلوك فيها على السبيل التي سلكناها واما
الفهم فهو وسط بين اختطاف خيال الشي من غير احكام لفهمه الشجاعه فهي وسط بين رذيلتين احدهما الجبن والاخرى التهور
وبين الابطا عن فهم حقيقته واما صفا الذهن فهو وسط اما الجبن فهو الخوف مما لا ينبغي ان يخاف منه واما التهور فهو
بين ظلمه وكدوره في النفس تتاخر بها عن استخراج المطلوب الاقدام على ما لا ينبغي ان يقدم عليه واما السخا فهو وسط بين
ثم تعرض فيها فيمنعها من استخراج المطلوب واما جوده الذهن رذيلتين احدهما السرف والتبذير والاخرى البخل والتقتير اما
فهو وسط بين الافراط في التامل لما لزم من المقدم حتى يخرج التبذير فهو بذل ما لا ينبغي لمن لا يستحق واما التقتير فهو
عنه الى غيره وبين التفريط فيه حتى يقصر عنه واما سهوله منع ما ينبغي عمن يستحق واما العداله فهي وسط بين الظلم والانظلام
فهو وسط بين المبادره اليه بسرعه لا يتثبت معه حصول اما الظلم فهو التوصل الى كثره المقتنيات من حيث لا ينبغي وكما
العلم وبين التصعب عليه وتعذره واما العفه فهي لا ينبغي واما الانظلام فهو الاستخذا والاستجابه في المقتنيات
بين رذيلتين هما الشره وخمود الشهوه واعني بالشره الانهماك لمن لا ينبغي وكما لا ينبغي ولذلك يكون اللذه للعاجز لا يتوصل
في اللذات فيها عما ينبغي واعني بخمود الشهوه السكون عن الحركه اليها من حيث لا يجب ووجوه التوصل اليها كثيره واما المتظلم
التي تسلك نحو اللذه الجميله التي يحتاج اليها البدن في ضرورته واموال يسيره لانه يتركها من جنب واما العادل فهو المتوسط

فان الحياء

من رماه بسهم
ان لا يحو

الثبات

والخروج م

لانه يقتني الاموال من حيث يجب ويتركها من حيث لا يجب فاذا كان كذلك بالطبع وبالضرورة فكيف يكون العاقل العارف بنفسه
فضيلة ينصف بها الانسان من نفسه ومن غيره من غير ان يتفرد والتخلي ويتعاطى ما يرى الفضيلة في غيره فاذن القوم الذين
نفسه من المنافع اكثر وغيره اقل فاما في الضار فبالعكس وهؤلا الفضيلة في الزهد وترك مخالطة الناس وتفردوا عنهم اما
لا يعطي نفسه اقل وغيره اكثر لكن يستعمل المساواه واما التي بملازمة المغارات في الجبال واما ببناء الصوامع في المفاوز واما
ما بين الاشيا ومن هذا المعنى اشتق اسمه اعني العدل واما بالسياحه في البلدان لا يحصل لهم شي من الفضائل الانسانية التي عددناها
فانه يطلب لنفسه الزيادة النقصان ولغيره الزيادة فهاذا وذلك ان من لم يخالط الناس ويساكنهم في المدن لا يظهر فيهم العفة ولا
الاخلاق التي هي خيرات وفضائل واطرافها التي هي شرور والنجدة ولا السخا ولا العدالة بل تصير قواهم وملكاتهم التي ركبت فيهم
على طريق الاجمال جيد فاما تحديدها ورسمها فانه بسم ومسترطله لانها لا تتوجه الى خير ولا الى شر فاذا بطلت ولم تظهر افعالها
كل واحد منها على الاستقصا فانها بعد ان شاالله وينبغي ان تخص خاصة بها صاروا بمنزلة الجمادات او الموتى من الناس ولذلك يظنون
هذا الموضع شكا ربما يحيط طالب هذه الفضائل فيقول انا نظن بهم انهم اعفا وليسوا باعفا وانهم عدول وليسوا بعدول
فيما تقدم ان الانسان من بين جميع الحيوان لا يكتفي بنفسه وكذلك سائر الفضائل اعني انه اذا لم تظهر منهم اضداد هذه التي
ذاته ولا بد له من معاونة قوم كثيري العدد حتى يتم حيوته طيبة مر ورظن بهم الناس انهم افاضل وليست الفضائل اعداما بل
وعن امره على السداد ولهذا قال الحكماء ان الانسان مدني بالطبع افعال واعمال تظهر عند مشاركات الناس ومساكنتهم في المعاملات
اي هو محتاج الى مدينة فيها خلق كثير لتتم له السعادة الانسانية وضروب الاجتماعات ونحن انما نتعلم ونتعلم الفضائل الانسانية التي نساكن
فكل انسان بالطبع وبالضرورة يحتاج الى غيره فهو لذلك مضطر الناس ونخالطهم لنصل بها ومنها الى سعادات اخر اذا صرنا الى
الى مصافاة الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة ومحبتهم المحبة الصادقة الحال الاخرى وتلك الحال غير موجودة لنا الآن المقالة الثانية
لانهم يكملون ذاته ويتممون انسانيته وهو ايضا يفعل بهم مثل الخلق حال للنفس داعية لها الى افعالها من غير فكر ولا روية وهذه الحال

من النافع ولغيره
النقصان معه
فاما الي الضار فانه يطلب لنفسه

تمت المقالة ...

ينقسم قسمين منها ما يكون طبيعيا من اصل المزاج كالانسان
الذي يحركه ادنى شيء نحو الغضب ويهيج من اقل سبب وكالانسان
الذي يجبن من ايسر شيء كالذي يفزع من صوت يطرق سمعه او يرتاع
من خبر يسمعه وكالذي يضحك ضحكا مفرطا من ادنى شيء يعجبه
وكالذي يغتم ويحزن من ايسر شيء ينا له ومنها ما يكون مستفادا بالعادة
والتدرب وربما كان مبداه بالروية والفكر ثم يستمر عليه اولا اولا او العادة
حتى يصير ملكة وخلقا ولهذا اختلف القدماء في الخلق فقال بعضهم
خاص بالنفس غير الناطقة وقال بعضهم قد يكون للنفس الناطقة
بعده فيها حظ ثم اختلف الناس ايضا اختلافا ثانيا فقال بعضهم من كان له
خلق طبيعي لم ينتقل عنه وقال آخرون ليس شيء من الاخلاق طبيعيا للانسان
ولا هو غير طبيعي وذلك انا مطبوعون على قبوله وانما ننتقل بالتاديب
والمواعظ اما سريعا واما بطيئا وهذا الراي الاخير هو الذي نختاره
هذا لانا نشاهده عيانا ولان الراي الاول يؤدي الى ابطال قوة التمييز والعقل
والى رفض السياسات كلها وترك الناس همجا مهملين والى ترك الاحداث
والصبيان على ما يتفق ان يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم وهذا
ظاهر الشناعة جدا واما الرواقيون فظنوا ان الناس كلهم يخلقون
اخيارا بالطبع ثم يصيرون بعد اشرارا بمجالسة اهل الشر وبالميل الى

وجه
الردية التي لا تقمع بالتاديب فينهمك فيها ثم يتوصل اليها من كل وجه
ولا يفكر في الحسن والقبيح منها واما قوم آخرون كانوا قبل هؤلاء
فانهم ظنوا ان الناس خلقوا من الطينة السفلى وهو كدر العالم
فهم لاجل ذلك اشرار بالطبع وانما يصيرون اخيارا بالتاديب والتعليم
ومنهم الا ان فيهم من هو في غاية الشر لا تصلحه التاديب وفيهم من ليس هو
في غاية الشر فيمكن ان ينتقل من الشر الى الخير بالتاديب من الصبى الى مجالسة
الاخيار واهل الفضل فاما جالينوس فانه راى ان الناس فيهم من
هو خير بالطبع وفيهم من هو شرير بالطبع وفيهم من هو متوسط
بين هذين ثم افسد المذهبين الاولين اللذين ذكرناهما اما الاول
فبانه قال ان كان الناس اخيارا بالطبع وانما ينتقلون الى الشر بالتعلم
بعد منهم فمن الضرورة ان يكون تعلمهم الشر اما من انفسهم واما من غيرهم فان
فمنهم تعلموه من غيرهم فان المعلمين الذين علموهم الشر اشرار بالطبع
فليس الناس اذن كلهم اخيارا بالطبع وان كانوا تعلموه من انفسهم
فاما ان يكون فيهم قوة يشتاقون بها الى الشر فقط فهم اذن اشرار
بالطبع واما ان يكون فيهم مع هذه القوة التي يشتاق الى الشر قوة
اخرى يشتاق الى الخير الا ان القوة التي يشتاق الى الشر غالبة قاهرة
للتي يشتاق الى الخير فعلى هذا يكونون ايضا اشرارا بالطبع واما

وأما الراي الثاني فانا نفسده بمثل هذه الحجة وذلك انه ان كان كل
الناس اشرارا بالطبع فاما ان يكونوا تعلموا الخير من غيرهم او من انفسهم
ويبطل الكلام الاول بعينه ولما افسدنا هذين المذهبين صح راي
نفسه من الامور البينة الظاهرة وذلك انه ظاهر جدا ان من الناس
من هو خيّر بالطبع وهم قليلون وليس ينتقل هؤلاء الى الشر ومنهم
من هو شرير بالطبع وهم كثيرون وليس ينتقل هؤلاء الى الخير
ومنهم من هو متوسط بين هذين وهؤلاء قد ينتقلون بمصاحبة
الاخيار ومواعظهم الى الخير وقد ينتقلون بمقارنة اهل الشر
واغوائهم الى الشر فاما ارسطوطاليس فقد بين في كتاب
الاخلاق وفي كتاب المقولات ايضا ان الشرير قد ينتقل بالتاديب
الى الخير لكن ليس على الاطلاق لانه يرى ان تكرير المواعظ
والتاديب واخذ الناس بالسياسات الجيدة الفاضلة
لا بد من ان يؤثر ضروب التاثير في ضروب الناس فمنهم من يقبل
التاديب ويتحرك الى الفضيلة بسرعة ومنهم من يقبله ويتحرك
الى الفضيلة بابطاء ونحن نؤلف من ذلك قياسا وهو هكذا
كل خلق فقد يمكن تغييره ولا شيء مما يمكن تغييره هو بالطبع فاذن
ولا خلق مما هو بالطبع والمقدمتان صحيحتان والقياس منتج

في الضرب الثاني من الشكل الاول اما ان نصحح المقدمة الاولى وهي ان
كل خلق يمكن تغييره فقد تكلمنا عليه واوضحناه وهو بين من العيان
ومما استدللنا به من وجوب التاديب ونفعه وتاثيره في الاحداث
والصبيان ومن الشرائع الصادقة التي هي سياسة الله تعالى
لخلقه واما تصحيح المقدمة الثانية وهي انه ولا شيء مما يمكن تغييره
هو بالطبع فهو ظاهر ايضا وذلك انا لا نروم تغيير شيء مما هو بالطبع
ابدا فان احدا لا يروم ان يغير حركة النار التي الى فوق بان يعودها
الحركة الى اسفل ولا يعود الحجر حركة العلو ولو رام ذلك لما تغير
حركته الطبيعية التي الى اسفل ولو رامه ما صح له ابدا تغيير شيء
من هذا وما جرى مجراه اعني الامور التي هي بالطبع فقد صحت
المقدمتان وصح التاليف في الشكل الاول وهو الضرب الثاني
منه وصار برهانا فاما مراتب الناس في قبول هذا الادب
الذي سميناه خلقا والمسارعة الى تعلمه والحرص عليه فانها
كثيرة وقد تشاهد وتعاين فيهم وخاصة في الاطفال فان اخلاقهم
تظهر فيهم منذ بدء نشئهم ولا يسترونها بروية ولا فكر كما
يفعله الرجل التام الذي انتهى في نشوه وكماله الى حيث يعرف
من نفسه ما يستقبح منه فيخفيه بضروب الحيل والافعال

ان هو

ولو رامه

القحة عدم الحيا

المضادة لما في طبعه وانت تتأمل من اخلاق الصبيان واستعدا
لقبول الادب ونفورهم عنه وما يظهر في بعضهم من القحة وفي
بعضهم من الحيا وكذلك ما يظهر فيهم من الجود والبخل والرحمة والقس
والحسد وضده ومن الاحوال المتفاوتة ما تعرف به مرا
الانسان في قبول الاخلاق الفاضلة وتعلم معه انهم ليسوا على
واحدة وان فيهم المواتي والممتنع والسهل السلس والفظ العسر والـ
اي الموافق
والشرير والمتوسط بين هذه الاطراف في مراتب لا تحصى كثرة
واذا اهملت الطباع ولم ترض بالتاديب والتقويم نشا كل ا
على سوم طباعه وبقي عمره كله على الحالة التي كان عليها في الطفولية
هو
ما وافقه بالطبع اما الغضب واما اللذة واما الزعارة وا
الشره واما غير ذلك من الطباع المذمومة والشريعة هي التي
الاحداث وتعودهم الافعال المرضية وتعد نفوسهم لقبو
وطلب الفضائل والبلوغ الى السعادة الانسية بالفكر الص
والقياس المستقيم وعلى الوالدين اخذهم به وبساير الاداب
بضروب السياسة من الضرب ان احتاجوا اليه والتوبيخ ان
اقتنعوا فيهما والاطماع في الكرامات او غيرها مما يميلون اليه من
الراحات او تحذيرهم من العقوبات حتى اذا تعودوا ذلك و

كثيرة
عليه مدة من الزمان طويلة امكن فيهم حينئذ ان يعلموا براهين
ما اخذوه تقليدا وتنبهوا على طرق الفضائل واكتسابها والبلوغ
الى غاياتها بهذه الصناعة التي نحن بسبيلها والله المعين والموفق وهو حسبنا
اولا م — ولما سان في ترتيب تقدم الاداب وسياقتها اولا اولا الى الكمال الاخير طريق
طبيعي فيتشبه فيها بفعل الطبيعة وجب ان ينظر الى هذه القوى التي
تحدث فينا ايها اسبق الينا وجودا فيبدا بتقويمها ثم بما يليها
اقدم — على النظام الطبيعي وهو بين ظاهر وذلك ان اول ما يحدث فينا هو
الشيء العام للحيوان والنبات كله ثم لا يزال يختص شيئا شيئا ويتميز نوعا
نوعا الى ان يصير الى الانسانية ولذلك يجب ان نبدا بالشوق الذي يحصل فينا للغذاء فيتقومه ثم بالشرب والاكل
يحصل فينا الى الغضب ومحبة الكرامة فنقومه ثم باخرة بالشوق
الذي يحصل فينا الى المعارف والعلوم فنقومه وهذا الترتيب الذي
قلنا انه طبيعي انما حكمنا بذلك لما ظهر فينا منذ اول ما ننشا اعني ان نكون
اجنة ثم اطفالا ثم ناشئين كاملين وتحدث فينا هذه القوى مرتبة
ولما ان هذه الصناعة هي افضل الصناعات كلها اعني صناعة
بعينه ظ — الاخلاق التي تعنى بتجويد افعال الانسان بما هو انسان فينبغي ما
انما كان للجوهر الانساني فعل خاص لا يشاركه فيه شيء من موجودات
العالم كما بينا فيما تقدم وكان الانسان اشرف موجودات عالمنا

ثم لم تصدر افعاله عنه بحسب جوهره وشبهناه بالفرس الذي
اذا لم يصدر عنه افعال الفرس على التمام استعمل مكان الحمار بالاكاف
او بمكان الشاة بالذبح فكان عدمه اروح له من وجوده وجب ان يكون — الغنم
الصناعة التي تعنى بتجويد افعال الانسان حتى تصدر عنه افعاله
تامة كاملة بحسب جوهره وترفعه عن رتبة الاخس التي يستحق
بها المقت من الله تعالى ويحصل في العذاب الاليم اشرف الصناعات
كلها واكرمها فاما سائر الصناعات فان شرفها بحسب شرف
مراتب جوهر الشيء الذي يستصلحه وهذا ظاهر جدا من تصفح — كان
الصناعات لان فيها الدباغة التي تعنى باستصلاح جلود البهائم
الميتة ومنها صناعة الطب والفلاحة التي تعنى باستصلاح — الميتة
الجواهر الشريفة الكريمة وهكذا الهمم المتفاوتة التي ينصرف بعضها
الى العلوم الدنية وبعضها الى العلوم الشريفة واذا كان
جواهر الموجودات متفاوتة في الشرف اما في ابعاد النبات
والحيوان كجوهر الديدان والحشرات اذا قيس الى جوهر الانسان — اما في الحيوان
واما في جوهر الموجودات الاخر فظاهر مما ذكرناه ان تحصيل
فالصناعة والهمة التي تنصرف الى اشرفها اشرف من الصناعة
والهمة التي تنصرف الى الادون منها وجب ان تعلم ان اسم الانسان

وان كان يقع على افضلهم وعلى ادونهم فان بين هذين الطرفين اكثر مما بين
كل متضادين من البعد فان الشاعر الذي قال ولم ار امثال الرجال — ولم ار امثال الرجال تفاوتت
تفاوتت الى المجد حتى عد الف بواحد وان كان عنده انه بالغ فانه — فقد
قصر والخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اني وزنت بامتي فرجحت
بهم اصدق واصح فليس هذا في الانسان وحده بل في كثير من الجواهر
الاخر وان كان في الانسان اكثر واشد تفاوتا فان بين السيف المعروف
بالصمصام وبين السيف المعروف بالكهام تفاوتا عظيما وكذلك الحال
في التفاوت بين الفرس الكريم وبين البرذون المقرف فمن امكنه — المقرف
ان يرتقي بالصناعة من ادون مرتبة الجواهر الى اعلاها فانه في
صناعته ما اكرمها وافضلها فاما الانسان من بين هذه الجواهر
فهو مستعد لضروب من الاستعدادات لضروب من المقامات
وليس ينبغي ان يكون الطمع في استصلاحه على مرتبة واحدة وهذا
شيء سنبينه فيما بعد ان شاء الله تعالى الان الذي ينبغي ان نعلمه الان — مشتقة
ان وجود الجوهر الانساني متعلق بقدرة فاعله وخالقه تبارك
وتقدس اسمه فاما تجويد جوهره فقد فوضه الى الانسان
فهو معلق بارادته فاعرف هذه الجملة الى ان نلخص موضعها ان شاء الله
وقد قدمنا في صدر الكتاب فقلنا ينبغي ان نعرف نفوسنا ما هي

ولأي شيء هي ثم قلنا ان لكل جوهر موجود كمالا خاصا به وفعلا
لا يشاركه فيه غيره من حيث هو ذلك الشيء وبيّنا ذلك غاية البيان في
الرسالة المسعدة واذا كان ذلك محفوظا فنحن مضطرون
الى ان نعرف الكمال الخاص بالانسان والفعل الذي لا يشاركه فيه غيره
من حيث هو انسان ليحرص على طلبه وتحصيله ويجتهد في
البلوغ الى غايته ونهايته ولما كان للانسان من كماله بجزاء
كماله وفعله الخاص به كال بسايطه وافعالها الخاصة بها وا
وجود المركب باطلا كالحال في الخاتم والسرير فاذن له فعل خاص
به من حيث هو مركب وانسان لا يشاركه فيه شيء من الموجودات
الا فافضل الناس اقدرهم على اظهار فعله الخاص به والزمهم له
من غير تلون فيه ولا اخلال به في وقت دون وقت واذا عرف
الافضل فقد عرف الانقص على اعتبار الضد فالكمال الخاص
بالانسان كمالان وذلك لان له قوتين احداهما العالمة والاخرى
العاملة فلذلك يشتاق باحدى القوتين الى المعارف والعلوم
ويشتاق بالاخرى الى نظم الامور وترتيبها وهذان الكمالان هما اللذان
نص عليهما الفلاسفة فقالوا الفلسفة تنقسم الى الجزء النظري — الى قسمين بحكم
والى الجزء العملي فاذا كمل الانسان بالجزء النظري والجزء العملي فقد

سعد السعادة التامة اما كماله الاول باحدى قوتيه اعني العالمة
فهي التي يشتاق بها الى العلم فهو ان يصير في العلم بحيث يصدق نظره
وتصح بصيرته وتستقيم رويته فلا يغلط في اعتقاد ولا يشك في
حقيقة وينتهي في العلم بامور الموجودات على الترتيب الى العلم
الالهي الذي هو آخر مرتبة العلوم ويثق به ويسكن اليه ويطمئن قلبه
وتذهب حيرته وينجلي له المطلوب الاخير حتى يتحد به وهذا الكمال
قد بينا الطريق اليه واوضحنا سبيله في كتب اخر واما الكمال الثاني
الذي يكون بالقوة الاخرى اعني القوة العاملة فهو الذي نقصده
في كتابنا هذا وهو الكمال الخلقي ومبداه من ترتيب قواه وافعاله
الخاصة بها حتى لا تتغالب وحتى تتسالم هذه القوى فيه ويصدر افعاله
كلها بحسب قوته المميزة منتظمة مرتبة كما ينبغي وينتهي الى التدبير
المدني الذي يرتب فيه الافعال والقوى بين الناس حتى ينتظم ذلك
الانتظام ويسعدوا بسعادة مشتركة كما كان ذلك في الشخص
الواحد فاذن الكمال الاول النظري يتنزل منزلة الصورة والكمال
الثاني العملي يتنزل منزلة المادة وليس يتم احدهما الا بالآخر
لان العلم مبدأ والعمل تمام والمبدأ بلا تمام يكون ضايعا والتمام
بلا مبدأ يكون مستحيلا وهذا الكمال هو الذي سميناه غرضا وذلك

ان الغرض والكمال اللذات هما شيء واحد وانما يختلفان بالاضافة فان
نظر اليه وهو بعد في نفس الانسان ولم يخرج الى الفعل فهو غرض واذا
خرج الى الفعل وتم فهو كمال وكذلك الحال في كل شيء فان البيت اذا كان متصورا
للباني فكان عالما باجزائه وتركيبه وسائر احواله كان غرضا فاذا خرج
الى الفعل وتممه كان كمالا فقد صح من جميع ما قدمنا ان الانسان يصل الى كماله
ويصدر عنه فعله الخاص اذا علم الموجودات كلها اي يعلم كلياتها و
التي هي ذواتها لا اعراضها وخواصها التي تصيرها بلا نهاية فاما اذا
كليات الموجودات فقد علم جزئياتها بنحو ما لان الجزئيات لا تخرج
عن كلياتها فاذا كمل هذا الكمال وتممه بالفعل المنظوم ورتب
القوى والملكات التي فيك ترتيبا علميا كما سنوضح فاذا انتهيت
الى هذه الرتبة فقد صرت عالما وحدك واستحققت ان تسمى عالما
صغيرا لان صور الموجودات كلها قد حصلت فيك وذلك فصرت انت
في نحو ما تم نظمتها بافعالك على نحو استطاعتك وتصرفت فيها خليفة
لمولاك خالق الكل فلم تخطئ فيها ولم تخرج عن نظامه الاول الحكمي فتصير
حينئذ عالما تاما والتام من الموجودات هو الدائم الوجود والدائم
هو الباقي تعالى سرمديا فلا يعوزك حينئذ شيء من النعيم المقيم لانك
الكمال مستعد لقبول الفيض من المولى دائما ابدا وقد قربت منه القرب

الذي لا يجوز ان يحول بينك وبينه حجاب وهذه هي الرتبة العليا والسعادة
القصوى ولولا ان الشخص الواحد من اشخاص الناس يمكنه تحصيل هذه
المنزلة في ذاته وتكميل صورته بها واتمام نقصانه بالترقي اليها لكان
سبيله سبيل اشخاص الحيوانات الاخر وكسبيل اشخاص النبات في مصيرها
الى الفناء والاستحالات التي تلحقها والنقصانات التي لا سبيل الى
تمامها ولا استحال بهذا البقاء الابدي والنعيم السرمدي ومجاورة رب
العالمين ودخول جنته ومن لا يتصور هذه الحالة ولا ينتهي الى علمها من
المتوسطين في العلم تقع له شكوك في بطلان الانسان اذا انتقض تركيبه
اجمالي يبطل ويتلاشى كالحال في الحيوانات الاخر والنبات فحينئذ
ينتفي اسم المعاد وتخرج عن سمة الحكمة وسنة الشريعة وقد ظن
قوم ان كمال الانسان وغايته هما في اللذات الحسية وانها هي الخير
المطلوب والسعادة القصوى فظنوا ان جميع قواه انما ركبت فيه
من اجل هذه اللذات والتوصل اليها وان النفس الشريفة التي سميناها
ناطقة انما وهبت له لترتب لها الافعال وتميزها ثم توجهها نحو هذه
اللذات لتكون الغاية الاخيرة هي حصولها له على النهاية والغاية وظنوا
ايضا ان قوى النفس الناطقة اعني الذكر والحفظ والروية كلها تراد
لتلك الغاية قالوا وذلك ان الانسان اذا تذكر اللذة التي كانت

حصلت له بالمطاعم والمشارب والمناكح اشتاق اليها واحب
معاودتها فقد صارت منفعة الذكر والحفظ انما هي اللذة وتحصيلها
ولاجل هذه الظنون التي وقعت لهم جعلوا النفس الحيوانية الشريفة كالعبد
الممتهن وكالاجير المستعمل في خدمة النفس الاخرى الشهوية لتخدمها
في المآكل والمشارب والمناكح وترتيبها لها وتعدها اعدادا كاملا
ثم وافقها وهذا هو رأي الجمهور من العامة الرعاع وجهال الناس
السقاط والى هذه الاغراض التي جعلوها غاية انهم تشوقوا عند ذكر
الجنة والقرب من باريهم عز وجل وهي التي كسبا لونها الرتبة
في دعواتهم وصلواتهم واذا اخلوا اما الجاد اف وتركوا الدنيا
وزهدوا فيها فانما ذلك منهم على جهة المتاجرة والمرابحة فيها
بعينها كانهم تركوا قليلها ليصلوا الى كثيرها واعرضوا عن
الفانيات منها ليبلغوا الباقيات الا انك تعجبهم مع هذا المه
الاعتقاد وهذه الافعال اذا ذكر عندهم الملائكة واعلق
الاعلى الاشرف وما نزههم الله عنه من هذه القاذورات وان
علموا انه بالجملة اقرب الى الله تعالى واعلى رتبة من الناس وانهم غير انهم
محتاجين الى شيء من حاجات البشر بل يعلمون ان خالقهم
وخالق كل شيء تعالى الذي تولى ابداع الكل هو منزه عن هذه

الاشياء منفعل عنها غير موصوف باللذة والتنعم مع التمكن من اعدادها
لنفسه وان الناس يشاركون في هذه اللذات الخنافس والديدان وصغار
الحشرات والهمج من الحيوان وانما يناسبون الملائكة بالعقل والتمييز ثم يتعجبون
بين هذه الاعتقاد وبين الاعتقاد الاول وهذا هو العجب العجيب وذكر
انهم يرون غبا ناضرا وانهم بالاذى الذي يلحقهم بالجوع والعري وضروب
النقصانات وحاجاتهم الى ما يدفعها عنهم فاذا ازالت
آثارها عادوا الى حال السلامة ظنوها اللذة ولذلك وجدوا
للراحة لذة ولا يشعرون انهم اذا اشتاقوا الى المآكل فقد
اشتاقوا الا الى الم الجوع وذلك انهم اذا لم يبتلوا بالجوع لم يلتذوا
بالاكل وهذه الحال في سائر اللذات الاخر الا ان بعض الحالات في
بعضها اظهر منها في بعض وسنتكلم على ان صورة الجمع واحد وان
اللذات كلها تحصل للملتذ بعد الام ملحقة وان كل لذة حسية انما هي
خلاص من اذى او الم في غير هذا الموضع وسيظهر عند ذلك ان من رضي
لنفسه بتحصيل اللذات البدنية وجعلها غايته واقصى سعادته
فقد رضي باخس العبودية لاخس الموالي لانه يصير نفسه الكريمة
التي تناسب بها الملائكة عبدا للنفس الدنية التي يناسب بها الخنازير
والذباب وخساس الحيوانات التي يشاركه في هذه الحال وقد تعجب

بالاذى
وهكذا
لان اللذة هي راحة من الم
والديدان

جالينوس في كتابه الذي سماه اخلاق النفس من هذا الراي وكثير
للقوم الذين هذه من نعتهم من العقلا الا انه قال ان هولا المختارين
سنتين تهم اسوسيرع واردا اذا وجدوا انسانا هذا رايه ومذهبه
نصروه ونوهوا به ودعوا اليه ليوهموا انهم غير منفردين
بهذه الطريقة لانهم يظنون انهم متى وصفوا اهل الفضل والنبل
من الناس بمثل ما هم عليه كان ذلك عذرا لهم وتمويها على قوم اخرين
في مثل طريقتهم وهولا هم الذين يفسدون الاحداث بايهامهم
ان الفضيلة هي ما تدعوهم اليه طبيعة البدن من اللذة وان تلك
الفضايل الاخر الملكية اما ان تكون باطلة ليست شي البتة واما ان تكون
غير ممكنة لاحد من الناس وانهم لا يكونون بالطبع الجسد الى التشبه
فيكثر اتباعهم ويقل الفضلا فيهم واذ لغلبة الواحد منهم على هذه اللذات (بعد الواحد فهو)
انما هي لضرورة الجسد وان بدنه مركب من الطبايع المتضادة اعني
الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وانه انما يعالج بالماكل
والمشارب امراضا تحدث به عند الاعلال بحفظ تركيبه ابدا على
حالة واحدة بما اكره ذلك فيه وان علاج المرض ليس بسعادة تامة
والراحة من الالم ليس بغاية مطلوبة ولا خير محض وان السعيد
التام هو من لا يعرض له مرض البتة وعرف مع ذلك ان الملائكة

يعرفه

الابرار الذين اصطفاهم الله تقربهم لا يلحقهم شي من الالام فلذلك
الى مدا وانها بالاكل والشرب وان الله تعالى منزه متعال عن هذه الاوصاف
عارضوا بان بعض البشر اشرف من الملائكة وان الانسان اجل من ان يذكر
مع اعلى ومشاغبوه وسفهوا رايه واوقعوا الشبها باطلة حتى يشكك
في صحة ما نبه عليه وارشده عقله اليه والعجب الذي لا ينقضي منهم انهم
مع رايهم هذا اذا وجدوا واحدا من الناس قد ترك طريقتهم التي يميلون
اليها واستهان بالشهوات واللذات وصام وطوى واقتصر على [illegible] الارض
عظموه وكثر تعجبهم منه واهلوه للمراتب العظيمة وزعموا انه صفي الله
ووليه وانه شبيه بالملائكة وانفسهم اوضع طبقة من البشر ويخضعون
له ويذلون غاية الذل ويعدون انفسهم اشقيا بالاضافة اليه وفي السبب
ذلك هو انهم وان كانوا من افن الراي والسفاهة على ما نرى فان فيهم (الجشع)
تلك القوة الاخرى الكريمة المميزة وان كانت ضعيفة ما يريهم فضيلة ذلك
الفضل فيضطرون الى اكرامهم وتعظيمهم واذا كانت القوى ثلاثا كما قلنا
مراتبها ادونها النفس البهيمية واوسطها النفس السبعية واشرفها النفس الناطقة
والانسان انما صار انسانا بافضل هذه النفوس اعني الناطقة وبها شارك
الملائكة وبها باين البهايم فاشرف الناس من كان حظه من هذه النفس اكثر وانصرافه
اليها اتم واوفر ومن غلبت عليه احدى النفسين الاخرين انحط عن مرتبة الانسانية

بحسب غلبة تلك النفس عليه فانظر اين تضع نفسك واين تحب ان تنزل من
المنازل التي رتبها الله عز وجل للموجودات فان هذا امر موكول اليك
مردود الى اختيارك فان شئت فانزل في منازل البهائم فانك تكون منهم وان
شئت فانزل في منازل السباع وان شئت ففي منازل الملائكة وكن من خيارهم وفي
كل واحد من هذه المراتب مقامات كثيرة فان بعض البهائم اشرف من بعض وكذلك
لقبول التاديب لان الفرس اشرف على الحمار لقبوله للادب وكذلك البازي
في فضله على الغراب واذا تاملت الحيوان كله وجدت القابل للادب منه اقرب
الى النطق اعني النفس الناطقة افضل من سائره وهو يتدرج في ذلك الى ان
يصير الى الحيوان الذي هو في افق الانسان اعني الذي هو اكمل البهائم وهو في
اخس مرتبة الانسانية وذلك ان اخس الناس هو من كان قليل العقل
قريبا من البهيمة وهم القوم الذين في اقاصي الارض المعمورة وسكان
آخر نواحيه جنوبا وشمالا لا ينفصلون من القرود الا بشيء من التمييز وبذلك
القدر يستحقون اسم الانسانية ثم يتميزون ويتزايدون في هذا المعنى حتى
يبلغوا الى وسط الاقاليم ويعتدل فيهم المزاج القابل للصورة العقل
فيصير فيهم العاقل التام والمميز العالم ثم يتفاضلون ايضا في هذا العقل
الى ان يصيروا الى غاية ما يمكن للانسان ان يبلغ الذي يتقبل قوة العقل والنطق
فيصير حينئذ في الافق الذي بين الانسان والملك ويصير فيهم القابل للذكي

والملتقي من الحكمة ما يفيض عليه فوق العقل ويسح الله نورا للحق ولا حالة للانسان
اعلى من هذه ما دام انسانا ثم يرجع القهقرى الى المنازل الرتبة الناقصة التي
هي ادون مراتب الانسانية فلذلك غلب القوم الذين يضعف فيهم القوة الناطقة
وهم القوم الذين ذكرنا انهم في افق البهائم ثم تقوى فيهم النفس البهيمية فيميلون
الى شهواتها الماخوذة بالحواس كالماكول والمشروب والملبوس وسائر
البهيمة اللذات الشبيهة بها وهولاء هم الذين تجد بهم الشهوات القوية بقوة
نفوسهم البهيمية حتى يركبوها ولا يرتدعوا عنها ويعتقد ما يكون فيهم من
القوة العاقلة يستحيون منها حتى يستتروا بالبيوت ويتواروا
بالظلمات اذا تمتعوا بلذة تخصهم وهذا الحيا منهم هو الدليل على
قبحها فان الجميل بالاطلاق هو الذي يتظاهر به ويحب اظهاره واذاعته
اللازمة وهذا القبح ليس شيء اكثر من النقصانات اللازمة للبشر وهي التي يشتاق
الى ازالتها فالبهيمة هو نقصها وانقصها احوجها الى الستر والدفن
ولو سالت القوم الذين يعظمون امر اللذة ويجعلونها الخير المطلوب
ارجالكم والغاية للانسانية لم يمكنه الوصول الى الاعظم الخيرات وما بالكم تعدون
موافقتها خيرا ثم تستترون بها وتودون سترها وكتمانها فضيلة ومروة
وانسانية والجميع يحبها واظهارها بين اهل الفضل في مجامع الناس
خاصة لتقبضوا ظهر من انقطاعهم وتفرقهم في الجواب بما تعلمه

نشو منذ صباهم ونجمت سيرهم واقلهم حظاً من الانسانية اذا رأى
انساناً فاضلاً احتشمه ووقره واحب ان يكون مثله الا الشاذ منهم
الذي يلزم من خساسة الطبع ونزارة الانسانية ووقاحة الوجه الى التقحم
على نصرة ما هو عليه من غير محبة لرفعة من هو افضل منه فاذن يجب على
العاقل ان يعرف ما ابتلي به الانسان من هذه النقصانات التي في جسمه وحاجاته
الضرورية الى ازالتها وتكميلها اما بالغذاء الذي يحفظ اعتدال مزاجه
وقوام حيوته فينال منه قدر الضرورة في كماله ولا يطلب اللذة بعينها
بل قوام الحيوة التي تتبعها اللذة فان تجاوز ذلك قليلاً فيقصد ما ينبغي
يحفظ رتبته في مروته ولا ينسب الى الدناءة والبخل بحسب حاله ونعمته وقدره
من الناس واما اللباس الذي يدفع به اذى الحر والبرد ويستر العورة
فان تجاوز ذلك فيقصد ما لا يستهجن ولا ينسب الى الشح على نفسه والى
ان يسقط بين اقرانه واهل طبقته واما الجماع الذي يحفظ نوعه ويبقى
ونفي به صورته اعني طلب النسل فان تجاوز ذلك فيقصد ما لا يخرج
به عن السنة ولا يتعدى ما ملكه الى ما يملكه غيره ثم يلتمس الفضيلة في
نفسه العاقلة التي بها صار انساناً وينظر الى النقصانات التي في هذه
النفس خاصة فيروم تكميلها بطاقته وجهده فان هذه هي اعتراف
التي لا تستتر واذا وصل اليها لا يمنع منها مانع ولا يتبرأ عنها بالحيطان

والظلال ونقطعها ابداً بين الناس وفي المحافل ومتى اتفق ان
يكون بعض الناس افضل من بعض وبعضهم اكثر انسانية من بعض تعهد
ليتعهد هذه النفس بغذائها الموافق لها المتمم لنقصاناتها كما يتعهد البدن واما غذاء هذه ملكه
الملايم لها فان غذاها هو العلم والزيادة في المعقولات والارتياض
بالصدق في الآراء وقبول الحق حيث كان ومع من كان والنفور من
الباطل والكذب كيف كان ومن اين جاء فمن اتفق له في الصبا ان يربى
على ادب الشريعة ويؤخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها ثم ينظر بعد
ذلك في كتب الاخلاق حتى تتاكد تلك الآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين
ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان
فلا يسكن الا اليهما ثم يتدرج كما رسمناه في كتابنا الموسوم بترتيب السعادات
ومنازل العلوم حتى يبلغ الى اقصى رتبة الانسان فهو السعيد الكامل
فليكثر حمد الله تعالى على الموهبة العظيمة والمنة الجسيمة ومن لم يتفق له ذلك
في مبدأ النشوء ثم ابتلي بان يربيه والداه على رواية الشعر الفاحش وقبول
اكاذيبه واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبائح ونيل اللذات
كما يوجد في شعر امرئ القيس والنابغة واشباههما ثم صار بعد ذلك
الى الرؤساء يتقربون اليه على روايتها وقول مثلها ويجزلون له العطية
بأقرانه يساعده ويشغله على تناول اللذات الجسمانية ما في الطبيعة الى الاستكثار

جميع

من المطاعم والمشارب والمراكب والزينة وارتباط الخيل العتق
والعبيد الروقة كما اتفق لي مثل ذلك في بعض الاوقات ثم انهمكت فيها
واشتغلت بها عن السعادة التي أهّلها فليعلم جميع ذلك شفاها انعم
وخسر انا الارتجاع وتجشمت على التدرج الى فطام نفسي عنها وما اصعب ذلك
الا انه طريق الخير من التمادي في الباطل وليعلم الناظر في هذا الكتاب اني خاصة
قد تدرجت الى فطام نفسي بعد الكبر واستحكام العادة وجاهدتها
جهاداً عظيماً وقد صيّرت لك ايها الفاحص عن الفضائل والطالب للادب
الحقيقي ما رضيت لنفسي لا تجاوزت في النصيحة لك ايها الملك اشرف عليك
بما انتهى في الغذا امري لتتدارك انت ذلك وانبهك على طريق النجاة قبل ان تلقيه
في مفاوز الضلالة وقدمت لك السفينة قبل ان تغرق في بحور المهالك
فالله الله في نفوسكم معاشر الاخوان والاولاد واستسلموا للحق
بارادة للحق لا المزور وخذوا الحكمة البالغة وانتهجوا الصراط المستقيم
وتصوروا حالات انفسكم وتذكروا قواها واعلموا ان اصح مثل ضرب
لكم في نفوسكم المثل الذي تقدم ذكرها في المقالة الاولى مثل ثلاثة حيوانات
مختلفة جمعت في رباط واحد ملك وسبع وخنزير وايهما غلب بقوته قوة الناقص
كان الحكم له وليعلم من تصور هذا المثل ان النفس لما كانت خوية لغير جسم
ولا فيها شيء من قوى الجسم واعراضه كما بينا ذلك في صدر الكتاب كان اتحادها

واتصالها بخلاف اتحاد الاجسام واتصال بعضها
ببعض وذلك ان هذه الانفس الثلاث اذا اتصلت صارت شيئاً واحداً ومع انها
تكون شيئاً واحداً فهي باقية المغايرة باقية القوى تفقد الواحدة بعد الواحدة
حتى كانها لم تتصل بالاخرى ولم تتحد بها ولم تستغن ايضاً الواحدة
بالاخرى حتى كانها غير موجودة ولا انها تتفرد بعد وجودها وذلك ان
اتحادها ليس بان يتصل نهاياتها ولا بان تتلاقى سطوحها كما يكون ذلك
في الاجسام بل تصير في بعض الاحوال شيئاً واحداً وفي بعض الاحوال
اشياء مختلفة بحسب ما تهيج قوى بعضها او تسكن ولذلك ظن قوم ان النفس
واحدة ولها قوى كثيرة وقال الاخرون بل هي واحدة بالذات كثيرة بالعرض
والموضوع وهذا شرح يخرج الكلام فيه عن غرض الكتاب وسنذكره سني
في موضعه وليس يضرك في هذا الوقت ان تعتقد اي هذه الاراء شئت بعد
ان تعلم ان بعض هذه كريمة ادبية بالطبع وبعضها مهينة عادمة للادب
بالطبع ليس فيها استعداد لقبول الادب وبعضها عادمة للادب لا لقبول
انها تقبل التأديب وتنقاد له وهي ادبية اما الكريمة الادبية بالطبع فالنفس
الناطقة واما العادمة للادب وهي مع ذلك غير قابلة فهي النفس البهيمية لرم
واما التي عدمت الادب لكنها تقبله وتنقاد له فهي النفس الغضبية
وانما وهب الله لنا هذه النفس خاصة لنستعين بها على تقويم البهيمية

الى ان تقبل الادب وقد شبه القدماء الانسان في حاله في هذه الانفس
الثلث بانسان راكب بهيمة قوية ويقود كلبا قويا او فهدا للقنص فان كان
الانسان هو المسلط منهم هو الذي يروض دابته وكلبه ويصرفهما وتطيعانه في حركته
وتصيده وسائر متصرفاته فلا شك في رغد العيش المشترك بين الثلثة وحسن
احوالهم لان الانسان يكون مصرفا لها في مطالبه ويحرك فرسه حيث يجب ويكف
ويقطع ايضا كلبه كذلك فاذا نزل واستراح اراحهما معه واحسن القيام عليهما
وازاح عللهما في المطعم والمشرب وكفاية الاعداء وغير ذلك من مصالحها
واذا كانت البهيمة هي الغالبة فانظر الى حال الثلثة كيف يكون الانسان صعبة
عنده فلم تطع فارسها وعلكت فاها ان تجتنب من بعيد عند
نحوه وتتعسف في جري وتعدل عن الطريق النهج فاعترضتها
الاودية والوهاد والشوك والشجر فتقحمها وتورطت بها بحمل
فارسها ما يلحق مثله في هذه الاحوال فتصيبها جميعا من انواع المكاره
ويشرف على الهلكة ما لا خفاء به وكذلك ان قوي الكلب لم يطع صاحبه
فان راى من بعيد صيدا او ما يظنه صيدا اخذ نحوه يجذب الفرس
وفارسه ليجمع من الضرر الضرر اضعاف ما ذكرناه وفي فصول
هذا المثل الذي ضربه القدماء تنبيه على هذه النفوس بعضها عند بعض
ودلالة على ما وهبه الله للانسان ومكنه منه وعرضه له وما فضله

وعلكت خ

ح الوادي

بعصيان

ح التعقيب

بعصيان حالة يعرفها عند اهمال السياسة واقتناعها ما بين النفسين
وتبعثها لها وبها اللذان يصنعان تقبيحاه فبنا فرق عليها فمن ساسها
ممن اهمل سياسته اهمل وضع نعمته عليه وقبول هذه القوى فيه حالها
مضطربة الى مصار الرعشة ... والملكي فيها خضعا
تتقاعس لها الى حتى تنزو وتتمرد هو ايضا معها فنعوذ بالله من الانعكاس
في اهل الذي تسمه طاعة الشياطين واتباع الابالسة فليس للانسان
بها الى غير هذه القوى التي وصفناها ووصفنا احوالها وفيما اتاه الله
عصمته وموقفه على تهذيب هذه النفوس حتى تفضي بها الى طاعته التي هي
مصالحنا وبها نجاتنا وخلاصنا الى الفوز الاكبر والنعيم السرمد فقد علمنا
الان ان النفس العاقلة اذا عرفت شرف نفسها واجتنبت ... فعلها من الله
اجتنبت خلافته في تهذيب هذه القوى وسياستها ونهضت ... التي
اعطاها الله ... كرامة الله ... من العلو والشرف ولم يخضع
للسبع ولا للبهيمة بل تقوم النفس الغضبية الى سمتها ... ويعودها
الانقياد لها على حسن طاعتها ... فتنهضها في وقت هيجان النفس البهيمية
وحركتها الى الشهوات حتى يقع بها سلطان العقل ويستحي بها في بادئها ويستحيي
بتقويم هذه على ان ... ذلك ان هذه النفس الغضبية قابلة للادب قوية
على قمع الاخرى كما قلنا وتلك النفس البهيمية عادمة للادب غير قابلة له فاما

بابه

نفني د

وقد شبه الحكماء حال ... اهمل سياسة نفسه ... ونزل سلطان ... [illegible]

العاقلة في

الحكمة

فأما النفس الناطقة أعني العاقلة فهي كما قال أفلاطن مثل الالفاظ اما
هذه فهي مثل الذهب في اللين والانعطاف وأما تلك فمثل الحديد في الصلابة
والامتناع فإن أنت آثرت الفعل الجميل في وقت وحاذتك القوة
الأخرى إلى اللذة وإلى خلاف ما آثرت فاستعن بقوة الغضب التي تثور
وتهيج بالأنفة والحمية واقهر بها النفس البهيمية فإن غلبتك مع ذلك
ثم ندمت وأنفت فأنت في طريق الصلاح فتمم عزمك واحذر أن
تعاود كيلا تطمع فيك الغلبة لك فإن أنت لم تفعل ذلك فلم يكن العقبى
في الغلبة لك كنت كما قال الحكيم الأول إني أرى أكثر الناس يدعون محبة
الأفعال الجميلة ثم لا يحتملون المؤونة فيها على علمهم بفضلها فعليهم النزهة
وتجنب البطالة فلا يكون بينهم وبين من لا يحب الجميل فرق إذ لم يحتملوا
مؤونة الصبر ويصيروا إلى تمام ما آثروه وعرفوا فضله واذكر مثل البصير
الذين يؤدي بهما البصير والأعمى فيكونان في المهلكة سواء إلا أن الأعمى أعذر
ومن وصل من هذه الآداب إلى مرتبة يحمد بها واكتسب بها الفضائل
التي عددناها فليعتقد وجوب حقه عليه بأدب غيره وإفاضة ما أعطاه الله
على أبناء جنسه

فصل في تأديب الأحداث والصبيان

خاصة نقلت أكثره من كتاب بروسن وقد قلنا فيما تقدم أن أول ما
يظهر في الإنسان أول ما يتكون فيه القوة التي يشتاق بها إلى الغذاء الذي به

سبب كونه حيا فيتحرك بالطبع إلى اللبن ويلتمسه من الثدي الذي هو معدنه
من غير تعلم ولا توقيف ويحدث له مع ذلك قوة التماسه بالصوت الذي هو
مادته ودليله الذي يدل به على اللذة والأذى ثم تنمو وتزيد فيه هذه القوة
له ويشتاق بها أبدا إلى الازدياد والتصرف بها في أنواع الشهوات ثم يحدث فيه
قوة على الحركة نحوها بالآلات التي تخلق له ثم يحدث له الشوق إلى الأفعال التي تحصل
له بها ثم يحدث له من الحواس قوة على تخيل الأمور وترتسم في قوة الخيال مثالاتها
فيشتاق إليها ثم يظهر فيه قوة الغضب التي يتسلى بها إلى دفع ما يؤذيه ومقاومة
ما يمنعه من منافعه فإن أطاق بنفسه أن ينتقم من مؤذياته انتقم منها وإلا التمس
معونة غيره واستصرخ الوالدين بالتصويت والبكاء ثم يحدث له الشوق إلى تمييز
الأفعال الإنسانية خاصة أولا أولا حتى يصل إلى كماله في هذا التمييز فيسمى حينئذ عاقلا
وهذه القوى كثيرة وبعضها ضروري في وجود الأخرى إلى أن ينتهي إلى الغاية الأخيرة
وهي التي أفرادنا لغاية أخيرة وهي الغرض المطلوب الذي يتشوقه الإنسان من حيث هو إنسان
فأول ما يحدث فيه من هذه القوى الحياء وهو الخوف من ظهور شيء قبيح منه ولذلك
قلنا أن أول ما ينبغي أن ينظر في الصبي ويستدل به على عقله الحياء فإنه يدل على أنه قد
أحس بالقبيح ومع إحساسه به هو يحذره ويتجنبه ويخاف أن يظهر منه أو فيه
فإذا نظرت إلى الصبي فوجدته مستحييا مطرقا بطرفه إلى الأرض غير وقاح
الوجه ولا يحدق إليك فهو أول دليل نجابته والشاهد لك على أن نفسه قد أحست

ما يجمل والقبيح وان حياه هو انحصار النفس خوفا من قبيح يظهر منها
وهذا ليس بشي اكثر من ايثار الجميل والهرب من القبيح بالتمييز والعقل وهذه
النفس مستعدة للتأديب صالحة للعناية به لا يجب ان تهمل ولا تترك ومخالطة
الاضداد الذين يفسدونها بالمقارنة والمداخلة ومن كان هذه حاله
لاستعداده لقبول الفضيلة فان نفس الصبي ساذجة لم تنتقش بعد بصورة
ولا لها راي وعزيمة تميلها من شي الى شي فاذا انتقشت بصورة وقبلتها نشا
عليها واعتادها فالاولى لمثل هذه النفس ان تنبه ابدا على حب الكرامة ولا
سيما ما يحصل له منها بالدين دون المال ثم بسننه ووظايفه ثم يمدح — وبلزوم م
الاخيار عنده ويمدح هو في نفسه اذا ظهر منه شي ويخوف من المذمة — جميل م
على ادنى قبيح يظهر منه ويؤخذ بالاستهانة بالماكل والمشارب والملابس — قبيح
الفاخرة ويزين عنده ظلف النفس والترفع عن الحرص في المطاعم خاصة
وفي اللذات عامة ويحبب اليه الايثار لغيره على نفسه في الغذاء والاقتصار
على الشي المعتدل والاقتصاد في التنعم بها ويعلم ان اولى الناس بالملابس الملونة — ويعلم م
النسا اللواتي يتزين للرجال ثم العبيد والخول وان الاحسن باهل النبل — الحايك الخادم
والشرف من اللباس البياض وما اشبهه حتى اذا نشا على ذلك وسمعه — والعروة
كل من يقرب منه وتكرر عليه ولم يترك ومخالطة من يسمع منه ضد ما ذكرناه — العبد والسيادة
لا سيما في اترابه ومن كان في مثل سنه ممن يعاشره وذلك ان الصبي في اول

نشوه

نشوه يكون على الاكثر قبيح الافعال جدا فانه يكون كذوبا ويحكي ما لم يسمعه ولم
يره ويكون حسودا سروقا نماما لجوجا ذا فضول ويمكر وكيادا وضرره
بنفسه وبكل امر يلابسه ثم لا يزال به التأديب والسن والتجارب
حتى ينتقل في احوال بعد احوال فلذلك ينبغي ان يؤخذ ما دام طفلا بما
ذكرناه وبذكره ثم يطالب بحفظ محاسن الاخبار والاشعار التي تجري
مجرى ما تعوده بالادب حتى تتأكد عنده بروايتها وحفظها والمذاكرة
بها جميع ما قدمنا ذكره ويجنب النظر في الاشعار السخيفة وما
فيها من ذكر العشق واهله وما يوهمه اصحابها انه ضرب من الظرف
ورقة الطبع فان هذا الباب مفسدة للاحداث جدا ثم يمدح بكل
ما يظهر منه من خلق جميل وفعل حسن ويكرم عليه فان خالف في بعض الاوقات — ويكرم
ما ذكرته فالاولى ان لا يوبخ عليه ولا يكاشف بانه اقدم عليه بل يتغافل — عنه تغافل من
لا يخطر بباله انه قد تجاسر على مثله ولا هم به لا سيما ان ستره الصبي واجتهد
في ان يخفي ما فعله عن الناس فان عاد فليوبخ سرا وليعظم عنده ما
اتاه ويحذر من معاودته فانك ان عودته التوبيخ والمكاشفة حملته
على الوقاحة وحرضته على معاودة ما كان استقبحه وهان عليه سماع
الملامة في ركوب القبائح من اللذات التي تدعو اليها نفسه وهذه
اللذات كثيرة جدا والذي ينبغي ان يبدأ به في تقويمه ادب المطاعم فيفهم اولا

انها انما يراد للصحة لا للذة فان الاغذية كالادوية انما خلقت واعدت لنا لتخلف
بها ابداننا وتصير ذاته لحياتنا فهي تجري مجرى الادوية يتداوى بها الجوع
والالم الحادث منه فكما ان الدواء لا يراد للذة ولا يستكثر منه للشهوة فكذلك
الاطعمة لا ينبغي ان يتناول منها الا ما يحفظ صحة البدن ويدفع الم الجوع ويمنع
من المرض فيحقر عنده قدر الطعام الذي يستعظمه اهل الشره ويقبح عنده حال
من يشره اليه ويتناول منه فوق حاجة بدنه او ما لا يوافقه حتى يقتصر على لون واحد
ولا يرغب في الالوان الكثيرة واذا جلس مع غيره لا يبادر الى الطعام بل يتوقف
قبل غيره ولا يديم النظر الى الالوان ولا يحدق الى من يشاركه ويقتصر على ما يليه ولا يسرع
الاكل ولا يداوم عليه ... ولا يعظم اللقمة ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها ولا
يلطخ يده ولا ثوبه ولا يلطخ من يؤاكله ولا يتبع بنظره مواقع يد من الطعام ويتعود
ان يؤثر غيره بما يليه ان كان افضل عنده ثم يضبط شهوته حتى يقتصر على ادنى الطعام
وادونه وياكل الخبز القفار الذي لا ادم معه في بعض الاوقات وهذه الاداب
وان كانت جميلة بالفقراء فهي بالاغنياء اجمل وينبغي ان يتناول غذاءه بالعشي فانه
ان استوفاه بالنهار كسل واحتاج الى النوم وتبلد فهمه مع ذلك فان اطعم اللحم
في اكثر ... فانه كان نافعا له في الحركة والنشاط وقلة البلادة ويبعثه على النشاط
والخفة واما الحلواء والفواكه فينبغي ان يمتنع منها البتة ان امكن والا فيتناول اقل
ما يمكن فانه يستحيل في بدنه قبل الغذاء ويعوده مع ذلك الشره ويجلب الاستكثار

يلطخ ر
اكثر
يمتنع ر

الطعام
فانها

من الاكل ويعود ان لا يشرب في خلال الطعام فانه اشد ضررا فاما النبيذ واصناف
الاشربة المسكرة فاياه واياها فانها تضره في بدنه ونفسه وتحمله على سرعة
الغضب والتهور والاقدام على القبائح وعلى الفحش وسائر الخلال المذمومة
ولا ينبغي ان يحضر مجالس اهل النبيذ الا ان يكون اهل المجلس ادباء فضلاء فاما
غيرهم فلا لئلا يسمع الكلام القبيح والسخافات التي تجري بينهم وينبغي
ان لا ياكل حتى يفرغ من وظايف الاداب التي يتعلمها ويتعب تعبا كافيا وينبغي
ان يمنع من كل فعل يستره ويخفيه فانه ليس يخفي شيئا الا وهو يظن او
يعلم انه قبيح ويمنع من النوم الكثير فانه يثقله ويغلظ ذهنه ويميت
خواطره وهذا بالليل فاما بالنهار فلا ينبغي ان يتعوده البتة ويمنع ايضا
من الفراش الوطي وجميع انواع الترفه والتنعم حتى يصلب بدنه ويتعود
الخشونة ولا يتعود الخيش والاسراب في الصيف ولا الادثار والنيران
في الشتاء من الاسباب التي ذكرناها ويتعود المشي والحركة والركوب
والرياضة حتى لا يتعود اضدادها ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع
في مشيه ولا يدخل يديه في ابطه الى المرفق ولا يزين شعره ولا يتزين بملابس
النساء ولا يلبس خاتما الا وقت حاجته اليه ولا يفتخر على اقرانه بشيء مما
يملكه والداه ولا بشيء من ماكله وملابسه وما يجري مجراها بل يتواضع
لكل احد ويكرم كل من عاشره ولا يتوصل بشرفه ان كان له او سلطان

من اهله ان ينقل الى غضب من يؤدبه او استشهد اسم لا يمكن ان يدفع
عن هواه او تطاول عليه يمكن ان يقول ان كان خالفه وزيرا او غيره سلطانا
تطرق به الى تعظيم اقرانه وتعلم اخوانه واستنباحه بين الجيرانه ومعارفه
ويعوّد ان لا يبصق في مجلسه ولا يمتخط ولا يتثاءب بحضرة غيره
ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب تحت ذقنه بساعده ولا يعمد راسه
بيده فان جميع هذا دليل الكسل وانه قد بلغ به التعب الى ان لا يحمل
راسه حتى يستعين بيده ويعوّد ان لا يكذب ولا يحلف البتة لا صادقا
ولا كاذبا فان هذا قبيح بالرجال مع الحاجة اليه في بعض الاوقات فاما
الصبي فلا حاجة به الى اليمين ويعوّد ايضا الصمت وقلة الكلام وان
لا يتكلم الا جوابا واذا حضر من هو اكبر منه اشتغل بالاستماع منه والصمت
له ويمنع من خبيث الكلام وهجينه ومن السب واللعن ولغو الكلام
ويعوّد حسن الكلام وظريفه وجميل اللقاء وكريمه ولا يترك ان يستمع الى
اضدادها من غيره ويعوّد خدمة نفسه ومعلمه وكل من كان اكبر منه
واحوج الصبيان الى هذا الادب اولاد الاغنياء والمترفين وينبغي
اذا ضربه المعلم ان لا يصرخ ولا يستشفع باحد فان هذا فعل المماليك
ومن هو خوار ضعيف ولا يعير احدا الا بالقبيح والسيء منه
ويعوّد ان لا يوحش الصبيان بل يبرهم ويكافئهم على الجميل باكثر

لئلا يتعوّد الربح على الصبيان بل على الصديق ويبغّض اليه الفضة والذهب
ويحذّر منهما اكثر من تحذير السباع والحيات والعقارب والافاعي
فان آفة حب الفضة والذهب اكثر من آفة السموم وينبغي ان يؤذن
له في بعض الاوقات ان يلعب لعبا جميلا ليستريح اليه من تعب الادب
ولا يكون في لعبه الم ولا تعب شديد ويعوّد طاعة والديه ومعلميه
ومؤدبيه وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم ويهابهم فان هذه
الآداب هي نافعة لهم وهي للكبار من الناس ايضا نافعة ولكنها للاحداث
انفع لانها تعوّدهم محبة الفضائل وينشؤون عليها فلا يثقل عليهم تجنب
الرذائل ويسهل عليهم بعد ذلك جميع ما ترسمه الحكمة وتحده السنة
والشريعة ويعتادون ضبط النفس عما تدعوهم اليه من اللذات
القبيحة وتكفهم عن الانهماك في شيء منها والفكر الكثير فيها وتسوقهم
الى مرتبة الفلسفة العالية وترقيهم الى معالي الامور التي وصفناها
في اول الكتاب من التقرب الى الله عز وجل ومجاورة الملائكة مع حسن الحال
في الدنيا وطيب العيش وجميل الاحدوثة وقلة الاعداء وكثرة المداح
والراغبين في مودته من الفضلاء خاصة فاذا تجاوز هذه الدرجة
وبلغ اماما ان يفهم اغراض الناس وعواقب امورهم عرفتهم ان الغرض الاخير من
هذه الاشياء التي يقصدها الناس ويحرصون عليها من الثروة واقتناء

الصياع والجميلة والخيل والفروسية واشباه ذلك انما هو توفير البدن
وحفظ صحته وان يبقى على الغذاء المدة ما وان لا يقع في الامراض والابخاة
المنية وان يتهيأ بنعمة الله تعالى عليه ويستعد لدار البقاء والحياة السرمدية
وان اللذات البدنية كلها بالحقيقة هي خلاص من الالام وراحات من تعب
فاذا عرف ذلك وحققه ثم تعودها لسيرة الالهية تعود الرياضات التي
تحرك الحرارة الغريزية وتحفظ الصحة وتنفي الكسل وتطرد البلادة
وتبعث النشاط وتذكي النفس فمن كان غنيا مترفا كانت هذه الاشياء
التي رسمتها اشق عليه لكثرة من يحف عليه ويبعثه وللموافقة طبيعية

ندر

الانسان اول ما ينشأ هذه اللذات واجماع جمهور الناس على ان امكنهم
منها وطلب ما تعذر منهم ببذل جهدهم فاما الفقراء فالامر عليهم اسهل
بل هم قريبون الى الفضائل قادرون عليها متمكنون من نيلها والاصل
منها وحال المتوسطين من الناس متوسط بين هاتين الحالتين وقد كان
ملوك الفرس الفضلاء لا يربون اولادهم بين حشمهم وخواصهم خوفا عليهم
من الاحوال التي ذكرناها وكانوا يبعثونهم مع ثقاتهم الى النواحي
البعيدة منهم ومن شاع ما اخذت منه فكان يتولى تربيتهم اهل
الجفاء وخشونة العيش ممن لا يعرف التنعم ولا الرفاهة واخبارهم
في ذلك مشهورة وكثير من رؤساء الديلم في زماننا هذا ينقلون اولادهم

عنده يمشون الى غير بلادهم ليتعودوا بها هذه الاخلاق ويبعدوا
عن التنعم وعادات اهل البلدان الرديئة واذ قد عرفت هذه الطرق
المحمودة في تأديب الاحداث فقد عرفت اضدادها اعني من نشأ

آلته

على خلاف هذا المذهب فالتاديب لم يزح فلا حيلة ولا ينبغي ان يشتغل
بصلاحه وتقويمه فانه قد صار يشابه الخنزير الوحشي الذي لا يطمع في
رياضته فان نفسه العاقلة تصير خادمة لنفسه البهيمية ونفسه الغضبية

لى منهمكة في مطالبها

متمكنة في مطالبها من الشهوات كما انه لا سبيل الى رياضة سباع البهائم

والشهوات

الوحشية التي لا تقبل التاديب كذلك لا سبيل الى رياضة من نشأ على
هذه الطريقة واعتادها وابعد قليلا في السن اللهم الا ان يكون في
جميع احواله عالما بقبح سيرته ذاما لها عائبا على نفسه عازما على
الاقلاع والانابة فان مثل هذا الانسان قد يرجى له النزوع عن
اخلاقه بالتدريج والرجوع الى الطريقة المثلى بالتوبة ومصاحبة
الاخيار واهل الحكمة وبالاكباب على التفلسف اذ قد ذكرنا
الخلق المحمود وما ينبغي ان يؤدب به الاحداث والصبيان فلنبين واصفوا
جميع القوى الحركية التي تحدث للحيوان الذي لا اول الذي ينتهي الى اقصى
الكمال في الانسانية فاقول انه لا حاجة الى معونة في ذلك ليبتدي على
الترتيب الطبيعي متقوم واحد واحد منها ونقول ان الاجسام الطبيعية

كلها بينشر في الحد الذي هي تمام تتفاضل بقبول الآثار الشريفة والصور
التي تحدث فيها فان الجماد منها اذا قبل صورة مقبولة عند الناس
صار بها افضل من الطينة التي لا تقبل تلك الصورة فاذا بلغ الى
ان يقبل صورة النبات صار بزيادة هذه الصورة افضل من الجماد
وتلك الزيادة هي الاغتذاء والنمو والامتداد في الاقطار واجتذاب
ما يوافقه من الارض والماء وترك ما لا يوافقه ولفظ الفضول التي
يتولد فيه من غذائه عن جسمه بالصموغ وهذه هي الاشياء التي تفضل
بها النبات من الجماد وهي حال زائدة على الجسمية التي حددنا ها وكانت
حاصلة في الجماد وهذه الحال الزائدة في النبات التي شرف بها على الجماد
يتفاضل وذلك ان بعضها يقارب الجماد مقاربة يسيرة كالمرجانية اشباهه
ثم يتدرج فيها بفضل له من هذه الزيادة شيء بعد شيء فبعضها ينبت من غير
زرع ولا بذر ولا يحفظ نوعه بالثمر والبذر ويكفيه في حدوثه امتزاج
العناصر وهبوب الرياح وطلوع الشمس وهذه في افق الجمادات
وقرب الحال منها ثم يزداد هذه الفضيلة في النبات فيفضل بعضه على
بعض فيظهر ثم يتدرج حتى يظهر فيه قوة الاثمار وحفظ النوع بالبذر
الذي يخلف به مثله فيصير هذه الحال الزائدة فيه وتميز له عن حال ما قبله
ثم يقوى الفضيلة فيه حتى يصير فضل الثالث على الثاني كفضل الثاني على الاول

ولا تزال الشرف ويفضل بعضه على بعض حتى يبلغ الى افقه وطرفه في
افق الحيوان وهي كرائم الشجر كالزيتون والرمان والكرم واصناف
الفواكه ثم لا تنال بعد مخالطة القوى التي تتوفى بكونها وابانتها مختلطات
غير متميزة فهي النخل ثم اتي النخل ولم يبلغ غاية افقها التي يتصل بافق الحيوان
ثم يزداد ويتنوع في هذا الافق الى ان يصير في افق الحيوان فلا يحتمل زيادة
وذلك انها ان قبلت زيادة يسيرة صارت حيوانا وخرجت عن افق النبات
فحصل تتميز قواها وتحصل فيها ذكور واناث وتقبل من فضائل الحيوان
امور اتميز بها عن سائر النبات والشجر كالنخل الذي طالع افق الحيوان بالخواص
العشر المذكورة في مواضعها ولم يبق بينه وبين الحيوان الا رتبة واحدة وهي
الانقلاع من الارض والسعي الى الغذاء وقد روي عن اخر ما هو كالانسان او كالتركي
الى هذا المعنى وهو قوله صلى الله عليه وسلم اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية
طينة آدم فاذا تحرك النبات وانقلع من افقه وسعى الى غذائه ولم يتقيد
في موضعه الى ان يصل اليه غذاؤه وكونت له الآلات التي ذكرناها وما يحتاج
اليه بكماله فقد صار حيوانا وهذه الآلات يتزايد في الحيوان من اول
افقه ويتفاضل فيه فيشرف بعضها على بعض كما كان ذلك في النبات الى ان يصل
الى نهاية فيتسلم الى ما يصلح لهذه الرتبة بقبول التمام الذي يليه فيهتدي
الى المصالح فيطلبها والى اضدادها فيهرب منها فما كان من الحيوان في اوله

ولا تزال يتصل فضيلة بعد فضيلة حتى يظهر فيها تقع الشعور بالله والادراك ويليق به

افق النبات فانه لا يتزاوج ولا يخلف المثل بل يتولد فقط كالديدان والذباب
واصناف من الحشرات الخسيسة ثم يتزايد فيها قبول الفضيلة كما كان
ذلك في النبات سواء ثم تحدث فيه قوة الغضب التي تنهض بها الى دفع
ما يؤذيها فيتسلح من السلاح بحسب قوتها وما تطيق استعماله فان كانت
قوة الغضب شديدة كان سلاحه قويا تاما وان كانت ناقصة كان ناقصا وان
كانت ضعيفة جدا لم يعط سلاحا البتة بل يعطى آلة الهرب كشدة العدو والقدرة
على الحيل التي تنجيه مما يخافه وانت ترى ذلك عيانا من الحيوان الذي قد اعطي
القرون التي تجري مجرى الرماح والذي اعطي الانياب والمخالب التي تجري مجرى
السكاكين والخناجر والذي اعطي آلة الرمي التي تجري مجرى النبل
والنشاب والذي اعطي الحوافر التي تجري مجرى الدبوس والطبر واما ما لم
يعط سلاحا لضعفه عن استعماله وقلة شجاعته ونقصان قوته الغضبية
ولانه لو اعطيه لصار كلا عليه فقد اعطي آلة الهرب والحيل بجودة العدو والخفة
والحيل والمراوغة كالارانب والثعالب واشباهها واذا تصفحت احوال
الموجودات من السباع والوحش والطير رأيت هذه الحكمة مستمرة فيها فتبارك
الله احسن الخالقين واما الانسان فقد عوض من هذه الآلات كلها بان
هدي الى استعمالها كلها وسخرت هذه كلها له وسنتكلم على ذلك في موضع خاص
واذكر اسباب هذه الاشياء كلها والشكوك التي تعرض في قصد بعضها بالـ

الالم والاذى فليس يليق بهذا الموضع وسنذكرها الى آخر الله تعالى في الاجل
عند بلوغنا الى الموضع الخاص به ونعود الى ذكر مراتب الحيوان فنقول
ان ما اهتدى منها الى الازدواج وطلب النسل وحفظ الولد وتربيته والاشفاق
عليه بالكن والعش والكناس كما نشاهده في كثير منها وفي تعهده بالغذاء اما باللعق
واما بنقل الغذاء اليه فانه افضل مما لا يهتدي الى شيء منها ثم لا تزال هذه الاحوال
تتزايد في الحيوان حتى تقرب من افق الانسان فتشبهه ويقبل التأديب ويصير له تفضيلة
ذو فضيلة يتميز بها من سائر الحيوانات حتى يشرف بها ضروب الشرف
كالفرس المؤدب والبازي المعلم ثم تصير من هذه المرتبة الى مرتبة الحيوان
الذي يحاكي الانسان من تلقاء نفسه ويتشبه به من غير تعليم كالقردة وما اشبهها
ويبلغ من ذكائها ان تكتفي في التأديب بان ترى الانسان يعمل عملا فتعمل مثله من
غير ان تحوج الانسان الى تعب بها ورياضة لها وهذه غاية افق الحيوان التي
ان تجاوزها وقبل زيادة يسيرة خرج بها عن افقه وصار في افق الانسان
الذي يقبل العقل والتمييز والنطق والآلات التي يستعملها والصور التي تلائمها
فاذا بلغ هذه المرتبة تحرك الى المعارف واشتاق الى العلوم وحدثت له
قوى وملكات ومواهب من الله تعالى يقتدر بها على الترقي والامعان في
هذه المرتبة كما كان ذلك في المراتب الاخر التي ذكرناها فاول هذه المراتب
من افق الانسان المتصل بآخر ذلك الافق الحيواني مراتب الناس الذين يسكنون

لا جرم تتزايد هذه الفضيلة في الحيوانات هو

في اقاصي المعموره من الشمال والجنوب كاواخر الترك من بلاد ياجوج
وماجوج واواخر الزنج واشباههم من الامم التي لا تتميز عن القرود الا
بمرتبه يسيره ثم تتزايد فيهم قوه التمييز والفهم الى ان يصيروا الى اواسط
الاقاليم فيحدث فيهم الذكا وسرعة الفهم وقبول الفضايل والى هذا الموضع
ينتهي فعل الطبيعه التي وكلها الله تعالى بالموجودات المحسوسه ثم يستعد بهذا
القبول لاكتساب الفضايل واقتنا الادب بالاراده والسعي والاجتهاد
الذي ذكرناه فيما تقدم حتى يصل الى آخر افقه فاذا صار الى آخر افقه اتصل
باول افق الملايكه وهذه اعلى مرتبه الانسان وعندها تتناهى الموجودات
ويتصل اولها باخرها وهي التي تسمى دايره الوجود لان الدايره
هي التي قيل في حدها انها خط واحد يبتدي بالحركه من نقطه وينتهي اليها بعينها
ودايره الوجود هي المتحده التي جعلت الكثره وحده وهي التي تدل دلاله
صادقه برهانيه على وحدانيه موجدها وحكمته وقدرته تبارك اسمه وتعالى
جده وتقدس ذكره ولولا ان شرح هذا الموضع لا يليق بصناعه تهذيب الاخلاق
لشرحته ولكن نقف عليه ان نطق هذه المرتبه مشيه الله تعالى واذا تصور
متصور ما اومانا اليه وفهم ما اطلعنا عليه الى الحال التي خلقت لها وندبت اليها ثم
الافق الذي يتصل بافق ... مرتبه بعد مرتبه ودركه بعد طبقا عن طبق
وجدت الى باب الصحيح وشهدت شاهدا عن غيرك من الدنيا والغيث

ابتداء الانسان

ووجوده

الى ان يتدرج الى العلوم الشريفه المنسوبه الى سياستها فاولها علم المنطق فانه آلة له
في تقويم الفهم والعقل الغريزي ثم الوصول به الى معرفه الخلايق وطبايعها
ثم التفقه بها والتوسع فيها والتوصل منها الى العلوم الالهيه حينيذ يستعد
لقبول مواهب الله تعالى وعطاياه ويأتيك الفيض الالهي فيتسلى عن قلق الطبيعه
ونحو الشهوات الحيوانيه ويلحظ المراتب التي ترقى فيها اولا اولا من مراتب
الموجودات وعلم ان كل مرتبه منها محتاجه الى ما قبلها في وجودها وعلمت
ان الانسان لا يتم له كماله الا بعد ان يحصل له ما قبله وانه اذا حصل انسانا كاملا
وبلغ غايه افقه اشرق نور الافق الاعلى عليه وصار اما حكيما تاما تاتيه الالهامات
فيما يتصرف فيه من المحاولات الحكميه بالتاييدات العلويه في التصورات العقليه
واما نبيا مويدا ياتيه الوحي على ضروب المنازل التي تكون عند الله تعالى فيصير حينيذ
واسطه بين الملا الاعلى والملا الاسفل وذلك بعد تصوره حال الموجودات
كلها والاحوال التي تنتقل اليها من حال الانسانيه مطالعه الافاق التي ذكرناها
وحينيذ يفهم عن الله تعالى مولانا العلم بعض ما اخفى لهم لاوليه ويتصور معنى
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر واذا بلغنا الكلام الى ذكر هذه المنزله العاليه الشريفه التي
اهل الانسان لها وعرفنا احواله التي يترقى فيها وانه يكون اولا بالشوق
الى المعارف والعلوم فينبغي ان نبتدي ببيانه وشرحه فنقول ان هذا الشوق

ربما ساق الإنسان على منهاج قويم وقصد صحيح حتى يتمادى إلى
غاية كماله وهي سعادته التامة وقلما يتفق ذلك وربما اعوج به
عن السمت والسنن وذلك لأسباب كثيرة يطول ذكرها ولا حاجة بنا إلى ذكرها
الآن داخلة في تهذيب خلقك فكما أن الطبيعة المدبرة للأجسام ربما
تشوقت بالبدن إلى تمام الجسم الطبيعي لكنها يحدث به آفات تقطعه عليه بمنزلة
من يشتاق إلى الكمال الطبيعي وما جرى مجراه فلما لا يمكن الطبيعة الجسد إلا به ممن
ويفسد كذلك أيضا النفس الناطقة ربما أساء فيه المنظر والتمييز الذي
لا يمكنه ولا يشوقه نحو سعادته بل يحركه إلى الأشياء التي تعوقه وتعطله عن
كما أن الجسد يحتاج إلى العلاج فيحتاج نفساني روحاني كما احتاج في الحالة لرد الحال
الأولى إلى طبيب جسماني ولذلك كثر حاجات الناس إلى المقومين والمثقفين والـ
والمسددين نجار وجود ذلك الطبائع الفائقة التي يساوقها من
غير توقيف إلى السعادة عزيز الوجود ولا يوجد إلا في الأزمنة الطوال
والمدد البعيدة ولهذا الأدب الحاجة التي يؤدينا إلى غاياتنا يجب أن
نلحظ فيه المبدأ الذي يجري مجرى الغاية حتى إذا لحظت بالغاية فيتدرج منها
إلى الأمور الطبيعية على طريق التحليل ثم نبتدئ من أسفل على طريق التركيب
فنسلك فيها إلى أن ننتهي إلى الغاية التي لحظت أولا وهذا هو المعنى الذي
أحوجنا إلى النهوض لهذا الكتاب في فصول أخر منه أن نذكر أشياء عالية وطلبنا

هذه الصناعة لتُشوّق إليها من يستحقها وليس يمكن الإنسان أن يشتاق إلى ما
لا يعرفه فإذا لحظها من بعيد قبولها وعنايته بها عرف منها بعض المعرفة فيتشوقها
ويسعى نحوها ويحتمل التعب والنصب فيها وينبغي أن نعلم أن كل إنسان يجد بحسب تفضله
ما يهيأ إليها أقرب وبالوصول إليها أحرى ولذلك ما يصير سعادة الواحد من
الناس غير سعادة الآخر إلا من تتفق له نفس صافية وطبيعة فائقة فينتهي
إلى الغايات الأمور التي الغاية غاياتها أعني السعادة القصوى التي لا سعادة بعدها
ولأجل ذلك وجب على مدبر المدن أن يسوق كل إنسان نحو سعادته التي تخصه
فيقسم عنايته بالناس ونظره لهم قسمين أحدهما في تقويم الناس وتقويمهم
بالعلوم الفكرية والآخر في تسديدهم نحو الصناعات والأعمال الحسية وإذا
سددهم نحو السعادة الفكرية بدأ بهم من الغاية الأخيرة على طريق التحليل
ووقف بهم عند القوى التي ذكرناها وإذا سددهم نحو السعادة العملية بدأ بهم
من عند هذه القوى وانتهى بهم إلى تلك الغايات ولما كان غرضنا في هذا الكتاب
وعملنا فيه الحكمة خاصة للعوام وكان النظر المقدم لعادة حيل وذكر
الخير المطلق والسعادة الإنسانية لنلحظ الغاية الأخيرة ثم نطلب الأفعال
الإرادية التي ذكرناها جملها في المقالة الأولى وأرسطوطاليس إنما بدأ كتابه بهذا
الموضع وافتتح بذكر الخير المطلق ليعرفه ويتشوق ويكن يذكر ما قاله نتبعه
بالأخذ به أيضا عنى في مواضع أخر ليجتمع لنا ما فرقوه ونضيف إلى ذلك ما أخذناه.

[illegible]

الفلسفة.

والمتقلبين

من يغتر بكثرته والمتقلب بحكمته بحسب استطاعتنا والله الموفق والمؤيد

فإن الخيرات بيّنة وهو حسبنا ونعم الوكيل. تمت المقالة الثانية

المقالة الثالثة

بعون الله تعالى

نبتدئ بحمد الله في هذه المقالة بذكر الفرق بين الخير والسعادة بعد أن نحكي

ألفاظ أرسطوطاليس ونقتدي به ونوفيه حقه فنقول إن الخير على ما حدّه

واستحسنه من آراء المتقدمين هو المقصود من الكل وهو الغاية الأخيرة

وقد يسمى الشيء النافع في هذه الغاية خيراً فأما السعادة فهي الخير بالإضافة

إلى صاحبها وهي كمال له فالسعادة إذن خير ما وقد يكون سعادة الإنسان

غير سعادة الفرس وسعادة كل شيء في تمامه وكماله الذي يخصه فأما الخير الذي

يقصده الكل بالشوق فهو طبيعة تقصد لذاتها وهو الخير العام للناس

من حيث هم ناس فهم بأجمعهم مشتركون فيه وأما السعادة فهي خير ما

لواحد واحد من الناس فهي إذن بالإضافة وليس لها ذات معينة وهي تختلف

بالإضافة إلى قاصديها فلذلك يكون الخير المطلق غير مختلف فيه وقد يظن

أن السعادة تكون لغير الناطقين فإن ذلك إنما هي استعدادات لها ذات

تماماتها وكمالاتها من غير قصد ولا روية ولا إرادة وتلك الاستعدادات

هي الشوق أو ما يجري مجرى الشوق من الناطقين بالإرادة فأما ما

نناله نحن والحيوانات في مآكلها ومشاربها وراحاتها فينبغي أن نسميه بختاً

واتفاقاً ولا نوقع اسم السعادة كما نسميه للإنسان أيضاً وإنما نستعمل ذلك أحد

الذي ذكرناه للخير المطلق لأن الفعل لا يطلق السعي والحركة إلا إلى غاية وهذا

أولى بالعقل ومثال ذلك أن الصناعات والمهن والتدابير كلها الاختيارية

نقصد بها خيراً ما وما لم نقصد به خيراً ما فهو عبث والفعل الخطر ونمنع منه

صار الخير المطلق هو المقصود إليه من كل الناس ولكن يجب أن نعلم ما هو وما الغاية

منه التي هي غاية الخيرات التي تنقضي الخيرات كلها إليها حتى نحصّل ذلك الخير غرضاً ونقصد

إليه ولا نستفرغ أفكارنا في الخيرات الكثيرة التي تؤدي إليه إما نافية بعيدة وإما

قريبة ولا نغلط أيضاً بالسعي فنظنه خيراً ونفني أعمارنا في طلبه والتعب فيه وكل

أقسام الخير

سنبين بمشيئة الله تعالى أقسام الخير بحسب ما قسمه أرسطوطاليس

وحكاه عنه فرفوريوس وغيره هكذا قال الخيرات منها ما هي شريفة ومنها ما هي

ممدوحة ومنها ما هي بالقوة كذلك ومنها ما هي نافعة فيها فالشريفة منها هي التي

شرفها من ذاتها وتجعل أصحابها أيضاً شرفاء وهي الحكمة والعقل والممدوحة

مثل الفضائل والأفعال الجميلة الإرادية والتي هي بالقوة هي مثل التهيؤ والاستعداد

لنيل الأشياء التي تقدمت والنافعة هي جميع الأشياء التي تطلب لا لذاتها بل لتوصل

بها إلى الخيرات وعلى جهة أخرى الخيرات منها ما هي غايات ومنها ما ليست

بغايات والغايات منها ما هي تامة ومنها ما هي غير تامة فالتي هي تامة كالسعادة

وذلك أنا إذا وصلنا إليها لم نحتج أن نستزيد إليها شيئاً آخر والتي هي غير تامة

كالصحة واليسار من قبل أنا إذا وصلنا إليها احتجنا أن نستزيد فيهما شيئاً آخر

وأما التي ليست بغايات لنفسها فكالعلاج والتعليم والرياضة وعلى جهة أخرى
الخيرات منها ما هو في النفس ومنها ما هو في البدن ومنها ما هو خارج عنهما
وعلى جهة أخرى الخيرات منها ما هو مؤثر لأجل ذاته ومنها ما هو لأجل غيره ومنها ما هو مؤثر منها
للأمرين جميعا وعلى جهة أخرى الخيرات منها ما هو خير على الإطلاق ومنها ما هو خير
عند الضرورة والأوقات التي تعرض لبعض الناس في وقت دون وقت وأيضا منها
ما هو خير لجميع الناس من جميع الوجوه وفي جميع الأوقات ومنها ما ليس بخير لجميع الناس
ولا من جميع الوجوه وعلى جهة أخرى الخيرات منها ما هو في الجوهر ومنها ما هو في الكمية
ومنها ما هو في الكيفية وفي سائر المقولات فمنها كالقوى والملكات ومنها
كالأحوال ومنها كالأفعال ومنها كالغايات ومنها كالمواد ومنها كالآلات وعلى جهة أخرى الخير منها معقولات ومنها محسوسات
الخير في المقولات كلها يكون على هذا المثال أما في الجوهر أعني ما ليس بعرض فالله [illegible]
هو الخير المطلق في جميع الموجودات الجوهرية [illegible] بالشوق إليه [illegible]
والخيرات [illegible] البقاء [illegible] التامة وأما في الكمية فالعدد المعتدل
والمقدار المعتدل وأما في الكيفية فكاللذات وأما في الإضافات فكالصداقات
أو الرياسات وأما في الأين فكالمكان المعتدل والزمان [illegible] الربيع وأما
في الوضع فكالقعود والاضطجاع والاتكاء الموافق وأما في الملكة فكالأموال
والضياع وأما في الانفعال فكالسماع الطيب وسائر المحسوسات الموافقة وأما في
الفعل فكنفاذ الأمر ونجاح الفعل وعلى جهة أخرى الخيرات منها ما هو [illegible]

ومنها محسوسات وأما السعادة فقد قلنا إنها خير ما وهي تمام الخيرات وغاياتها
والتام هو الذي إذا بلغناه لم نحتج معه إلى شيء آخر فلذلك نقول إن السعادة هي
أفضل الخيرات ولكنا نحتاج في هذا التمام الذي هو الغاية القصوى إلى سعادات
أخر وهي التي في البدن والتي خارج البدن وأرسطوطاليس يقول إنه فقر شديد
للإنسان أن يفعل الأفعال الشريفة بلا مادة مثل اتساع اليد وكثرة الأصدقاء
وجودة البخت ولهذا ما احتاجت الحكمة إلى الصناعة الملكية في إظهار شرفها ولهذا
قلنا إن كان شيء عطية من الله عز وجل وموهبة للناس فهو السعادة لأنها عطية وموهبة
منه عز اسمه في أشرف منازل الخيرات وفي أعلى مراتبها وهي خاصة بالإنسان التام
لا يشاركه فيها من ليس بتام كالصبيان ومن يجري مجراهم فهذه أقسام الخيرات
فأما أقسام السعادة على مذهب هذا الحكيم فخمسة أحدها في صحة البدن ولطف
الحواس ويكون ذلك من اعتدال المزاج أعني أن يكون جيد السمع والبصر والشم
والذوق واللمس والثاني في الثروة والأعوان وأشباههما حتى يتسع لأن يضع
المال في مواضعه ويعمل به سائر الخيرات ويواسي منها أهل الخير خاصة والمستحقين
عامة ويعمل به سائر الخيرات التي تزيد في فضائله ويستحق الثناء والحمد عليها والثالث
أن يحسن أحدوثته في الناس وينتشر ذكره بين أهل الفضل فيكون ممدوحا
بينهم يكثرون الثناء عليه لما يظهر فيهم من الإحسان والمعروف والرابع أن يكون
منجحا في الأمور وذلك إذا استتم كل ما يروي فيه وعزم عليه حتى يصير إلى ما يأمله منه

والخامس ان يكون جيد الرأي صحيح الفكر سليم الاعتقادات في دينه
ودنياه بريئا من الخطا والزلل جيد المشورة في الآرا فمن اجتمعت له
هذه الاقسام كلها فهو السعيد الكامل على مذهب هذا الرجل الفاضل ومن
حصل له بعضها كان حظه من السعادة بحسب ذلك واما الحكما الذين كانوا
قبل هذا الرجل مثل فيثاغورس وسقراط وافلاطن واشباههم فانهم اجمعوا
على ان الفضائل والسعادة كلها في النفس وحدها ولذلك لما قسموا السعادة
جعلوها كلها في قوى النفس التي ذكرناها في اول الكتاب وهي الحكمة والشجاعة
والعفة والعدالة واجمعوا على ان هذه الفضائل كافية في السعادة ولا
يحتاج معها الى غيرها من فضائل البدن ولا مما هو خارج البدن فان الانسان
اذا حصل تلك الفضائل لم يضره في سعادته ان يكون سقيما ناقص الاعضاء مبتلى
بجميع امراض البدن اللهم الا ان يلحق النفس منها مضرة في خاص افعالها مثل فساد
العقل ورداءة الذهن وما اشبههما واما الفقر والخمول وسقوط الحال وساير
الاشيا الخارجة عنا فليست عندهم بقادحة في السعادة البتة واما
الرواقيون وجماعة الطبيعيين فانهم جعلوا البدن جزءا من الانسان ولم
يجعلوه آلة كما شرحنا فيما تقدم ولذلك اضطروا الى ان يجعلوا السعادة
التي في النفس غير كاملة اذا لم تقترن بها سعادة البدن وما هو خارج
البدن ايضا اعني الاشيا التي تكون بالبخت والجد والمحققون من الحكما يحقرون

الفلاسفة

امر البخت وكل ما يكون معه ولا يؤهلون تلك الاشيا لاسم السعادة لان
السعادة شي ثابت غير زايل ولا متغير وهي اشرف الامور واكرمها وارفعها فلا
يجعلونها لاخس الاشيا وهو الذي يتغير ولا يثبت ولا يحصل بروية ولا فكر
ولا يتاتى له بعقل ولا فضيلة منها نصيبا ولهذا النظر اختلف القدما في السعادة
العظمى فظن قوم انها لا تحصل للانسان الا بعد مفارقته البدن والطبيعيات كلها
وهولاء هم القوم الذين حكينا عنهم ان السعادة هي في النفس وحدها وسموا
الانسان تلك الجوهر وحده دون البدن ولذلك حكموا انها ما دامت متصلة
بالطبيعة وكدرها ونجاسات البدن وضروراته وحاجات الانسان وانفعالاته
الى الاشيا الكثيرة فليست سعيدة على الاطلاق وايضا لما رواها لا تكمل بوجود
الاشيا العقلية لانها تستتر عنها بظلمة الهيولى فعن تصورها ناقصا
ظنوا انها اذا فارقت الجهالات وصفت وتطهرت قبلت الاضاءة والنور
الالهي اعني العقل التام فيجب على راي هولا ان يكون الانسان لا يسعد السعادة
التامة الا في الاخرة بعد موته فاما ما دام حيا فليست له سعادة تامة
واما الفرقة الاخرى فانها قالت انه من القبيح الشنيع ان يظن بالانسان
ما دام حيا يعمل الاعمال الصالحة ويعتقد الآرا الصحيحة ويسعى في تحصيل الفضايل
كلها لنفسه اولا ولابنا جنسه ويخلف ربه عز وجل في اصلاح خلقه بهذه الافعال
المرضية وهو مع ذلك ناقص حتى اذا مات وعدم هذه الاشيا صار سعيدا تام السعادة

المذهب القادم ه

للانسان ه

وارسطوطاليس يتحقق هذا الراي وذلك انه لما كانت السعادة الانسانية وللانسان
هو المركب عنده من بدن ونفس ولذلك حد الانسان بالناطق المائت وبالناطق
المائت يرجع الى ما اشبه ذلك فصارت الفرقة وهي التي يليها ارسطوطاليس رات
ان السعادة الانسانية تحصل في الدنيا اذا سعى لها وتعب بها حتى يصل الى اقصاها
ولما راى الحكيم ذلك وان الناس مختلفون في هذه السعادة الانسانية وانها قد
اشكل عليهم اشكالا شديدا احتاج ان يتعب الابانة عنها والى اطالة
الكلام فيها وذلك ان الفقير يرى ان السعادة العظمى في الثروة واليسار والمريض
يرى انها في الصحة والسلامة والذليل يرى انها في الجاه والسلطان والخامل
يرى انها في التمكن من الشهوات كلها على اختلافها والعاشق يرى انها في الظفر
بالمعشوق والفاضل يرى انها في اياضة المعروف على المستحقين والفيلسوف
يرى ان هذه كلها اذا كانت مرتبة بحسب تقسيط العقل اعني عند الحاجة
وفي الوقت الذي يجب كما يجب فهي كلها سعادات وما كان منها يراد لشيء
آخر فذلك الشيء احق باسم السعادة ولما كان كل واحد من هاتين
الفرقتين نظرت نظرا ما وجب ان نقول في ذلك ما نراه صوابا وهو ان
الانسان ذو فضيلة روحانية يناسب بها الارواح الطيبة
التي تسمى الملائكة وذو فضيلة جسمانية يناسب بها الانعام لانه مركب منهما
فهو بالجزء الجسماني الذي يناسب به الانعام يقيم في هذا العالم الجسماني السفلي

وعند من عيه

مدة قصيرة ليعمره وينظمه ويرتبه حتى اذا اطمئن ذلك للرتبة على الكمال
انتقل الى العالم العلوي واقام فيه دائما سرمدا في صحبة الملائكة والارواح
الطيبة وينبغي ان نفهم من قولنا العالم السفلي والعالم العلوي ما ذكرناه
فيما تقدم فانا قد قلنا هناك انا لسنا نعني بالعلوي المكان الاعلى في الحس
وبالعالم السفلي المكان الاسفل في الحس بل كل محسوس فهو اسفل
وان كان في المكان الاعلى وكل معقول فهو اعلى وان كان معقولا في المكان الاسفل
وينبغي ان نعلم انه ليس يحتاج في صحبة الارواح الطيبة اعني المستغنية عن الابدان
الى شيء من السعادات البدنية التي ذكرناها سوى سعادة النفس فقط اعني المعقولة
الابدية التي هي بالحقيقة هي الحكمة فقط فاما ما دام الانسان انسانا فليس يتم
له السعادة الا بتحصيل الحالين جميعا وليس يحصلان الا بالتمام الا بالاشياء
النافعة في الوصول الى الحكمة الابدية فالسعيد اذن من الناس يكون في احدى
مرتبتين اما ان يكون في مرتبة الاشياء الجسمانية متعلقا باحوالها السفلى سعيدا
بها وهو مع ذلك يطالع الامور الشريفة باحثا عنها مشتاقا اليها متحركا
نحوها مغتبطا بها واما ان يكون في مرتبة الاشياء الروحانية متعلقا باحوالها
العليا سعيدا بها وهو مع ذلك يطالع الامور الدنية معتبرا بها ناظرا في
علامات القدرة الالهية ودلائل الحكمة البالغة مقتديا بها فاعلا لها
الخيرات فيها سايقا لها نحو الافضل فالافضل بحسب قبولها وعلى حد استطاعتها

محسوس ساه

الدنية ح

لها

وان امر لم يحصل له احدى هاتين المنزلتين فهو في مرتبة الانعام بل هو اضل
وانما صار اضل لان تلك غير معرضة لهذه الخيرات ولا عليها استطاعة تحركها
نحو هذه المراتب العالية وانما تتحرك بقواها نحو كمالاتها الخاصة بها ولا انسان
معرض لما استعد به لها من ارتياح العقل فيها وهو مع ذلك غير محصل لها ولا ساع نحوها
وذلك بوقوفه عنها ضد اشتغاله بقواه الشريفة في الامور الدنية وذلك تحصيله لكمالاته
التي تخصها دون الانعام اذا استعمل قواه الانسية وحرمت جوار الارواح الطيبة
ودخول الجنة التي وعد المتقون فهي يعذر له الانسان غير معذور ولا مثل لاهل
مثل الاعمى اذا حاد عن الطريق فتردى في بئر فهو مرحوم غير ملوم ومثل الباقي مثل
البصير الذي يكون على بصيرة حين تردى في البئر فهو ملوم غير مرحوم وقد تبين
ان السعيد انما هو من كان على احدى الموقفين اللذين ذكرناهما فقد تبين ان احد
ما ينقص تقصيرهم لا عن ذاته وان الافضل منهما ليس يخلو ولا يتعرى من الالام والمحن
لاجل العوارض الطبيعية والزخارف الحسية التي تعترضه بالاثنية فتعوقه عما
ويمنعه من الترقي فيها على ما ينبغي وتشغله بما تشغل به من الامور الجسمانية
دون الرتبة غير كامل على الاطلاق ولا سعيد تام وان صاحب الرتبة الاخرى هو السعيد
التام وهو الذي يوفق حظه من الحكمة فهو منعم بروحانيته من الملا الاعلى
منهم لطائف الحكمة ويستنير بالنور الالهي ويستزيده من فضله بحسب عنايته
بها وتلك صوافقة عنها ولذلك يكون ابدا خاليا من الالام والحسرات التي لا تعلو صاحب

المرتبة الاولى منها وذلك لانه مسرور ابدا مغتبطا بما له وما يحصل له دائما
من فيض النور الالهي وليس يلتذ الا بتلك اللذات ولا يغتبط الا بتلك المحاسن
ولا يشتاق الا اليها ولا يطلب الحكمة بغير اهلها ولا يرتاح الا لمن ناسبه او قاربه او جنب
الاقتباس هذه وهذه المرتبة التي من وصل اليها فقد وصل الى اجل السعادات
وافضلها وهو الذي لا يبالي بفوات الاحباب من اهل الدنيا ولا يتحسر على ما فاته
من التنعم فيها وهو الذي يرى جسمه وماله وجميع خيرات الدنيا التي عددناها
والسعادات التي من بدنه والخارجة عنه كلها كلا عليه الا في الضرورات التي
يحتاج اليها البدن الذي هو مربوط به لا يستطيع الانفكاك عنه الا عند مشية
خالقه وهو الذي يشتاق الى صحبة اشكاله وملاقاة من يناسبه من الارواح
الطيبة والملائكة المقربين وهو الذي لا يفعل الا ما اراده الله منه ولا يختار الا ما
يقرب اليه ولا يخالفه الى شيء من هواه وشهواته الردية ولا ينخدع بخدائع الطبيعة
ولا يلتفت الى شيء يعوقه عن سعادته وهو الذي لا يحزن على فقد محبوب ولا
يتحسر على فوت مطلوب الا ان هذه الرتبة الاخيرة تتفاوت الناس فيها تفاوتا
عظيما اعني ان من وصل اليها من الناس يكونون على طبقات كثيرة غير متشابهة وهاتان
المرتبتان هما اللتان سماهما الحكيم [illegible] اليها واعاد المرتبة الاخيرة منهما وذلك
في كتابه المسمى نصائح النفس وانا اورد الفاظه التي نقلت الى العربية بعينها قال
اول رتبة السعادة ان يعرف الانسان ارادته وحدها ولانه الى صالحة في العالم المحسوس

من أمور النفس والبدن ما كان من الأحوال متصلاً لا كن مشتركاً
من الأمور النفسانية فيكون تصرفه في الأمور المحسوسة تصرفاً لا يخرج به عن
الاعتدال الملائم للأحوال الجسمية وهذه حال قد تلتبس فيها الإنسان بالأهواء
والشهوات إلا أن ذلك بقدر معتدل غير مفرط وبموالاة ما ينبغي أو من ينبغي إلى
ما ينبغي وذلك أنه يجري أمره نحو صواب المذهب المتوسط في كل فضيلة وما لا يحيد
به عن تقدير الفكر وإن التبس بالأمور المحسوسة وتصرف فيها ثم المرتبة الثالثة وهي
التي يصرف الإنسان فيها إرادته وهمته إلى الأمر الأفضل من صلاح أمر النفس والبدن
من غير أن يلتبس مع ذلك بشيء من الأهواء والشهوات ولا يكترث بشيء من القبائح
المحسوسة إلا بالقدر اللازم الضروري ثم يتزايد الإنسان في هذا الضرب من الفضائل
وذلك إنما يكون والترتيب في هذا الضرب من الفضائل لكون بعضها فوق بعض وسبب
ذلك أولاً باختلاف طباع الناس وثانياً على حسب العادات وثالثاً بحسب منازل
الناس ومواضعهم من العلم والمعرفة والفهم ورابعاً بحسب هممهم وخامساً بحسب شوقهم
ومعاناتهم ونشاطهم بحسب جدهم ثم يكون النقلة من آخر هذه المرتبة إلى أعلى
الصنف من الفضيلة الفضيلة الإلهية المحضة وهي التي لا يكون فيها الشوق إلى
ولا التفات إلى ماض ولا تشيع لحال إلى نحو حاجة ولا تطلع إلى آت ولا حسرة على فائت
ولا خوف ولا فرح من حادث ولا شغف بها ولا طلب لحظ من الحظوظ البدنية
ولا من الحظوظ النفسانية أيضاً ولا تجاذب لقوى الضروب التي من جانب البدن والقوى

الطبيعية ولا القوى النفسانية أيضاً لكن يتصرف بالجزء العقلي الإلهي في ضروب الفضائل
وهو صرف الفكر إلى الأمور الإلهية ومعاناتها ومحاولتها لا لطلب عوض أعني أن
يكون تصرفه فيها ومعاناتها ومحاولتها لنفس ذاتها فقط وهذه المرتبة أيضاً تتزايد
النجدة بالناس بحسب الهمم والشوق وفضل المعاناة والمحاولة ووقوع العزم وصحة الثقة
وبحسب منزلة من بلغ إلى هذا المبلغ من الفضيلة وهذه الأحوال التي عددناها
متى أن يتشبه بالعلة الأولى ويقتدي بها ويفعل أفعالها وآخر المراتب في الفضيلة لمن
تكون أفعال الإنسان كلها أفعالاً إلهية وهذه الأفعال التي هي خير محض والفعل إذا كان
خيراً محضاً فليس يفعله فاعله من أجل شيء آخر غير الفعل نفسه وذلك أن الخير المحض هو
غاية مشتهاة لذاتها أي هو الأمر المطلوب نفسه المقصود لذاته والأمر الذي هو غاية
والأشياء غاية في نهاية المنافسة ليس يكون من أجل شيء آخر وإنما إليه تصير الأشياء كلها
إليه فهي لها إنما يصدر عن إرادته وذاته الحقيقية التي هي علة الإلهي الذي هو
ذاته بالحقيقة وتزول وتبعد عنه [illegible] سائر دواعي طباعه البدنية وسائر عوارض
النفس البهيمية وعوارض التمثل المتولدة عنها وعن دواعي نفسه المختلفة فلا
يفعل بإرادة ولا همة خارجاً عن فعله من أجلها يفعل ما يفعل لكن يتصرف
في فعله بلا إرادة ولا همة في سواه إذ لا يكون غرضه في فعله غير ذات الفعل وهذا هو
مهم من الفعل الإلهي في هذه الحال آخر مرتبة الفضائل التي يتصل بها الإنسان بالعلة المبدأ
الأول خالق الكل تعالى أعني أن يكون فعله بالفعل لا لطلب عوض ولا مجازاة ولا عوضاً
بحظ

ولا زيادة ولكن يكون فعله بعينه هو غرضه اي ليس فعله من اجل شيء غير ذاته
الفعل غير ذاته وهو ان لا يفعل ما يفعل من اجل شيء غير فعله نفسه وذاته
الذي هو الفعل الالهي نفسه وهكذا فعل الباري ليس لذاته لا من اجل شيء آخر
خارج عنه وذلك ان فعل الانسان في هذه الحال يكون كما قدمنا خيرا محضا وحكمة
محضة فيبدأ بالفعل لنفس اظهار الفعل فقط لا لغاية اخرى سوى الفعل وهكذا
فعل الله تعالى الخاص به ليس هو على القصد الاول من اجل شيء آخر خارج عن ذاته
اعني انه ليس ذلك لاجل سياسة الاشياء التي عن بعضها لانه لو كان ذلك كذلك
لكانت افعاله حينئذ انما كانت تكون من اجل المشاركة للامور التي من خارج والتدبير لها
وتدبير احوالها والاهتمام بها وعلى هذا يكون للاشياء التي من خارج اسبابا
وعللا لافعاله وهذا شنيع قبيح تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا [illegible]
بالاشياء التي من خارج وفعله الذي يدبرها به ويدبرها انما هو على القصد
الثاني ليس يفعله من اجل الاشياء انفسها لكن من اجل ذاته وذلك لاجل ان
ذاته تفضل لذاتها لا من اجل المفضل عليه ولا من اجل شيء آخر وهكذا
للانسان اذا بلغ الغاية القصوى في الامكان من التشبه بالباري [illegible] يكون
افعاله التي يفعلها على القصد الاول من اجل ذاته نفسها التي هي العقل الالهي
ومن اجل الفعل نفسه وان فعل فعلا مما يتعدى به غيره ومنفعة فليس فعله على القصد
من اجل ذلك الغير لكن يفعل ذلك لانه ما يفعله به يقصد ان يفعله ذلك من اجل ذاته

بالقصد الاول من اجل الفعل نفسه اي لنفس الفضيلة وللنفس الخيرة ان فعله ذلك
فضيلة وفعله ذلك لنفس الفعل لا لاجتلاب منفعة ولا لدفع مضرة ولا للتباهي وطلب
الرياسة وطلب الكرامة فهذا هو غرض الفلسفة ومنتهى السعادة الا ان الانسان
لا يصل الى هذه الحال حتى يفني ارادته كلها التي بحسب الامور الخارجة ويفني العوارض
النفسانية وتقوى خواطره التي يكون عن العوارض ويملي شعاره الهيبة ويتمه الهيبة
والهامه من ذلك اصفى من لوازم الطبيعة البدنية ويبقى منه نقيا كاملا ثم حسيد عملي
معرفة الهيبة وشوقا اليها ويوفي الامور الالهية بما يبقى وفي نفسه اعني نفسه خاصة
التي هي العقل كما نفردت منه القضايا الاول التي تسمى العلوم الاوائل العقلية الاول
تصور العقل وردته فهذه الحال الامور الالهية محققة لها المعنى الشريف واللطف
والظهور واشد الكشف لانها ما لم القضايا الاول التي تسمى العلوم الاوائل العقلية
فهذه الفاظ هذا الحكيم قد نقلتها بالفاظه ومن نقل ابي عثمان الدمشقي وهذا الرجل صحيح
اللغتين جميعا اعني اليونانية والعربية مرضي النقل عند جميع من طالع هاتين
اللغتين وهو مع ذلك شديد التحري لايراد الالفاظ اليونانية ومعانيها في الفاظ العرب
ومعانيها حتى لا يختلف في الفاظ ولا معنى ومن رجع الى هذا الكتاب اعني المسمى نيقوماخيا
النفس قرأ هذه الالفاظ كما نقلتها وليس يحصل هذه المراتب التي تترقى فيها
صاحب السعادة التامة الا بعد ان يعلم اجزاء الحكمة كلها علما صحيحا ويستوفيها
اولا اولا كما بيناها في كتابنا المسمى ترتيب السعادات ومنازل من الناس ان يصل
رتبناها

اليها فمن سلك الطريقة على غير ذلك المنهاج فقد ضل بالطلا وبعد عن اي نحو كمال

دليتولكو ولذلك وقع في هذا الموضع الغلط العظيم الذي وقع فيه قوم ظنوا انهم يعدون في الفضلا

بتعطيل القوى العاملة وما بها اليها وبترك النظر الخاص بالعقل واكتفائهم باعمال

مدنية ولا بحسب ما تقتضيه الخير والعقل وقد تسما هم قوم بالعاملة الناقصة والتكسر

رتبنا هذا الكتاب وعقبته بكتاب لنجعل منها السعادة الاخيرة المطلوبة

بالحكمة البالغة وتهذب لها النفس وتهيئها لقبولها بما نسوغ غسلها وتنقيتها

من ادناس الطبيعة وشهوات الابدان ولذلك سميته ايضا بكتاب الطهارة وقد

قال ارسطوطاليس في كتابه المسمى بالاخلاق ان هذا الكتاب لا ينتفع به الاحداث ارسطاليس

كثير منفعة ولا من هو في طبيعة الاحداث قال ولست اعني بالحدث ههنا

حدث الزمان بل الزمان لا تاثير له في هذا المعنى وانما اعني السيرة التي يتبعها

اهل الشهوات واللذات الحسية فاما انا فاقول ان ما ذكرته من المرتبة

الاخيرة من السعادة ههنا في وصول احداث اليها بل اليهم على سمعهم فرط

وليعلم ان هذه مرتبة حكمية لا يصل اليها الا الاعلون مرتبة حتى يلتمس

كل من نظر في هذا الكتاب المرتبة الاولى منها بالاخلاق التي وصفتها فان

بعد ذلك واعلم الشوق الشديد والحرص التام وساير ما ذكرناه وحكيناه

عن الحكيم فليرتقي في درج الحكمة ليتصاعد فيها بجهده فان الله تعالى بعينه

ويوفقه فاذا بلغ الانسان الى غاية هذه السعادة ثم فارق هيكله الكثيف الدنيا

الدنيه وتجرد بنفسه اللطيفة عني بتطهيرها وغسلها وتهاهي الادناس

فانزوعي الطبيعة لا مراة الحلية فقد اعتقد انه لا فائدة له عرض الاعداد او حليها

ليس فيه انواع اللذات القوى التي كانت تعوقه عن سعادته ولا شوق اليها لانه قد تخلص

منها وتنزه عنها ولم يبق فيه ارادة لها ولا حرص عليها وقد استصلحه الجوار استصلحها

العالي لقبول كرامة وفيض نوره الذي كان يستعد له ولا فيه قبول من عطايه

وما ليه حسنة الشيخ الذي وعد به المتقون والابرار ما سبق الاية اليه من اراد في قوله عز

فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم هناك ما لا عين

رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واذ قد لخصنا امر هاتين المرتبتين

التصوكره من السعادة فقد تبين ما كانتا الى حد منها بالاضافة الينا اولى وتاليه الاخرى

بذاتابه ومن الحال الذي يسهل الثانية من غرامة غير بالاولى فقد وجب ان نعود الى ما

به من ذكر الدرجة الاولى من السعادة الاخيرة ونستوفي الكلام فيها وفي الاخلاق

التي تنبيها الكتابة عليها وتخلي عن بيان الرتبة الثانية الى وقت اخر فنقول ان من عني

ببعض القوى التي ذكرناها دون بعض او تعمد لاصلاحها في وقت دون وقت لم تحصل

له السعادة وكذلك لا يكون حال الرجل في تدبير منزله اذا عني ببعض اجزائه دون

بعض او في وقت دون وقت فانه لا يكون مدبرا منزله كذلك لا يكون حال المدبر المدينة

اذا خص بنظره طايفة دون طايفة او وقتا دون وقت لم يستحق اسم الرياسة

على الاطلاق وارسطوطاليس يمثل بالخطاف الواحد اذا ظهر ابدا على

الربيع ولا يوم واحد معتدل الهواء يبشر بالربيع فسبيل طالب السعادة
ان يطلبها بشرطها الذين عددنا فيتشبث بها دائما بان يكون السعيد في واحده
دلائلها في نفسه ولا يكون طلبنا انه يعني ان يتشوفها احيانا ويثبت عليها ابدا
ومثال ذلك الشيئين ليعلما انها تنقسم باقسام الغايات الثلث التي تقصدها الناس
اعني سيرة اللذة وسيرة الكرامة وسيرة الحكمة وكانت سيرة الحكمة اشرفها
واتمها وكانت فضائل الناس كثيرة وجب ان يفضل الانسان بافضلها واشرف
اشرفها فسيرة الافاضل السعداء سيرة لذيذة بنفسها لان افعالهم ابدا
محمودة وممدوحة وكل انسان فالتذاذه بما هو محبوب عنده فيلتذ بالعدل
العادل والمتلذذ بالحكمة الحكيم والافعال الفاضلة الغايات التي تنتهي اليها
بالفضائل الذين يحبونها السعادة الذي هي كل شيء وقال ارسطوطاليس
يقول ان السعادة الالهية وان كانت كما ذكرنا هي اشرف السير فهي الذ
واجود من كل سيرة فانها محتاجة الى السعادات التي هي الخارجة لان تظهر بها
ولا كانت كامنة غير ظاهرة واذا كانت كذلك كان صاحبها كالفاضل النائم
الذي لا يظهر فعله وحينئذ لا يكون بينه وبين غيره فرق على وصفنا من حاله
فهاهنا تمم المطلع اذن على حقيقة السعادة الحكمية اطلبها ونعمل لها
هو الذي يلتذ بها وهو الذي يسر ويرتاح ... عن همومه ولا يحزن
بالاباطيل وهو الذي يخرج من حد المحبة الى العشق والهيمان حتى يفيد

فيشوقها

السير

ان يصير سلطانه العالي تحت سلطان بطنه وفرجه فلا عذر لمن باشر جزءا منه
اخس جزء منه واعني بالسرور المزخرف الاباطيل اللذات التي يشركنا فيها الحيوانات
التي ليست بناطقة فان تلك لذات حسية تتصرم وشيكا وتمل الحواس منها فاذا
دامت عليها صارت كريهة وربما عادت مؤلمة وكما ان الصبي لغرضه على جهله فكذلك
العقل اللذة ذاتية على جهله فمن لا يعرف اللذة الحقيقية كيف يطلبها ومن لا يعرف
الرياسة النافعة كيف يصبو اليها فلو كررنا وصفها وشوقنا اليها باعادة
الكلام فيها مرارا وقلنا ان من لا يعرف الخير المطلق والفضيلة التامة ولا يعرف
الحكمة العملية اعني ايثار الفضل والعمل به والثبات عليه لا ينشط اليه ولا يرتاح
اليه ومن كان كذلك فكيف يلتذ او يتنعم بما شرحناه ودللنا عليه وكان المحكم
المقدس مثل الفرس في مكتبه او في المباكل وهياكلهم ومساجدهم وهو هذا
الملك الموكل بالدنيا يقول انظر لنا خيرا وقوتنا شرا وقهرنا بالبخيل ولا
بشرفها عرف هذه اللذة حق معرفتها تخلص منها في مجلسها ومن لم
يعرفها فلتكن سيرته فيه ذلك الغرض اصله تلذذ وجب ان يستريح ولكن افضله اولا زد
او لا في زمان طويل فهذا الحال من نظر فيه وتامل عرف منه جميع ما قدمنا ذكره
ونبين ان حال السعيد الذي ذكرنا حاله ما دام حيا تحت هذا الفلك الدائر
بكواكبه ودرجاته ومطالع سعوده ونحوسه ممن يرد عليه من النكبات
والنوائب وانواع المحن والمصائب حاسدا على غيره الا انه لا ينفذ منها ولا المحنة

الحيوان الذي نحو لست سلطحي نحو

وتملد

لا اللذة العقل ذاتية ولذة الحس لذة عرضية

بو حسن

من المشقة في احتمالها الا انه غير مستعد لسرعة الانفعال عنها بعادة
الهلع والجزع ولا قابل لآثار الهموم والاحزان في الاحوال العارضة له ولمن
اصابه من هذه الآلام شيء فيفقد ربما ينتقله عن السعادة الى ضدها لا يخرجه
السعادة
عن حد السعادة اصلا ولو ابتلي بما ابتلي به ايوب عليه السلام واضعافه بل اخرجه عن حد
البقية
وذلك لما يجده في نفسه من المحافظة على شروط الشجاعة والصبر على ما يجزع منه
اصحاب غور الطبع فيكون يبرد لرأيه وللانب انه تم بالاحاديث الجميلة التي
ينتشر عنه ويرى ان الملاك الذي مع السلطان والمصارع الذي يهوى الغلبة
كل واحد منهم اصبح على شدائد عظيمة من تقطيع اعضائه نفسه وتبول الشهوات
التي يمكن بها طلبه لما يحصل له من الغلبة واستماع الصيت فيرى نفسه احرى
واولى بها بما الصبر اذ كان غرضه اشرف وصيته في الفضلاء اشهر واكرم ولانه
تعرض
تسعد في نفسه ثم تصير لغيره وارسطوطاليس يعلم ان بعض الاشياء التي
من سوء البخت يكون يسيرا سهل المحتمل فاذا عرض للانسان فاحتمله لم يكن له
دلالة على كبر نفسه وعظم همته وبعضها يكون عظيما عسر المحتمل فاذا احتمله دل
الصناعة
على كبر نفسه وعظم همته ومتى لم يكن سعيدا ولا سبق له رياضة بتلك
حلول
الشريفة من تهذيب الاخلاق فانه سينفعل انفعالا قويا فيعرض له عند
بها
المصائب احدى حالتين اما الاضطراب الفاحش والالم الشديد والخروج
الصبر
الى الجزع الذي لم يوفي ذو حكم واما ان يتشبه بالسعداء ويسمع مواعظهم فيظهر

وهو ذكر الامالة

ذكر
والسكون الا انه جزع بالباطن فالم الضمير وكما ان الاعضاء للمفلوج اذا حرك
الى اليمين تحركت الى الشمال كذلك تكون حركات نفوس الاشرار فتحرك الى اطراف
انهم / لهم
ماهو يحملونها عليه من الحيل اعني اذا تشبهوا بالاعفاء وتعاطوا افعالهم
تحركت الى ضد ما حملوها عليه اذا تشبهوا بالانجاد واهل العدالة
كلامه
كانت هذه حالهم وما استدل به من كتاب ارسطوطاليس على انه كان
قال
يقول ببقاء النفس والمعاد كلامه المشهور في كتاب الاخلاق وهو هذا
يلحقه
قد حكمنا ان السعادة شيء ثابت غير متغير وقد علمنا ايضا ان الانسان قد
تغيير اذ كثير بالعادات يصيبني على انه قد يمكن ممن يرى غدا الناس علينا ان
عليها
يصاب بمصائب عظيمة كما زعم في فريامس من تشتمل عليه هذه المصائب ويموت
سعيدا
فليس يسميه احد من الناس سعيدا فليس ينبغي على هذا البناء ان يسمى انسان
الا
ما دام حيا بل ينتظر به آخر عمره فالانسان اذن انما يصير سعيدا اذا مات
ثم تكلم عليه
ان هذا القول في غاية الشناعة اذ كنا نقول ان السعادة هي فعل تام ثم قال وفي
يلحق
هذا الموضع ايضا موضع شك فانه قد يظن بالميت انه يلحقه خير وشر اذ كان قد
الحي وهو لا يحس به مثل الكرامة والهوان واستقامة امر الاولاد واولاد
الاولاد والتباسها وفي هذه لواتيه حيرة لانه قد يمكن فيمن عاش عمره كله الى ان يبلغ
الشيخوخة سعيدا وتوفي على هذه السبيل الحميدة ان تلحقه التغيرات في
اولاده حتى يكون بعضهم خيارا حسن السيرة وبعضهم بضد ذلك ومن البين انه

يجري

ممكن ان يوجد بعض الآباء والاولاد دنيّاتاً خلاف ذلك من كل جهة ولكن من المنكر
ان يكون الميت يتغير بتغيرهم فيصير مرة سعيداً ومرة اخرى شقياً ومن
المنكر ان يكون امر الاولاد متصلاً بالوالدين في وقت من الاوقات ولكن ينبغي
ان نعود الى ما كان الشك واقعاً فيه فلعل هذا الشك الذي اورده ارسطوطاليس
على الشيء في هذا الموضع هو شك من يعتقد ان الانسان بعد موته وانه احوال لا
سبيل له لا محالة من اسواء الاولاد واولاد اولاده احوال مختلفة بحسب اختلاف
سيرة اولاده وذلك يقول الشعر ان الانسان اذا مات سعيداً ثم لحقه من
شقاء بفعل اولاده او سوء سيرته وسيرة من يجيء من نسله ما يكون سيرته
ضد سيرته وموجب فان ان يغير سعادته كان هذا شنعاً وان لم يلحقه شيء
من ذلك كان ايضاً شنعاً ثم ان ارسطوطاليس يحل هذا الشكوك بان يقول
ما هذا معناه ان سيرة الانسان ينبغي ان تكون سيرة محمودة لانه يعتاد في كل
ما يعرض له افضل الافعال من الصبر مرة ومن احتماله لما يعرض في الافضل مرة
ومن الحزن من الماء اذا اتسع فيها او حسن التجمل اذا عدمها فيكون سعيداً
في جميع احواله غير منقطع عن السعادة ويوجب من الرجوع فالسعيد اذا ورد عليه
عدد عظيم جليل سيرته اكثر سعادة لانه يداريه مداراة جميلة ويصبر على الشدائد
والمحن صبراً حسناً ومتى لم يفعل ذلك كمل ونقص سعادته وبعضها النعم
ومع ان ذلك ايضاً دعو ما يعوقه عن افعال الكرم والجميل اذا ظهر من السعداء

فليس

الاحوال

في هذه الاحوال كان اشد التزاماً وحسناً وذلك انه اذا احتمل ما يكون من المصائب
احتمالاً سهلاً بعيداً ان لا يكون ذلك لعدم حسه والا لنقصان فهمه بالامور بل
لشهامته وكبر نفسه فان كان ذلك كانت الافعال ملاك السيرة كما قلنا فليس يمكن
احد من السعداء شقياً لانه ليس يفعل في وقت من الاوقات افعالاً تدل على رذيلة
واذا كان هذا هكذا فالسعيد يكون ابداً مغبوطاً وان حلت به المصائب التي
حلت بفرياموس ولا يكون شقياً ولا سريع التغير وذلك انه ليس انما ينتقل عن
السعادة بسهولة ولا ينتقل عنها بالآفات اليسيرة لكنه لا ينتقل عنها الا بالآفات
العظيمة الكثيرة وليس انما يكون سعيداً اذا نالته الامور زماناً يسيراً بل
اذا ظفر بامور جميلة في زمان طويل ثم قال بعد قليل فاما حال الانسان بعد
موته فان القول بان الآفات التي تعرض لاولاد الميت واصدقائه باجمعهم
ليست تتعلق به اصلاً هو قول غير مقبول اصلاً وهو مضاد لما يعتقده جميع
الناس واذا كانت الامور العارضة لهؤلاء كثيرة مختلفة وكان بعضها يتعدى
الى الميت اكثر وبعضها اقل صارت قسمتنا اياها الى الاشياء الجزئية بلا نهاية
فاما اذا قيلت قولاً كلياً وعلى طريق الرسم فخليق ان يكتفى بما نقوله فيها
وسواء كان الآفات التي تعرض للميت في حياته بعضها يشق عليه احتماله
ويثقل من صبره وبعضها يخف عليه احتماله كذلك يكون حال الآفات التي تعرض
لاولاده واصدقائه وكل واحد من العوارض التي تعرض للاحياء يخالف

لما عرض لهم اذا ماتوا اكثر من حال من يضرب به المثل وشبيه ان يكون لهم الكمال
بفضل الله من هذه الاشياء بمثل جبال او شر ان يكون ليسير انواع المقدار
ما لا يجعل غير السعيد سعيدا ولا ينتزع السعادة من السعيد اذ هما
جلا السعادة وما ليس للشكل الذي اورده وما تلك ان السعادة لذ الاشياء
وافضلها واجودها وابهجها وجب ان نبين وجه اللذة فيها باتم ما املناه
فيما مضى فنقول وبالله التوفيق ان اللذة تنقسم قسمين احدهما انفعالية
والآخر فعلية فاعلة فاما اللذة الانفعالية فهي شبيهة بلذة الاناث واللذة
الفاعلة تشبه لذة الذكور ولذلك صارت اللذة الانفعالية التي تشترك
فيها الحيوانات التي ليست بناطقة وذلك انها متعلقة بالشهوات في محبة
الانتقام وهي انفعالات النفس البهيمية واما اللذة الاخرى فهي الفاعلة
وهي التي تختص بها الحيوان الناطق لانها غير هيولانية ولا منفعلة انفعالا تاما
لانها صارت لذة تامة وتلك ناقصة وهذه ذاتية وتلك عرضية واعني بالذاتية
والعرضية ان اللذات الحسية المقترنة بالشهوات يزول سريعا وينقضي
وشيكا ان ينقضي ذواتها فتصير غير لذات بل تصير آلاما او مكروهة — لا تبطل ذواتها
شنيعة مستقبحة وهي اضداد اللذة ومقابلاتها فاما اللذة الذاتية
فانها لا تنصرف في وقت آخر غير لذيذة ولا تنتقل عن حالتها بل هي ثابتة ابدا
واذا كان كذلك فقد صح حكمنا وصح ان السعيد يكون لذته ذاتية لا عرضية

وفاعلية
وعقلية لا حسية وفعلية لا انفعالية والهية لا بهيمية ولذلك قال الحكماء ان اللذة
اذا كانت صحيحة شابهت البدن من النقص الى التمام ومن السقم الى الصحة
وكذلك ايضا تشوق النفس من الجهل الى العلم ومن الرذيلة الى الفضيلة الا ان
ههنا سرا ينبغي ان يقف عليه المتعلم وهو ان ميل الطبع الى اللذة الحسية وتوك
هذا وشوقه اليها شوق مزعج شديد يؤكده العادة ومن الطبع الذي كان لنا
كثير زيادة لغيرنا ما حصل عليه المبدأ من القوة والشوق ولذلك صارت اللذة
حسية قبيحة ثم مال الطبع اليها بافراطها والفعل منها فيوثق استحسن الانسان فيها
كل قبيح وهون على نفسه منها كل صعب ولم يعوض الغلط ولا مكان القبح
حتى يتضح الحكمة فاما اللذة العقلية الجميلة فامرها بالضد وذلك ان الطبع
يكرهها فان اعرض للانسان اليها بمعرفته وتمييزه احتاج فيها الى الصبر ورياضة
حتى اذا استبصر فيها وتدرب بها انكشف له حسنها وبهاؤها وصار
بالضد مما كان في الحسية من ههنا يبين ان الانسان في ابتدا كونه يحتاج الى
سياسة الوالدين ثم الى الشريعة الالهية الدين القيم حتى يعتاد ويقومه ثم الى
الحكمة البالغة ليتولى تدبيره الى آخر عمره وقد نبين مع ذلك تعلق السعادة بالجود
وذلك انا قد بينا انها لذة فاعلة ولذة الفاعل ابدا يكون في الاعطاء ولذة المنفعل
ابدا يكون في الاخذ فليس يظهر لذة السعيد الا بابداء فضائله واظهار حكمته ووضعها — مابداه
في مواضعها كما ان الكاتب المجود لنا يلتذ باظهار كتابته وكذلك البناء الحاذق
الجيد

فضيلته

تحصيله في صناعته
لا كذا صاحب السعاده
اما بلذه بحر بحر

والصائغ اللطيف والمصور الحسن وبالجملة كل صانع حاذق فاضل
في صناعته يُسر باظهار فضايله واذاعتها من اهلها ومستحقيها وعند
هو معنى الجود وحقيقته الا ان الجود على الاشيا باكرمها افضل واشرف
من الجود بما دونها واخسها وقد عرض لهذا الجود مع شرفه وعلو مرتبته
ضد ما عرض لذلك الجود لتاخره عن نزاهته وعلته فلذلك ان صاحب الاموال
والقنيات الخارجة كلما ينقص ماله بالانفاق وسلم بالبذل فني دخايره بالتبذير
فاما صاحب السعادة التامة فان امواله لا تستنفذ بل تزيد ولا تفنى دخايره بالتبذير
بل تنمو ولكن معرضة للآفات الكثيرة من الاعدا واللصوص وساير المتسلطين
محروسة من كل آفة ولا سبيل للاشرار اليها بوجه ولا سبب فقد ظهر لك ان السعيد
كيف يكون من ابن يقتدي والى اي غاية ينتهي وكيف السرور الحقيقي واللذات الدايمة
فتبين ايضا انها ابدية تامة والمحبة وان ضدها التي هو الشقا لذاته بالضد
وعلى العكس اعني ان الذات كلها عرضية منتقلة عن صاحبها الى اضدادها حتى تصير مؤلمة
او مكروهة وانها غير الهية بل شيطانية وغير عدده وهي مذمومة ويبنى عليها ان
نظر في السعادة هل هي ممدوحة فان ارسطوطاليس يفحص كذا عن الاشيا التي
في غاية الفضل لا يوجد لها مدح لانها افضل واجل من ان تمدح ماله وذلك انه تنسب
المستاهلين للحيا دون الناس للسعاده وليس نجد احدا من الناس يمدح
السعادة نفسها كما يمدح العدل لكنه يمجدها ويكرمها على انها امر الهي فالاستثناء

والاعداء

طمائها

تمدح

التي افضل من المدح الله والخير وذلك ان ساير الاشيا الفاضلة انما تمدح فانها
تنسب الى الله تعالى والخيرات فان المدح انما هو للفضيلة والعدالة لكنه كلامه
على الله تعالى فانه يعظم ويقدس لكرمه واشرف من ان يمدح بل يمجد ونحن نمجد الله
ونقدس ونمجد اكثرها ما السعادة ... فلانها امور الهية وانما يفعل
كلها لاجلها ويمكن كذلك ايضا تمجيدها فعلى هذا الاصل يستحق لا تمدح السعادة لانها
اجل من كل مدح بل تمجيدها في نفسها وتمدح الامور كلها بها وتقدر فضلها
منها تمت المقالة الثالثة من تهذيب الاخلاق وتطهير النفس

المقالة الرابعة

في تهذيب الاخلاق وقد قلنا فيما سلف ان السعادة تظهر في الافعال الحسنة العدالة
والشجاعة والعفة وساير ما تجمعه من الانواع التي احصيناها وعددناها
وهذه الافعال قد تظهر ممن ليس بسعيد ولا فاضل وذلك انا قد نجد بعض الناس على
العدول وليس بعادل ويعمل اعمال الشجعان وليس بشجاع ويعمل اعمال الاعفا وليس
بعفيف وسبب ذلك من ترك الشهوات في المآكل والمشارب وساير اللذات التي
يمكن ان يكثر منها لانه يقصر فيها اكثر ما يحضره وانما لانه لا يعرفها ولا يباشرها
كالزهاد الذين يبعدون عن المدن ويكونون رعاة في البوادي وقلل الجبال وانما لانه ممتلئ مما عنده او حضره
لانه استشعر خوفا من تناولها ومكروها يلحقه بسببها وانما لانه ممنوع منها
فان هؤلاء كلهم يعملون عمل الاعفا وليسوا باعفا على الحقيقة وانما سمي عفيفا
على الحقيقة من وقف في العفة حدها المذكور فيما تقدم واختار ذلك لانه

واما لجمود شهوته
ونقصان تركيبه دائما

غيرها وآثرها لا انها فضيلة ثم نفسا ولكن اذا احد من شهواته بمقدار الحاجة ومن
الوجه الذي ينبغي وفي الوقت الذي ينبغي على الحال التي ينبغي وكذلك حال الذي يعمل عمل
الشجعان وليس بشجاع وذلك انه يخاطر في الحروب ويقدم على ركوب الاهوال لبعض
ما يوصل اليه بالمال او لبعض الرغبات التي لا يحتقرها فان مثل هذا القوم على الشجعان
ولكن بعمله طبيعة الشره لا بطبيعة الفضيلة التي يدعي شجاعة وكل من اكثر اقداما واصبر
على الاهوال المذهلة لما يحب ان يكون اكثر شرها ونهما لا اكثر شجاعة وذلك لانه يخاطر
بنفسه الشريفة ويصبر على المكاره العظيمة طمعا في المال الذي ما وصل اليه بالمال وقد
رأينا اهل الشطارة يحملون على الاعتقاد على الشجعان وهم ابعد الناس من كل
فضيلة وذلك انهم يصبرون عن الشهوات كلها ويصبرون على عقوبات السلطان
وضرب السياط وتقطيع الاعضاء والجراحات التي لا بد منها ويفتخرون بذلك الى
ان يصلي احدهم الصلب وسمل العين وقطع الايدي والارجل وضرب المثل طلب
للاسم والذكر بين قوم من اشكالهم من سوء الاختيار ونقصان الفضائل
وقد يعد ايضا مع الشجعان من يخاف لائمة عشيرته او عقوبة سلطانه او خوف
سقوط جاهه او ما اشبه ذلك وقد يعد من الشجعان ايضا من اتفق له مرارا
كثيرة ان يغلب فهو يتقدم ثقة منه بالعادة والتجارب وجهلا بموانع الاتفاقات
وقد يعد من الشجعان ايضا قوم وذلك انهم يركبون الاهوال في طلب المعشوق لرغبتهم
في العفو او حرصهم على شهوة العين منهم لا لطلب الفضيلة ولا اختيار الموت الجميل

عمل عملا ع

كان له

حتى الى الصلب

اشباههما
على الصورة الردية كما يفعله الشجاع بالحقيقة فاما شجاعة الاسد والفيل و
من الحيوان فانها تشبه الشجاعة وليست شجاعة حقيقية وذلك انها فرط وثوقها
بقوتها وانها تفوق قوة غيرها فهي تتقدم لا بطبيعة الشجاع بل بثبات القوة
والقدرة وثقة النفس بالغلبة وما كان منها سبعا فهو مع هذه الحال مزاج
العلاقي السلاح الذي عدمه غيره فهو كصاحب السلاح منا اذا اقدم على الاعزل
وليست هذه شجاعة هذا مع عدم الاختيار الذي يستعمله الشجاع وذلك ان
الشجاع خوفه من لزوم القبيح اشد من خوفه من الموت فلذلك يختار الموت
الجميل على الحياة القبيحة على ان الشجاع ليس يكون في مبادئ امور فان
مبادئ الامور يكون معه ذعر لكنها تكون في عواقب الامور ويكون ايضا فيما
من عمره لا سيما اذا حامى عن دينه وعن اعتقاده الصحيح في توحيد الله تعالى
والشريعة التي هي سياسة الله وسنته العادلة التي بها مصالح العباد في الدنيا
والآخرة فان مثل هذا اذا فكر في قصر مدته وعلم انه لا محالة سيموت بعد ايام
قلائل ثم كان يجب التحسن ثابتا على الرأي الصحيح فهو لا محالة يحامي عن دينه ويمنع
العدو من استباحة حريمه والتغلب على مدينته ويانف من الفرار ويعلم ان
الجبان اذا اختار الفرار فانه يستبقي شيئا هو لا محالة فان بالاخرة وان كان ايام ما
معدودة ثم في هذه الحياة اليسيرة ممقوت مسبوب مكدر العيش بالذل
استسلامه
وضروب الصغار وهذه حال الشجاع مع قوى نفسه اعني شجاعة الشهوانية

السجاعة

وبه

حلاوه

وبعد عمره ص

مدة عمره

حامى

راجل

لها فإن حالة تلك الحال بعينها واسمع كلام الإمام البطل سلام الله عليه الذي
صدر عن حقيقة الشجاعة فإنه قال لأصحابه أيها الناس إنكم إن لا تقتلوا تموتوا
والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف على الرأس أهون من ميتة على
الفراش ومن عرف حد الشجاعة تبين له أن جميع ما أحصيناه الآن ليس بمعدود
فيها وإن كانت تشبهها بالصورة وذلك أنه ليس كل من تقدم على الأهوال
فهو شجاع ولا كل من تجافى من الفضائح فهو شجاع وذلك أن من لا يفزع
من هاب شرفه أو فضيحة حرمه أو عند حدوث الرجفات والزلازل
والصواعق أو من الزمانة في الأمراض أو عدم الإخوان والأصدقاء
أو عند اضطراب البحر وهيج الأمواج وموبقاتها فهو بأن يوصف بالجنون
متهور بالحمق من أولى من أن يوصف بالشجاعة وكذلك من خاطر بنفسه
في وقت الأمن والطمأنينة بأن يثب من سطح عال أو صعد في موضع صعب
أو رمى نفسه على جوف نهر غزير وهو لا يحسن السباحة أو يشاور رجالا
كثيرا أو ثورا صعبا أو فرسا لم يروض من غير غرض يدعوه إلى ذلك بل
مراآة بالشجاعة وإظهار المرتبة الشجعان فإن مثل هذا إن سمي متهورا
[illegible] أولى منه بأن يسمى شجاعا وأما من جنى نفسه خوفا من الفقر
أو الذل أو أهلكها بالسيف أو ما أشبهه هربا من ضيم يصير إليه فهو بأن
يوصف بالجبن أولى منه بأن يوصف بالشجاعة وذلك أن الإقدام [illegible]

بطبيعة الجبن لا بطبيعة الشجاعة فإن الشجاع يصبر على ما يرد عليه من الشدائد
صبرا جميلا ويعمل أعمالا لا تليق بتلك الحال كما شرحناه فيما تقدم ولذلك يجب
أن يعظم الشجاع ويشح على نفسه حتى على السلطان خاصة والقيم بأمر الدين
والملك أن يناقش فيه ويعز مكانه ويعلي حظه ويميزه من كل من يتشبه به
ممن ذكرناه فقد تبين من جميع ما قلناه أن الشجاع هو الذي يستهين بالشدائد
في الأمور الجميلة ويصبر على الأمور الهائلة ويستخف بما يستعظمه عوام الناس حتى
بالموت لا حبا [illegible] إذا كان الأفضل ولا يحزن على ما لا دركه ولا يضطرب عند
الوقت [illegible] من المصائب ويكون غضبه إذا غضب بقدر ما يجب وعلى من يجب وفي
الذي يجب وكذلك يكون انتقامه على هذه الشرائط فإن أعلى [illegible] قال إن من لا ينتقم
[illegible] إذا انتقم عاد إلى حالته من النشاط وهذا الانتقام إذا كان
بحسب الشجاعة كان محمودا وإذا لم يكن كذلك كان مذموما فقد نقل إلينا في
الأخبار المأثورة عمن أقدم على سلطان قوي وأراد أن ينتقم منه فأهلك نفسه
من غير أن يضر سلطانه روايات كثيرة وكذلك حال من أقدم على قرن قوي أو خصم
ألد لا يستطيع منازلته فإن الانتقام منه يعود وبالا عليه وزيادة في الذل
والعجز فإذن ليس تتم شرائط الشجاعة والعفة إلا للحكيم الذي يستعمل كل شيء
في موضعه الخاص به وبقدر وتقسيط العقل له فكل شجاع عفيف حكيم وكل
حكيم شجاع عفيف [illegible] نظر فمن عمل عملا [illegible] يستحيي وليس

و تعلي حظه

للحكيم

اعلام

وذلك ان من يغتال اموال الناس لشهواته او طلبا للسمعة والريا او تقربا الى
السلطان او لدفع مضرة عن نفسه وحريمه واولاده او يبذلها لمن لا يستحق من
اهل الشر والملهين او المشاخر او يبذلها للطمع في اكثر منها على سبيل التجارة او
المرابحة فكل هولا يعاملون معاملة الاسخيا وليس بسخيا اما بعضهم فيبذله لما له تطلبه
الشره واما بعضهم فبطبيعة الطرمذة والريا واما بعضهم فعلى طلب الازدياد
من المال والربح منه واما بعضهم فعلى سبيل التبذير وقلة المعرفة بقدر المال
وهذا اكثر ما يعرض للوارث ولمن لم يتعب باكتساب المال فلا يعرف صعوبته الا فيه
وذلك ان المال صعب الاكتساب سهل الانفاق قد شبهه الحكما بمن ينقل حجرا
ثقيلا الى قلة جبل ثم يرسله فان الارسال خفيف واصعاده صعب ومن كان ارساله
هنالك امر سهل وان الحاجة الى المال ضرورية في العيش وهو نافع في اظهار الحكمة
والفضائل ومن اكتسبه من وجهه صعب عليه وذلك ان المكاسب الجميلة قليلة
ووجوهها يسيرة عند الرجل العادل الحر فاما غير العادل فليس يبالي كيف
اكتسبه ومن اين وصل اليه ولاجل ذلك تجد كثيرا من الاحرار الفضلا الحظ ما فضى
منه وتوجد الفضلا والمتقين النذالة شاكين منه فاما اضدادهم فلاجل انهم
يكتسبون من جميع الجهات ولا يبالون كيف وصلوا اليه فانهم يوجدون ولذلك
وافري الحظوظ منه واسوا السقاط شاكرين لبختهم والعامة يغبطونهم ويحسدونهم بل
الا ان العاقل اذا راى نفسه مستوري من الحرمان لنقل العرض من السوانح

لم يدنس بالقبيح من المكاسب ولم يتطرق اليه خيانة ولا سرقة ولا ظلم
لمن هو دونه او مثله ويجتنب فيه وجوه العار والفضايح كالقيادة وابداع
وترويج السلع القبيحة على الملوك واستنزالهم عن اموالهم بالخدع والمكر
ومساعدتهم على الفواحش وتحسين القبايح بما يوافق اهواءهم وما يجري
مجرى ذلك من السعاية والنميمة والغيبة وضروب الفساد التي تركبها طلاب
المال من غير وجهه فضروب المعاملات وجمع الظلم بين نفسه وبين اضرب المال
الراحة والمحمدة فلا يزال هذا لا يبغض الذي لا يحسد اصحاب الاموال المكتسبة
من غير وجوهها اعني اهل احوال المكتسبين للاموال من غير وجوهها وكذلك حال
من يعامل العدول وليس بعدل وذلك انه اذا عدل في بعض الاشيا مرايا له ليصل
به الى كرامة او مال او غير ذلك من الشهوات لغرض اخر فانا عددنا فيما تقدم
فليس هو عادلا وانما يعامل معاملة العدول للغرض الذي يقصده فيستولي
فعله الى عرضه فانه بحسب هذا العقل ذكرنا ملنا وشرحنا فاما العادل بالحقيقة
فهو الذي يعدل قواه وافعاله واحواله كلها حتى لا يزيد بعضها على بعض ثم يروم ذلك
فيما هو خارج عنه من المعاملات والكرامات ويقصد في جميع ذلك فضيلة العدالة
نفسها لا عرضا اخر سواها وانما يتم له ذلك اذا كانت له هيئة نفسانية تصدر
عنها افعاله كلها بحسبها ولما كانت العدالة توسطا بين اطراف
وهيئة تصدر بها على الزايد والناقص الصادرة ثم الفضائل واشبهها

نماء
فضيلة
توسطا

بالوحدة واعني بذلك ان الوحدة هي التي لها الشرف الاعلى والزعم المفضول
وكل كثرة لا ينظمها معنى توحدها فلا قوام لها ولا ثبات والزيادة والنقصان
والكثرة والقلة هي التي تفسد الاشيا اذا لم يكن منها مناسبة يحفظ عليها
الاعتدال الوحدة ما والاعتدال هو الذي يرد اليها ظل الوحدة ومعناها
وهو الذي يلبسها شرف الوحدة ويزيل عنها رذيلة الكثرة والتفاوت
والاضطراب الذي لا يحد ولا يضبط بالمساواة التي هي حلية الوحدة (والاضطراب)
في جميع الكثرات واشتقاق هذا الاسم يدلك على معناه وذلك ان العدل انما
للاجال في الاعتدال في الانفعال والعدل في الافعال مشتق من معنى المساواة
والمساواة هي اشرف النسب المذكورة في صناعة الموسيقى وغيرها ولا
لا تنقسم ولا يوجد لها انواع وانما يحدث فيها معناها اعني ظل الوحدة فاذا
لم نجد المساواة التي هي المثال الحقيقي في الكثرة عدلنا الى النسب المذكورة
التي نحمل اليها ونعود الى حقيقتها وذلك انا حينئذ نضطر ان نقول نسبة هذا
الى هذا كنسبة هذا الى هذا ولهذا لا توجد النسبة الا بين اربعة حدود او يشترك فيها
الوسط فيصير ايضا اربعة فالنسبة الاولى تسمى منفصلة والثانية تسمى متصلة
ومثال الاولى انا ناخذ اربعة حدود فنقول نسبة آ الى ب كنسبة ج
الى د وهذه النسبة منفصلة ومثال الثانية انا ناخذ الياً مشتركا فنقول نسبة
آ الى ب كنسبة ب الى ج وهذه النسبة توجد في الثلاثة وهي النسبة العددية

[illegible]

٥٥

والنسبة المساحية والنسبة التاليفية وجميع ذلك مبين مشروح في المختصر الذي عملناه
في صناعة الارثماطيقي واما سائر النسب فراجعة اليها ولذلك عظمها الاولون
واستخرجوا بها العلوم الشريفة فلما كانت نسبة المساواة عزيزة لانها ظل الوحدة
عدلنا الى جعل هذه النسب الاخرى للامور الكثيرة التي لا تلبسها لانها عادلة اليها وعن
خارجة عنها فنقول ان العدالة الخارجية عنا موجودة في ثلثة مواضع احدها في قسمة الاموال
والكرامات والثاني في قسمة المعاملات الارادية كالبيع والشرى والمعاوضات والثالث
في قسمة الاشيا التي وقع فيها ظلم وتعدي فاما العدل في الاموال فيكون في القسم الاول
فيكون بالنسبة المنفصلة التي ترامي ان يكون نسبة الاول الى الثاني كنسبة الثالث الى الرابع مثال (لا ادعه م)
ذلك ان يقال ان نسبة هذا الانسان الى هذه الكرامة او الى هذا المال كنسبة كل من كان في مثل
مرتبته الى مثل قسطه فاذن يجب ان يوفر عليه بمثل اليه فاما في الامور التي تكون في
القسم الثاني اعني في المعاملات فيكون بالنسبة المتصلة مرة وبالنسبة المنفصلة اخرى
مثال ذلك ان نقول نسبة هذا البزاز الى هذا الاسكاف كنسبة هذا الثوب الى
هذا الخف ثم ليس يمنع مانع ان نقول نسبة البزاز الى الاسكاف كنسبة الاسكاف الى
النجار او نقول نسبة الثوب الى الخف كنسبة الخف الى الكرسي وتبين كل من هذين (تكون م)
الا ان النسبة الاولى تكون بالثمن فقط والنسبة الثانية بالعوض والثمن جميعا اعني
ان الاولى تقع بين الكليين والجزئيين فهو بالثمن اشبه والثانية تقع بالعوض
والثمن جميعا وقد تقع بين الكليين والجزئيين ايضا فاما العدالة التي تقع في المظالم

والامور القسمية فهي بالنسبة المساحية وذلك ان انسانا متى كان على نسبة
من انسان آخر فابطل هذه النسبة بحيف او ضرر يلحقه فان العدالة توجب ان
يلحق به ضرر مثل الذي الحقه الغاصب الى ما كان عليه فالعادل يشبه المهندس الذي يسوي
بين الاشياء على التساوي ومثال ذلك ان الخط اذا قسم بقسمين غير متساويين نقص من الزائد
وزاد على الناقص حتى يحصل له التساوي ولهذا يجب عنه معنى القلة والكثرة ومعنى
الزيادة والنقصان وكذلك الخفة والثقل وجميع ما اشبه ذلك ولكن ينبغي ان يكون
على المطلوب الوسط حتى يرد الطرفين اليه ومثال ذلك الربح والخسران فانهما في
المعاملات طرفان احدهما زيادة والآخر نقصان فان الاخذ اقل مما يجب صار الى جانب
النقصان والآخذ اكثر مما يجب كان صار الى جانب الزيادة والشريعة هي التي ترسم
في كل واحد من هذه الاشياء التوسط والاعتدال لان الناس هم المدنيون بالطبع ولهم
لم يتم عيش الا بالتعاون فبعضهم يخدم بعضا ويأخذ بعضهم من بعض ويعطي
بعضهم بعضا فهم يطلبون المكافاة على المناسبة فاذا اخذ الاسكاف من النجار
عمله واعطاه عمله فهو المعاوضة اذا كان العملان متساويين ولكن ليس يمنع مانع
ان يكون عمل الواحد خيرا من عمل الآخر فيكون الدينار هو المقوم والمساوي
فالدينار هو عدل متوسط الا انه ساكت والانسان الناطق هو الذي يستعمله
ويقوم به جميع الامور التي تكون في المعاملات حتى تجري على استقامة ونظام
صحيحة عادلة ولذلك يستعان بالحاكم الذي هو عدل ناطق اذا لم يستقم الامر بين الخصمين
الذي

الذي هو عدل ساكت وارسطوطاليس يقول ان الدينار ناموس عادل ومعنى
الناموس في لغته السياسة والتدبير وما اشبه ذلك وهو يقول في كتابه المعروف
بنيقوماخيا ان الناموس الاكبر هو من عند الله والحاكم ناموس ثان
من قبله والدينار مقتديا بالشرع ناموس الله تعالى قدوة النواميس كلها يعني — ناموس
الشريعة والحاكم الثاني مقتد به والدينار مقتديا بالثاني وانما قومت الاشياء المختلفة
بالاثمان المختلفة لتصح المعاملات والمشاركات وحتى تستوي حال الاخذ والمعطي
فالدينار هو الذي يساوي بين المختلفات ويزيد في شيء وينقص من شيء آخر حتى
يحصل منهما الاعتدال فيستوي المعاملة بين الفلاح والنجار مثلا وهذا هو
العدل المدني بالعدل المدني عمرت المدن وبالجور المدني فخربت المدن
وليس يمنع مانع من ان يكون عمل يسير يساوي عملا كثيرا ومثال ذلك المهندس
ينظر نظرا قليلا ويحكم على عمل يسير ويساوي بنظره هذا عملا كثيرا من اقوام
يكدون بين يديه ويعملون على رسمه وكذلك صاحب الجيش يكون بنظره وتدبيره
يسيرا ولكنه يساوي اعمالا كثيرة مما يعمله من يحارب بين يديه ويعمل الاعمال
الثقيلة العظيمة فالجائر يبطل التساوي وهو عند ارسطوطاليس على ثلاث منازل
فالجائر الاعظم هو الذي لا يقبل الشريعة ولا يدخل تحتها والثاني هو الذي
لا يقبل قول الحاكم العادل في معاملاته وامور كلها والجائر الثالث هو الذي
لا يكتسب ولا يقتضي الاموال التي في نوبته اكثر مما يجب له وان لم يتمسك بالشريعة

لنا وعده اذن [illegible]

بعد بطبيعة المساواة فيكتسب الخير والسعادة من جميع العدالات
لأن الشريعة تأمر بالاشياء المحمودة لانها من عند الله تعالى لا بآراء الاباحية
وتأمر بالاشياء التي تشغل السعادة وهي ايضاً تنهى عن ارتكاب الآثام البدنية
وتأمر ايضاً بالشجاعة وحفظ الرتبة والثبات في مصاف الجهاد وتأمر
بالعفة وتنهى عن الفسوق والافتراء والشتم والهجو وبالجملة تأمر بجميع
الفضائل وتنهى عن جميع الرذائل فالعادل يستعمل العدالة في ذاته وفي كل
المدنيين فالعدالة ليست جزءاً من الفضيلة بل هي الفضيلة كلها ولا الجور
الذي هو ضدها جزءاً من الرذيلة لكنها الرذائل كلها فبعض انواع الجور
ظاهر يفعل بالارادة مثل ما يكون في البيع والشرى والكفالات والقروض
وبعضها خفي يفعل بالارادة ايضاً مثل السرقة والفجور وسل القيادة وخدع
المماليك وشهادة الزور وبعضها غشم على سبيل التغلب مثل التعذيب
بالدفع والقيود والاغلال الغربية والامام الحاكم بالسنونة
هذه الانواع ويخلف صاحب الشريعة في حفظ المساواة فلا يعطي
ذاته من الخيرات اكثر مما يعطي غيره ولذلك قيل في الخبر ان الخلافة تظهر الانسان
فاما الثنا والكرامة فانها تؤهل المؤهلة الدائمة على الخلافة من كان شريفاً
في حسبه ونسبه وبعضهم يؤهل لذلك من كان كثير المال اما العقلاء فانهم
يؤهلون لذلك من كان حكيماً فاضلاً فان الحكمة والفضيلة هي التي تعطي الرياسة

بصدد

والجائر يستعمل الجور في ذاته وفي اصدقائه ثم في جميع شركائه المدنيين

والسيادات الخسيسة وهي التي تنسب اولاً الى التابع مرتبتها وفضيلتها
واسباب المضرات كلها تنقسم الى اربعة انواع احدها الشهوة ويتبعها الرداءة
والثاني النزاع ويتبعه الجور والثالث الخطأ ويتبعه الخزي والرابع الشقا
ويتبعه الجرم وفيها مزلة وخزي اما الشهوة فانها تحمل الانسان على الاضرار
بغيره الا انه لا يكون نوى الاذى ولا متعدياً به ولكنه يفعله ليصل به الى شهوته وربما
كان غير ملتذ به كارهاً له الا ان قوة الشهوة تحمله على ارتكاب ما يرتكب واما
النزاع فانه يفعل الاضرار بغيره على سبيل الاستبداد والاستلذاذ به لكي يستولي
السلطان ويحمله على ازالة نعمة لا يصل اليه منها شيء لكن يتلذذ بالمكروه الذي
يصل الى غيره واما الخطأ فان صاحبه لا يقصد الاضرار بغيره ولا يؤذيه ولا
يلتذ به بل يقصد فعلاً فيعرض منه فعل آخر وصاحب هذا الفعل يحزن ويكتئب
لما اتفق عليه من الخطأ واما الشقا فصاحبه لا يكون قصد افعاله اليه ولا له
فيه صنع بالقصد لكن يتفق فيه سبب آخر من خارج وذلك كمن يصدم
دابته المرأة فيقتلها من غير قصد او يرمي بسهم الى صيد فيصيب ولده
فهذا يسمى شقياً ومن جهته معذور ولا يجب عليه عتب ولا عقوبة واما
السكران والغضبان والغيران اذا فعلوا افعالاً قبيحة فانهم يستحقون العقوبة
البتة والعقوبة لان ... افعالهم وذلك ان السكران مختار لازالة
والغضبان والغيران مختاران للانقياد لدواعي النفس اذا ما جنايته

ونعود الى ما كنا فيه من ذكر العدالة فنقول ان ارسطوطاليس قسم العدالة
الى ثلثة اقسام احدها ما يقوم به الناس لرب العالمين ومولانا عز وجل اعني الانسان
فيما بينه وبين الخالق تعالى على ما ينبغي وبحسب ما يجب عليه من حقه وبقدر طاقته
وذلك ان العدل اذا كان انما هو اعطاء ما يجب كما يجب فمن المحال ان لا يكون
لله تعالى الذي وهب لنا هذه الخيرات العظيمة واجب ينبغي ان يقوم به الناس
والثاني ما يقوم به بعض الناس لبعض من اداء الحقوق وتعظيم الرؤساء وتادية
الامانات والنصفة في المعاملات والثالث ما يقومون به من حقوق
اسلافهم مثل اداء الديون عنهم وانفاذ وصاياهم وما اشبه ذلك فهذا
ما قاله ارسطوطاليس فاما ما يقتضيه ما قاله انما يجب تبيينه وان كان
ظاهرا فانا اقول فيه ما يليق بهذا الموضع وهو ان العدالة لما كانت تظهر
في الاخذ والاعطاء وفي الكرامات التي ذكرناها وجب ان يكون لما يصل
الينا من عطيات الخالق عز وجل ونعمه التي لا تحصى حق يقابل عليه وذلك ان
من اعطى خيرا ما وان كان قليلا ثم لم ير ان يقابله بضرب من المقابلة فهو
جائر فكيف به اذا اعطي كثيرا واخذ اخذا دائما ثم لم يعط من
معامله شيئا البتة ثم على قدر النعم التي تصل الى الانسان يجب ان يكون
اجتهاده في المقابلة عليها ومثال ذلك ان الملك الفاضل اذا آثر التبرع
وبسط العدل واوسع العمال وحمى الحريم وذب عن الحوزة ومنع من التظالم

ووفر الناس على ما يختارونه من مصالحهم ومعايشهم فقد احسن الى كل واحد
من رعيته احسانا تخصيصيا بنفسه وان كان قد عمهم بالخير واستحق من كل
واحد منهم ان يقابله ضربا من المقابلة تجري عنه مجرى الجزاء اذا كان
باخذ نعمته ولا يعطيه شيئا لكن مقابلة الملك الفاضل من جهة رعيته انما تكون
باخلاص الدعاء ونشر المحاسن وجميل الشكر وبذل الطاعة وترك المخالفة
في السر والعلانية والمحبة الصادقة والاقتداء بسيرته بحسب استطاعته
به في تدبير منزله واهله وولده وعشيرته فان نسبة الملك الى مدينته ورعيته
كنسبة صاحب المنزل الى منزله واهله فمن لا يقابل ذلك الاحسان بهذه الطاعة
والمحبة فقد جار وظلم وهذا الجور والظلم اذا كان في مقابلة النعم الكثيرة كان
افحش واقبح وذلك ان الظلم وان كان في نفسه قبيحا فانه يتفاوت كثيرا لان مقابلة
كل نعمة انما تكون بحسب منزلتها وموقعها وبقدر فائدتها وعايدتها وعلى مقدار د بتقدر
عددها فان كانت النعم كثيرة العدد عظيمة الموقع فكيف حال من لا يلتزم يكون
لها حقا ولا يرى عليها مقابلة بطاعة ولا شكر ولا محبة صادقة ولا اشتهاء
صالح واذا كان هذا معروفا غير منكر واجبا غير مجحود في ملوكنا ورؤسائنا
فلم يكن بالحري ان يكون لملك الملوك الذي يصل الينا في كل يوم بل في كل طرفة
عين ضروب احسانه الفائضة على اجسامنا ونفوسنا التي لا نقدر عليها
احصاء ولا عددا من الحقوق الواجب علينا القيام والنهوض بتادية بعضها
تعالى

بالعلم

اثنا ما نجهل النعم الاولى علينا بالوجود ثم ما تبعها متواترة بعد ذلك الحكيم
الذي انتفع به صاحب كتاب التشريح ومنافع الاعضاء نحو الف ورقة تمثل مبلغ
بعض ما عليه كنه الامر ثم انا نجهل ما وهب لنا من نفوسنا وما ركب فيها من
القوى والملكات التي لا نهاية لها وما ايدها من فيض العقل ونوره وبركاته
وما نخص به من الملك الابدي والنعيم السرمدي لعمري ما نجهل النعم اتم النعم
فاما الانسان فنعرف من ذكرنا ما يضطره اليه مشاهدة الحال في جمع او قاتل
واذا كان الخالق تعالى محتجبا عن معرفتنا ومباعدا في الجلال النسج والجود
الفاحش ان لا تلزم حقه لحقا ولا نعاملها على هذه الآراء والنعم بما يليق غاية
الجور والخروج عن شريطة العدل الا ان ارسطوطاليس في هذا الموضع
لم يفسر شكل العبادة التي تجب ان تقوم بها لخالقنا عز وجل غير انه قال اما هل
حكاية وقد اختلف الناس فيما ينبغي ان يقوم به المخلوق لخالقه تعالى فبعضهم
راى انه صلوات وصيام وخدمة هياكل ومصليات وقرابين وبعضهم راى ان
يقتصر على الاقرار بربوبيته والاعتراف باحسانه وتمجيده بحسب استطاعته
وبعضهم راى ان يتقرب اليه بالاحسان الى نفسه بتزكيتها وحسن سياستها والاحسان
الى المستحقين من اهل نوعه بالمواساة وبالحكمة والموعظة وبعضهم راى
ان يشتغل بالتعبد بالفكر في الالهيات والتقرب عن الجهالات التي يتردى بها الانسان
من بعد قربه بحيث يتكامل بمعرفته وكيفيته وحدانيته وصرف الفكر

اليه وما يجب على الانسان لخالقه تعالى وبعضهم راى ان الواجب لله تعالى على الناس ليس
سبيله واحدا ولا هو شيء بعينه فيلزمه جميع الناس واحدا واحدا على مثال واحد ولكنه
يختلف بحسب اختلاف طبقات الناس ومراتبهم من العلم فهذا ما قاله ارسطوطاليس
بالالفاظ المنقولة الى العربية فاما ما قاله الحدث من الفلاسفة فانهم قالوا
عبادة الله تعالى في ثلاثة انواع احدها فيما يجب على الابدان كالصلاة والصيام
والسعي الى المواقف الشريفة لمناجاة الله تعالى والثاني فيما يجب على النفوس كالاعتقادات
الصحيحة مثل العلم بتوحيد الله تعالى وما يستحقه من الثناء والتمجيد والفكر
فيما افاضه الله تعالى على العالم من جوده وحكمته ثم الاتساع في هذه المعارف
والثالث فيما يجب عند مشاركات الناس في المدن وهي في المعاملات والمزارعات
والمناكح وتأدية الامانات ونصيحة البعض للبعض بضروب المعاونات وعند
جهاد الاعداء والذب عن الحريم وحماية الحوزة قالوا فهذه العبادات هي
الطرق المؤدية الى الله تعالى وهي التي تجب له على عباده وقال آخرون عبادة الله عز وجل
ثلاث وهي الاعتقاد الحق والقول الصواب والعمل الصالح ثم العمل ينقسم
الى البدني كالصيام والصلوة والى ما هو خارج عن البدن كالمعاملات
والجهاد ثم ان المعاملات تنقسم الى المعاوضات والمناكح والمعاونات
وهذه الانواع وان كانت معدودة محصورة فانها تنقسم الى انواع كثيرة
واقسام لا تحصى والانسان فيه مقامات ومنازل عند الله تعالى فالمقام الاول

للموقنين وهو رتبة الحكماء والاجلاء العلماء والمقام الثاني مقام المحسنين وهو
رتبة الذين يعملون بما يعلمون وهو ما ذكرناه في كتابنا هذا من الفضائل
والعمليات والمقام الثالث مقام الابرار وهو رتبة الصالحين وهو لا بهم
خلفاء الله بالحقيقة في اصلاح العباد والبلاد والمقام الرابع مقام
الفائزين وهو رتبة المخلصين في المحبة والمنتهى في رتبة الاتحاد وليس بعدها
منزلة ولا مقام لمخلوق ويسعد الانسان بهذه المنازل اذا حصلت له اربع
خلال اولها الحرص والنشاط والثاني العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية
والثالث الحياء من الجهل ونقصان القريحة الذي هو عدم الاستعمال والرابع
لزوم هذه الفضائل والتوفر فيها دائما بحسب الاستطاعة وفي اسباب الانفصال
وعنها انقطاعات عن هذه المراتب وسقوط وهي الى الحدود باللعائق فاولها
السقوط الذي يستحق به الاعراض ويتبعه الاستخفاف والثاني السقوط الذي يستحق
به الحجاب ويتبعه الاستخفاف والثالث السقوط الذي يستحق به الطرد ويتبعه
المقت والرابع السقوط الذي يجري به الفساد ويتبعه البغض وانما يستحق العبد
اذا حصل فيه اربع خلال اولها الكسل والبطالة ويتبعها ضياع الزمان
وفناء العمر بغير فائدة انسانية والثانية الغباوة والجهل المتولدان عن
ترك النظر ورياضة النفس بالتعاليم التي احصيناها في كتاب تهذيب السعادات
والثالثة الوقاحة التي تتبعها اهمال النفس اذا تبعت الشهوات وقد ذكرناها

عن ركوب الخطايا والسيئات والرابعة الانهماك الذي يحدث من الاستمرار
في القبائح وترك الانابة وهذه الانواع الاربعة تسمى في الشريعة باربعة
اسماء فالاول الزيغ والثاني الرين والثالث هو الغشاوة والرابع هو الختم
ولكل واحد من هذه الشقاوات علاج خاص سنذكره عند مداواة
اسقام النفس حتى تعود الى الصحة باذن الله تعالى وهذه الاشياء التي
عددناها الآن لا خلاف بين الحكماء فيها وبين اصحاب الشرائع وانما يختلف
العبارات والاشارات اليها بحسب اللغات وافلاطن يقول ان العدالة
اذا حصلت للانسان اشرق بها كل واحد من اجزاء النفس على كل واحد
منها وذلك لحصول فضائلها اجمع فيها فحينئذ تنهض النفس فتؤدي
فعلها الخاص بها على افضل ما يكون وهو غاية قرب الانسان السعيد من
الاله تقدس اسمه ثم ان العدالة توسط ليس على حد التوسط الذي
في الفضائل التي تقدم ذكرها لكن لانه في الوسط والجور في الطرفين
وانما صار الجور في الطرفين لانه زيادة ونقصان معا وذلك لان من
شان الجائر طلب الزيادة والنقصان معا اما الزيادة فمن النافع
على الاطلاق واما النقصان ففي الضار وكذلك يكون الحال في مستعمل
الزيادة والنقصان معا اما المنفعة فيستعمل الزيادة في النافع واما
لغيره فيستعمل النقصان منه واما في الضار فبالضد وعلى العكس

وذلك انه اما النقص فيستعمل النقصان واما الغرض فيستعمل الزيادة
فالفضائل التي قلنا انها اوساط من الرذائل هي غايات ونهايات
وذلك ان الوسائط ههنا نهاية لانها في كل جهة فهو في غاية البعد منهما [illegible]
ولذلك من يعدو من الوسط زيادة فيعد قرب من ذلك كما قلنا فيما تقدم
وقد تبين من جميع ما قدمنا ان للفضائل كلها اعتدالات وان العدالة
اسم يشملها ويعمها كلها وان الشريعة لما كانت تقدر الافعال الارادية التي
تقع بالروية وما الوضع الالهي صار المتمسك بها في معاملاته عدلا والمخالف
لها جائرا فلذلك قلنا ان العدالة تحصل للمتمسك بالشريعة الا انا قلنا [illegible]
مع ذلك انها هيئة نفسانية تصدر عنها هذه الفضيلة فتصور هذه الهيئة
النفسانية فانك ستعرف دقة واضح ان اصحابها يتعادلون لا محالة
للشريعة طوعا لا اضطرارا ذهابا بنوع من انواع التضاد وذلك انه اذا
حافظ على المناسبات التي ذكرناها لانها مساواة وآثرها بعد
اجالة الرأي فيها على سبيل الاختيار لها والرغبة فيها وجبت عليه
موافقة الشريعة وترك مخالفتها واقل ما يكون المساواة بين اثنين
ولكنها تكون في معاملة مشتركة بينهما وهو الشيء الثالث وربما كان
كما قلنا تنقص المناسبات من اربعة كما قلنا وينبغي ان يعلم ان هذه
الهيئة النفسانية هي غير الفعل وغير المعرفة وغير القوة اما الفعل فلانا

ولا يفعله

قد وجدنا انه تقع على غير هيئة نفسانية كمن يفعل افعال العدالة وليس بعادل
وكمن يفعل افعال الشجاعة وليس بشجاع واما القوة والمعرفة فلان
كل واحدة منهما هي بعينها للضدين جميعا فان العلم بالضدين واحد وكذلك
القوة على الضدين قوة واحدة فاما الهيئة القابلة لاحد الضدين فهي
غير الهيئة القابلة للضد الآخر ومثال ذلك هيئة الشجاع فانها غير هيئة الجبان
وكذلك هيئة العفة غير هيئة الشره وهيئة العدالة غير هيئة الجور ثم ان العدالة
والحرية تشتركان في باب المعاملات في الاخذ والاعطاء الا ان العدالة
تقع في اكتساب المال على الشرائط التي قدمنا القول فيها والحرية تقع في
انفاق المال على الشرائط التي ذكرناها ايضا ومن شأن من يكتسب او يأخذ
فهو بالمنفعل اشبه ومن شأن المنفق ان يعطي فهو بالفاعل اشبه ولهذه
العلة يكون محبة الناس للحر اشد من محبتهم للعادل الا ان نظام العالم
بالعدالة اكثر منه بالحرية وخاصة الفضيلة هي في فعل الخير لا في ترك الشر وخاصة
محبة الناس وحمدهم في بذل المعروف لا في جمع المال فالحر لا يكرم المال ولا
يحبه لذاته بل ليصرفه في وجوهه التي يكتسب بها المحبات والمحامد ومن — المحبات
خاصة الحر ان لا يكون كثير المال لانه منفاق ولا يكون ايضا فقيرا
لانه كسوب من حيث ينبغي وهو غير متكاسل عن الكسب لانه بالمال يصل — البقيه
الى فضيلة الحرية ولذلك لا يمنع المال ولا يستعمل فيه التبذير ولا ايضا

ينتفع به ولا استعمال الغضب فكل جزء عادل وليس كل عادل جزءا وفي هذا
الموضع مسئلة عويصة سأل عنها الحكماء أنفسهم وأجابوا عنها بجواب
مقنع ويمكن أن يجاب فيه بجواب آخر هو أشد إقناعا ويجب أن نذكر الجميع
وسؤال الشاك أن يقول إذا كان العدل فعلا اختياريا يعطيها إنما العادل من يفعل
الفاعل ويقصد بها تحصيل الفضيلة لنفسه والمحمدة من الناس فيجب أن يكون العادل
الجور فعلا اختياريا يفعله الجائر ويقصد به تحصيل الرذيلة لنفسه
والمذمة من الناس ومن القبيح الشنيع أن يظن بالإنسان العاقل أنه يقصد
الإضرار بنفسه وفعل الرذيلة على سبيل الاختيار ثم أجابوا عن ذلك
وحلوا عن هذا الشك بأن قالوا إن من ارتكب فعلا يؤديه إلى ضرر أو عذاب
فإنه يكون ظالما لنفسه وضارا لها من حيث يعتقد أنه ينفعها وذلك لسوء
اختياره وترك مشاورة العقل فيه ومثال ذلك الحاسد فإنه ربما
جنى على نفسه لا على سبيل إيثار الإضرار بنفسه بل لأنه يظن أنه ينفعها منه
بالعاجل في الخلاص من الأذى الذي يلحقه من الحسد هذا جواب القوم
فأما الجواب الآخر فهو أن الإنسان لما كانت له قوى كثيرة تسمى بمجموعها
إنسانا واحدا لم ينكر أن تصدر عنه أفعال مختلفة بحسب تلك القوى
وإنما المنكر أن يكون الشيء الواحد البسيط ذو القوة الواحدة تصدر
منه تلك القوى أفعال مختلفة لا بحسب الآلات المختلفة ولا بعدد القابلات

منه بل تلك القوة الواحدة فقط هذا الرأي فمنكر شنيع ولكن الإنسان
قد تبين من حاله أن له قوى كثيرة تفعل كل قوة عملا مخالفا للعمل الآخر
أعني أن صاحب الغضب إذا اهتاج يفعل باعتبار أفعالا مخالفة لأفعاله إذا
كان هادئا وادعا وكذلك صاحب الشهوة الهائجة وصاحب النشوة
الطرب فإن من شأن هؤلاء أن يستخدموا العقل الشريف في تلك
الحال ولا يستشيرونه ولذلك نجد العاقل إذا تعقب أحواله تلك
فصار من الغضب إلى الرضا ومن السكر إلى الإفاقة تعجب من نفسه وقال
ليت شعري كيف اخترت تلك الأفعال القبيحة فيلحقه الندم وإنما كان
ذلك لأن القوة التي تهيج به وتدعوه إلى ارتكاب الفعل قطنه في تلك الحال صالى
لا تجيل ذهنه لتتم لها حركتها القوية الهائجة فإذا سكن عنها وراجع عقله رأى
قبح ذلك الفعل وفساده وقوى الإنسان التي تدعوه إلى ضروب الشهوات
ومحبة الكرامات التي لا يستحقها كثيرة جدا فهو بحسب قواه الكثيرة
تكون أفعاله كثيرة فإذا تعود الإنسان أن تكون سيرته فاضلة ولم يقدم
على شيء من أفعاله إلا بعد مطالعة العقل الصريح وبعد مراعاة الشريعة
القويمة كانت أفعاله كلها منتظمة غير مختلفة ولا خارجة عن سيرة العدل أعني سنن
المساواة التي قدمنا القول فيها ولهذا البحث يلزمنا أن السعيد من اتفق له
في صباه أن يأنس بالشريعة ويستسلم لها ويتعود جميع ما تأمره به

حتى اذا بلغ المبلغ الذي يمكنه معه ان يعرف الاسباب والعلل طالع
الحكمة فوجدها موافقة لما تقدم من عاداته ثم استحكم رايه وقويت
بصيرته وتعودت عزيمته وههنا مسلة عويصة اشد من الاولى
وهو ان التفضل شي محمود جدا وليس يقع تحت العدالة لان العدالة
كما ذكرنا مساواة والتفضل زيادة وقد علمنا ان العدالة تجمع الفضايل
كلها ولا مزيد عليها بل يجب ان يكون الزيادة عليها مذمومة كما
ان النقصان عنها مذموم ليكون شرف الوسط الذي تقدم
وصفه في ساير الاخلاق حاصلا للعدالة فالجواب عنها
ان التفضل احتياط يقع من صاحبه في العدالة ليامن به وقوع
النقص في شي من شرايطها وليس الوسط من كل طرفين من
الاخلاق على شريطة واحدة وذلك ان الزيادة في باب السخا اذا لم تخرج
الى باب التبذير احسن من النقصان عنه واشبه بالمحافظة على شرايطه حتى
تصير كالاحتياط عليه والاخذ بالحزم فيه فاما العفة فان النقصان من
الوسط فيها احسن من الزيادة عليه واشبه بالمحافظة على شرايطه والطف
في الاحتياط عليه واخذ الحزم فيه ومع ذلك فليس يسمى المتفضل الا بعد استعماله
العدالة واعني بذلك ان يعطي المرء من لا يستحق شيا منه ولو كان مواساة لمن د
يستحقه لا يسمى متفضلا الا لمن يستحق شيا منه وانما يكون متفضلا اذا اعطى

من يستحق كل ما يستحقه ثم زاده تفضلا وهذه الزيادة ليست من الزيادة
التي ذكرناها في باب السخا لان تلك الزيادة ذهاب الى الطرف الذي يسمى تبذيرا
وهو مذموم وقد عرفت ذلك من حده وهو بذل ما لا ينبغي لمن لا ينبغي على الوجه
الذي لا ينبغي فاذن المتفضل غير خارج عن شرط العدالة بل هو مختار عليها
ولذلك قيل ان المتفضل اشرف من العادل وقد بان ان التفضل ليس غير العدالة
بل هو العدالة مع الاحتياط وكانه مبالغة لا خروج عن معناها لان هذه الهيئة
النفسانية ليست غير تلك الهيئة بل هي بازا الاطراف التي هي رذايل اعني الزيادة
والنقصان التي سبق القول فيها فهي كلها هيئات مذمومة عن الهيئات
المحمودة وحدود هذه الاشيا هي التي تحصل لك معانيها ومشاركة بعضها
لبعض ومباينة بعضها لبعض وايضا فان الشريعة امرت بالعدالة امرا كليا وليس
تحفظ الجزئيات واعني بذلك ان العدالة التي هي المساواة تكون مرة في باب
الكم ومرة في باب الكيف وفي ساير المقولات وبيان ذلك ان نسبة الماء الى
الهوا اذا لم تكن بالكمية بل بالكيفية فلو كانا بالكمية لوجب ان يكونا
متساويين في المساحة ولو كانا كذلك لتفاسدا واحال الجزء الاكثر الى
ذاته وكذلك النار والهوا ولو احالت هذه العناصر بعضها بعضا لفني العالم
الى شي واحد ولكن النار قدر عدل ليس هو بالعموم فيقاومه فليس يفعل احدهما كلها بها
الامور الكلية لما تحفظ الجزئيات في الاطراف عن حيث تلتقي بابها فاما

فلا يقدر على كليتها الا من قواها متساوية متعادلة على غاية التسوية والتعادل
وبهذا النوع من العدل قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض
ولو رجح احدهما على الآخر بزيادة يسيرة لما جاز الرابط الناقص وتحول عليه
فبطل العالم فسبحان القائم بالقسط لا اله الا هو ولما كانت الشريعة تأمر
بالعدالة الكلية ثم تأمر بالتفضل الكلي وتندب اليه ندبا في الجزئيات
التي لا يمكن ان يقع عليها بل لابد ان يقع فيها الخطأ في العدالة الكلية لانها
لا يمكن ان ... وقد تبين ايضا ما قدمنا ان التفضل انما يكون بالعدالة التي
تحصل للانسان في نفسه اعني تسويته للمعاملة بينه وبين غيره ثم الاستظهار فيه
والاحتياط عليه بان يكون متفضلا ولو كان حاكما بين قوم ولا نصيب له ولا ملك
الحكومة لم يجز له التفضل ولم يسعه الا العدل المحض والتسوية الصحيحة
بلا زيادة ولا نقصان وقد تبين ايضا ان الهيئة التي تصدر عنها الافعال
العادلة متى نسبت الى صاحبها سميت فضيلة ومتى نسبت الحركة التي يفعلها
بها سميت عدالة واذا اعتبرت بذاتها سميت ملكة نفسانية فاستعمال
المرء العاقل العدل على نفسه اول ما يلزمه ويجب عليه وقد ذكرنا فيما تقدم
كيف يعدل ذلك وبينا كيف تتوازن قوى الكثيرة اذا هاج بعضها ولم انتسبت
الى اجناس هذه القوى الكثيرة وان بعضها يكون بالشهوات المختلفة وبعضها
بطلب الكرامات الكثيرة وانها اذا تغالبت تجاذبت وهي بالانسان فاضطربها

قوم م

لانها د

اكثر على ما ر

انواع الشر وجذبه كل واحدة منها الى ما يوافقها وهكذا سبيل كل مركب من
كثرة اذا لم يكن لها رئيس واحد يسوسها ويوحدها وارسطوطاليس يشبه من كان
كذلك بمن يجذب من جهتين فيتقطع بينهما وبمشقوق بنصفين الى جهتين كبيرتين
ينقطع بحسب ذلك اليهما فيوحدها وليس ينتظم هذه الكثرة التي ذكرت منها
الانسان الا الرئيس الواحد الموهوب له بالفطرة اعني العقل الذي به يمتاز
من البهائم وهو خليفة الله عنده فان هذه القوى كلها اذا ساسها
العقل اعتدلت وزال عنها سوء النظام الذي يحدث له من الكثرة وجميع
ما ذكرناه من اصلاح الاخلاق مبني عليه فاذا تم للانسان ذلك اعني
ان يعدل على نفسه واجرت هذه الفضيلة فقد لزمه ان يعدل على اصدقائه
واهله وعشيرته ثم يلزمه ان يستعمل ذلك في الاباعد ثم سائر الحيوانات
واذ قد صح ذلك وظهر ظهورا حسنا فقد ظهر بظهوره ان شر الناس
جار على نفسه ثم على اصدقائه وعشيرته ثم على كافة الناس والحيوان لان العلم
باطل الضدين هو العالم بالضد لان خير الناس العادل وشرهم الجائر
كما قلنا وقال قوم ان نظام امر الموجودات كلها وصلاح احوالها متعلق
بالمحبة وقالوا ان الانسان انما اضطر الى اقتناء هذه الفضيلة اعني الهيئة التي
تصدر عنها العدالة عند تعاطي المعاملات لما فاته من شرف المحبة ولو كان
الناس متحابين لتناصفوا وارتفع عنهم خلاف ذلك لان الصديق نوع

ينقطع د

حسنا

كلها م

صديقه ويؤثر له ما يؤثره لنفسه وليس تتم النعمة والمعاضدة والتوادد الا بين
المتحابين فاذا تعاضدوا واجمعتهم المحبة وصلوا الى جميع المحبوبات ولم يتعذر
عليهم المطالب وان كانت صعبة شديدة وحينئذ يستنبطون الآراء الصائبة
ويتعاونون بالعقول على استخراج الغوامض من التدابير القويمة ويتعاونون
على نيل الخيرات كلها بالتعاضد وارسطوطاليس احد من نصر هذا الرأي
وقواه وهؤلاء القوم انما نظروا الى الفضيلة الناحية الى تحصيل الكثرة
انما انتهى غايات اهل المدينة وذلك انهم اذا تحابوا اصطلحوا واراد
كل واحد منهم لصاحبه مثل ما يريده لنفسه فتتصل القوى الكثيرة واحدة
ولم يتعذر على احد منهم رأي صحيح ولا عمل صواب ويكون مثلهم في جمع ما
تفرق ولو شمل ما يريده بحركة ثقيل عظيم بنفسه فلا يتحرك لكثرة استعانة
تقوم تحريكه وسائر اهل المدينة انما يقصدون بجمع ما بينهم اتباع المودات
بين اهلها واذا تم له خاصة فقد تم لهم جميع الخيرات التي تعذر عليه
وعلى افراده اهل مدينته وحينئذ تغلب افراده ويعمرون بلاده ويعيش
مودوعيته مغبوطين ولكن هذا النافع المطلوب المرغوب فيه
لا ينتج الا بالآراء الصحيحة التي توجب الاتفاق بين العقول السليمة عليها
والاعتقادات القوية التي لا تحصل الا بالديانات التي تقصد بها وجه الله
واصناف المحبات كثيرة وان كانت تتفق كلها الى وجه واحد ونحن نعود فنقول

تم ما نسخ مما يليه هذه المقالة آخر المقالة الرابعة ولله الحمد والمنة
من كتاب تهذيب الاخلاق وطهارة النفس

المقالة الخامسة

قد سبق القول في حاجة
بعض الناس الى بعض وتبين ان كل واحد منهم يجد تمامه عند صاحبه وان كانت
الضرورة داعية الى استعانة بعضهم ببعض لان الناس مطبوعون على النقصان
ومضطرون الى تمامها ولا سبيل لافرادهم والواحد منهم الى تحصيل تمامه
بنفسه كما شرحنا فيما مضى فالحاجة صادقة والضرورة داعية الى حال
تجمع وتؤلف من اشتات الاشخاص ليصيروا بالاتفاق والائتلاف كالشخص
الواحد الذي تجمع اعضاؤه كلها على الفعل الواحد النافع والمحبة انواع واسبابها
تكون بعدد انواعها لان الاول ما ينعقد سريعا وينحل سريعا والثاني ما ينعقد
سريعا وينحل بطيئا والثالث ما ينعقد بطيئا وينحل سريعا والرابع ما
ينعقد بطيئا وينحل بطيئا وانما انقسمت الى هذه الاقسام فقط لان
مقاصد الناس في مطالبهم وسيرهم ثلثة ويتركب منها رابع وهي اللذة
والخير والنافع والمركب منها واذا كانت هذه غايات الناس في مقاصدهم
للاعمال انما اسباب المحبة لمن نصاها او غلبها وصار سببا للوصول اليها
فاما المحبة التي يكون سببها اللذة فهي التي تنعقد سريعا وتنحل سريعا وذلك
ان اللذة سريعة التغير كما شرحنا امرها فيما تقدم واما المحبة التي سببها
الخير فهي التي تنعقد سريعا وتنحل بطيئا واما المحبة التي سببها النافع فهي التي

[illegible]

تنعقد بطيئا وتنحل سريعا وأما التي فيها الخير فإنما تتركب من هذه
إذا كان ينعقد بطيئا وينحل بطيئا وهذه المحبات كلها تحدث بين الناس
خاصة لأنها تكون بإرادة ويكون فيها مجازاة ومكافأة فأما التي في سائر الحيوانات وروية
غير الناطقة فالأحرى بها أن تسمى ألفا وتقع بين الأشكال منها خاصة وأما
التي لا نفوس لها من الأجساد وأمثالها فليس يوجد فيها إلا الميل الطبيعي
إلى مراكزها التي تخصها وقد توجد أيضا بينها منافرة ومشاكلة بحسب
امتزاجها العارضة فيها من عناصرها الأول وهذه الأمزجة كثيرة وإذا
وقع فيها شيء يناسب النسب التأليفية أو عددية أو مساحية حدثت
بينها ضروب من المشاكلة وإذا حدث أضداد هذه النسب وقعت بينها
منافرة وحدث لها أشياء تسمى خواص وهي أفعال بديعة غريبة وهي التي
تسمى أسرار الطبائع ولا سيما في النسب التأليفية فإنها أشرف النسب بعد
نسبة المساواة ولها أضداد أعني لهذه النسب وهي مبينة مشروحة في
صناعة الأرثماطيقي ثم في صناعة التأليف وأما الأمزجة التي بحسب هذه
النسب والوقوف عليها فهي خفية عنا وعسرة المرام وقد ادعى قوم الوصول
إليها وليس تكون هذه الأفعال والخواص التي تحدث بين الأمزجة من النسب
المذكورة الموجودة في العناصر بعينها والكلام فيها خارج عن غرضنا وإنما
ذكرناها هنا لأنها شبيهة بالمشاكلات والمنافرات التي بين الحيوانات في الظاهر

التي تحدث بين الناس بالإرادة وهي التي نتكلم فيها ويقع فيها مكافأة ومجازاة
والصداقة نوع من المحبة إلا أنها أخص منها وهي المودة بعينها وليس يمكن
أن تقع بين جماعة كثيرين كما تقع المحبة فأما العشق فهو إفراط في المحبة وهو أخص العشق
من المودة وذلك أنه لا يمكن أن يقع إلا بين اثنين فقط ولا يقع في النافع ولا في
المركب من النافع وغيره وإنما يقع لمحب اللذة بإفراط ولمحب الخير إفراط واحد
مذموم أعني اللذة والآخر محمود أعني الخير فالصداقة من الأحداث ومن كان في
شكل طباعهم إنما تحدث لأجل اللذة فهم يتصادقون سريعا ويتقاطعون سريعا
وربما انتقلوا في الزمان اليسير إذا كرهوا وربما تغيبت نفوسهم بتغير
اللذة وتبدلها حالا بعد حال فإذا انقطعت هذه اللذة انقطعت
الصداقة للوقت وإعادة الصداقة وتجد المشايخ ومن كان في شكل طباعهم إنما
تقع لمكان المنفعة فهم يتصادقون بسببها ما دامت المنافع مشتركة بينهم وهي علاقة المنفعة المشتركة بينهم وسقط هو
ما لا يكون طويل المدة وكانت صداقتهم باقية بحسب منفعتهم وحاجتهم منها فتنقطع
والصداقة بين الأخيار تكون لأجل الخير وسببها هو الخير ولما كان الخير هو
شيئا ثابتا غير متغير الذات صارت مودة أصحابه باقية غير متغيرة وأيضا
فلما كان الإنسان مركبا من طبائع متضادة صار يمل كل واحد منها ما يخالف
شيئا آخر فاللذة التي توافق أحدها تخالف الآخر الذي يضادها فلا
تخلص لنا غير مشوبة بأذى ولما كان فينا أيضا جوهر آخر بسيط إلهي غير مخالط

لشيء من الطبائع الاربع صارت له لذة غير مشابهة لشيء من تلك اللذات
وذلك انها بسيطة ايضا والمحبة التي سببها هذه اللذة هي التي تفرط حتى تصير
عشقا تاما خالصا شبيها بالوله وهي المحبة الالهية الموصوفة التي يدعيها
بعض المتالهين وهي التي يقول فيها ارسطوطاليس حكاية عن ابرقليطس ان
الاشياء المختلفة لا يشاكل ولا يكون فيها ما يلتذ جميعا فاما الاشياء المتشاكلة
فهي التي يشتاق بعضها الى بعض ويشتاق بعضها الى بعض فاقول ان الجواهر البسيطة
اذا تشاكلت واشتاق بعضها الى بعض تالفت واذا ما الفت صارت شيئا واحدا
ولا غيرية بينها اذ الغيرية انما تحدث من جهة الهيولى فاما الاشياء ذوات
الهيولى وهي الاجرام فانها وان اشتاقت بنوع من الشوق الى التاليف
فانها لا تتحد ولا يمكن ذلك فيها وذلك انها انما تلتقي بنهاياتها وسطوحها دون
ذواتها وهذا الالتقاء سريع الانفصال اذ كان لا ياخذ فيها متمنعا وانما
يتناهى نحو استطاعتها الى ملاقاة سطوحها فاذن الجوهر الالهي
الذي في الانسان اذا صفا من كدورته التي حصلت فيه من ملابسة الطبيعة
ولم يعبد بانواع الشهوات واصناف محبات الكرامات اشتاق الى
شبيهه وراى بعين عقله الخير الاول المحض الذي لا تشوبه مادة فاسرع
اليه وحينئذ تفيض ذلك الخير الاول عليه بنوره فيلتذ به لذة لا يشبهها
لذة وهذا هو المعنى الاتحاد الذي وصفناه لمستعمل الطبيعة الحقيقية او لم

(فيها)
يستعملها الا بعد مفارقة الطبيعة بالكلية حتى هذه الرتبة العالية لانه
ليس يصفو الصفاء التام الا بعد الحيوة الدنيوية ومن فضائل هذه المحبة
الالهية انها لا تقبل النقصان ولا تقدح فيها السعاية ولا تعرض فيها الملالة [نعودهم]
ولا يكون الا من الاخيار فقط فاما المحبات التي تكون بسبب المنفعة واللذة
فقد تكون من الاشرار ومن الاخيار الا انها سريعة الانقضاء تنقضي المنافع [ويطلق]
واللذة لانها عرضية وكثيرا ما تحدث بالاجتماعات في المواضع الغريبة الا
انها تزول بزوال المواضع كالسفينة وما يجري مجراها والسبب في هذه المحبة
الانس وذلك ان الانسان انيس بالطبع وليس بوحشي ولا نفور ومنه اشتق اسم
الانسان في اللغة العربية وقد يتضح ذلك في صناعة النحو وليس كما يقول الشاعر
وسميت انسانا لانك ناسي فان هذا الشاعر ظن ان الانسان مشتق من
النسيان وهو غلط وينبغي ان نعلم ان هذا الانس الطبيعي للانسان هو
الذي ينبغي ان نحرص عليه ونكتسبه مع ابناء جنسنا حتى لا يفوتنا بجهدنا
وثالثها فانه ينبغي المحبات كلها وانما وضع للناس في الشريعة وبالعادة
الجميلة اتخاذ الدعوات والاجتماع في المادبات ليحصل لهم هذا الانس
ولعل الشريعة انما اوجبت على الناس ان يجتمعوا في مساجدهم كل يوم خمس
مرات وفضلت صلاة الجماعة على صلاة الوحدة ليحصل لهم هذا الانس
الطبيعي الذي هو مبدا المحبات وهو فيهم بالقوة حتى يخرج الى الفعل

ثم ما كدفهم بالاعتقادات الصحيحة التي تجمعهم وهذا الاجتماع
في كل يوم ليس يتعذر على اهل كل محلة وسكة والدليل على ان غرض
صاحب الشريعة عليه السلام ما ذكرناه انه اوجب على اهل المدينة باسرهم ان
يجتمعوا في كل اسبوع كما اجتمع شمل اهل الدور وليجتمع ايضا شمل
المحال والسكك في كل اسبوع كما اجتمع شمل اهل الدور والمنازل
في كل يوم ثم اوجب ايضا ان يجتمع اهل المدينة مع اهل القرى والرساتيق
المتقاربة في كل سنة مرتين في مصلى بارز من مصر من ليسعهم المكان
ويتراءوا ويتجدد الانس بين كافتهم وتشملهم المحبة الناظمة لهم ثم
اوجب بعد ذلك ان يجتمعوا من البلدان في العمر كله مرة واحدة
في الموضع المقدس بمكة ولم تعين من العمر وقت مخصوص ليتسع لهم
الزمان وليجتمع اهل المدن المتباعدة كما اجتمع اهل المدينة الواحدة
ويصير حالهم في الانس والمحبة وشمول الخير والسعادة كحال المجتمعين
في كل سنة وفي كل اسبوع وفي كل يوم فيجمعوا الى ذلك الانس الطبيعي الى
الخيرات المشتركة وتتجدد بينهم محبة الشريعة وليكبروا الله على ما
هداهم ويغتبطوا بالدين القويم القيم الذي الفهم على تقوى الله وطاعته
والقائم بحفظ هذه السنة وغيرها من وظايف الشرع حتى لا تزول
عن اوضاعها هو الامام وصناعته هي صناعة الملك والاوائل

يوما بعد يوم في مسجد
بيتهم لتجمعوا ايضا
شمل المحال والسكك
في كل اسبوع يوما
بعد كما اجتمع شمل اهل
ع

والقيم

والاوائل ونواميسهم

يسمون الملك الامين حرس الدين وقام بحفظ مراتبه وزواجره فاما من اعرض
عن ذلك فيسمون متغلبا وكانوا لا يخصونه باسم الملك وذلك ان الدين هو وضع الهي
يسوق الناس باختيارهم الى السعادة القصوى والملك حافظ هو هذا الوضع
الالهي حافظ على الناس ما اخذوا به وقال الحكيم حكيم الفرس وملكهم اردشير
ان الدين والملك اخوان توأمان لا يتم احدهما الا بالآخر والدين اس والملك
حارس وكل ما لا اس له فمهدوم وكل ما لا حارس له فضائع والملك حكيما على
الاس الذي نصب للدين ان يحفظ في موضعه ويحكم سياسته والانبياء امرهم
الى الذي لا يشتغل بلذته وخاصته ولا يطلب الكرامة والغلبة الا من وجهها فانه
ان اغفل شيئا من حدوده ودخل عليه من هنالك الخلل والاهمال وحسبة يتبدل
وضع الدين ويصير الناس فرقا في شهواتهم ويكثر من تساعدهم فتنقلب
بهم السعادة الى ضدها ويحدث بينهم الاختلاف والتباغض ويؤدي بهم ذلك
الى الشقاق والفرقة ويبطل الغرض المشترك وينقض النظام الذي طلبه
اشمنان
صاحب الشرع بالاوضاع الالهية فاحتيج حينئذ الى تجديد الامر الى
الدهر وطلب الامام الحق والملك العادل ولنعد الى ذكر اجناس المحبات
واسبابها فنقول ان هذه الاسباب كلها ما خلا المحبة الالهية اذا
كانت مشتركة بين المتحابين واحتاج بعضها الى بعض في السبب ان يتفقا ويتحدا
معا وحال الاتصال يصغر احدهما ودخل الى ... ذلك ان اللذة المشتركة بين

الرجل والمرأة هي سبب المحبة بينهما فقد يجوز ان يجتمع المحبتان لان النفع
واحد وهو اللذة وقد يجوز ان ينقطع احدهما ويبقى الآخر وذلك ان اللذة
يتغير ولا يكاد يثبت كما تقدم وصفها فقد يجوز ان يتغير بسبب احد
ويبقى الآخر وايضا فان بين الرجل وبين زوجته خيرات مشتركة ومنافع
تخالط بينهما وتارة تغلبها على الخيرات الخارجة عنا وهي الاسباب التي
تجريها المنازل فالمرأة تنظر من زوجها تلك الخيرات لانه هو الذي يكتسبها
ويحضرها فاما الرجل فانه ينظر من زوجته ضبط تلك الخيرات لها في
التي يحفظها وتدبيرها لينتفع بها فاذا قصر احدهما اختلت المحبة وحدثت الشكايات ولا يضيع ه
ولا تزال كذلك الى ان ينقطع او يبقى مع الشكاية والملالة وكذلك حال ه
المنفعة المشتركة بين سائر الناس اذا حدثت بينها فاما المحبات كما مر
المختلفة التي اسبابها ايضا مختلفة فيجري على غير جهة الاعتدال ومثال ذلك
محبة احد المتحابين لاجل المنفعة ومحبة الآخر لاجل اللذة كما يعرض ذلك
في المتعاشرين على ان احدهما ينفع والآخر يستمتع وان المغني منهما يحب المستمتع
لاجل المنفعة والمستمتع منهما يحب المغني لاجل اللذة وكما يعرض ايضا في العاشق
والمعشوق اللذان احدهما يلتذ بالنظر والآخر يحظى بالمنفعة وهذا الصنف
من المحبة يعرض فيها ابدا التشاكي والتظلم وذلك ان طالب اللذة يتعجل مطلوبه والتظلم
وطالب المنفعة يتأخر عنه مطلوبه فيكاد الامر يفسد بينهما وكذلك يشكو العاشق

يشكو معشوقه ويتظلم منه وهو على الحقيقة ظالم وينبغي ان يشكى لانه يتعجل اللذة
بالنظر ولا يوفي المكافأة بما يستحق صاحبه فاما المحبة اللوامة فكثيرة الانواع لان
الاجل فيها ما ذكرته وهو شكل ان يكون المحبة بين الرئيس والمرؤوس والغني والفقير
تعرض لها اللوم والتوبيخ لاجل اختلاف الاسباب ولان كل واحد يطلب
من المكافأة عند الآخر ما لا يجده عنده فيقع فساد في النيات بينهما
ثم استبطاء ثم ملامات وتوبيخ وكذلك طلب العدالة ورضى كل واحد منهما بما يستحقه
من الآخر وبذل كل واحد للآخر العدل المبسوط منهما والممالك خاصة لا
من هو اليهم الا الزيادة الكثيرة في الاستحقاق وكذلك الحال في يستنبطون
العمد في اعدهم والشفقة والنصيحة ومع جميع ذلك يقع اللوم وفساد
القصد فهذه المحبة اللوامة التي لا تكاد تخلص منها الا على شريطة العدل وطلب بحلوه
الوسط من الاستحقاق والرضى به وهو صعب فاما محبة الاخيار بعضهم بعضا
فانها لا تكون للذة خاصة ولا المنفعة بل للمناسبة الجوهرية بينهما ومن قصد خارجية
الخير والتماس الفضيلة فاذا احب احدهم الآخر لهذه المناسبة فكل منهم مخالفة
للاشارة عليه بنصح بعضهم بعضا ويوافقوا على العدالة والتساوي في الارادة للخير
وهذا التساوي في النصيحة وارادة الخير هو الذي يوحد كثرتهم ولهذا حد
الصديق بانه آخر هو انت الا انه غيرك بالشخص ولهذا صار عزيز الوجود
للوثوق بصداقة الاحداث والعوام ومن ليس بحكيم لان هؤلاء يحبون

اغراضهم

ويتصادقون لاجل اللذة او المنفعة فلا يعرفون الخير بالحقيقة ولا الغرض الصحيح واما السلاطين فانهم يظهرون الصداقة على انهم متفضلون ومحسنون الى من يصادقونهم فلهم يغلطون في احد الذين ذكرناه في صداقتهم زيادة ونقصانا والمساواة عزيزة الوجود عندهم وكذلك حال محبة الوالد للولد لان انواع هذه المحبة مختلفة واسبابها ايضا مختلفة كما قلنا الا ان محبة الوالد للولد والولد للوالد وان كان فيهما اختلاف من جهة فان فيهما اتفاقا من جهة اخرى اعني بالاتفاق ان الوالد يرى ان الولد هو هو وانه نسخة صورته التي تخصه من الانسانية في شخص ولده نسخا طبيعيا وينقل ذاته الى ذاته نقلا حقيقيا ويحق له ان يرى ذلك لان التدبير الالهي بالاسباب الطبيعية التي هي سنة الله عز وجل هو الذي عاون الانسان على انشاء الولد وجعله السبب الثاني في ايجاده ونقل صورته الانسانية اليه ولذلك يحب الوالد الولد حتى يحب له ما يحب لنفسه ويسعى في مادته وتكميله بكل ما فاته في نفسه طول عمره ولا يشق عليه ان يقال له ان ولدك افضل منك بل يسره وكما ان الانسان اذا تمنى في نفسه حالا ما وترقى في الفضيلة درجة لا يشق عليه ان يقال له انك افضل مما كنت بل يسره ذلك كذلك يكون حاله اذا قيل له في ولده مثل ذلك ثم يفضل ايضا محبة الوالد على محبة الولد بانه الفاعل له وبانه يعرفه منذ اول كونه ويستبشر به وهو جنين

جميع ما يحبه لنفسه

لاله

ثم تزداد محبته له مع التربية والنشوء بما كانوا يرجون به ويأملونه له ويعدونه له ليبقى بانه باق بصورته وان فني بجسمه ومادته فاما المعاني الجليلة عند اهل العلم فغير ظاهرة للعوام كانها من رأسه فاما محبة الولد للوالد فانها تنقص عن هذه المرتبة بان الولد مفعول وبانه لا يعرف ذاته ولا فاعل ذاته الا بعد زمان طويل وبعد ان يستثبت اباه حسا ويستفيد به دهرا ثم يعقل بعد ذلك امره بالصحة وعلى مقدار عقله واستبصاره في الامور يكون تعظيمه لوالده ومحبته لهما ولهذه العلة وصى الله الولد بوالده ولم يوص الوالد بولده فاما محبة الاخوة بعضهم لبعض فلاجل ان سبب كونهم ونسبهم واحد بعينه ويجب ان يكون نسبة الملك الى رعيته نسبة ابوية ونسبة رعيته اليه نسبة بنوية ونسبة بعضهم الى بعض نسبة اخوية حتى تكون الرئاسات محفوظة على شرائطها الصحيحة وذلك ان مراعاة الملك لرعيته هي مراعاة الاب لولده ومعاملته اياهم معاملة الجاملة وقد كنا اشرنا اليه وسنزيده بيانا اذا انتهينا الى ذكر سياسة الملك في كتاب اخر وعنايته برعيته يجب ان يكون عناية الاب باولاده شفقة وتحننا وتعطفا ويقيدها خلافة لصاحب الشرع عليه السلام المشترع الشريعة بعد ذكره من الرأفة والرحمة وطلب المصالح لهم ودفع المكاره عنهم وحفظ النظام فيهم وما يعمله في كل ما غلب الخير ومنع الشر فانه عند ذلك عن رعيته محبة الولد للاب

عز وجل

للاولاد

الشيء وتحدث منها تلك النسبة وانما عددت هذه المحبات بالتفاصيل
الذي يكون لعظم المنافع فتجلب الكرم لا لان كرامة الابوة وكرامة السلطان كرامة
سلطانية ويكرم الناس بعضهم بعضا كرامة اخوية ولكل مرتبة من هذه المراتب
استحقاق خاص به واستحقاق واجب له فاذا لم يحفظ بالعدالة ونقص وعرض
لها الفساد وانعكست الامور وعرض لرياسة الملك ان تستحيل الى رياسة التغلب
وكذلك يعرض لمحبة الرعية الى البغض لو عرض لرياسات من دونه مثل ذلك فيصير محبة
الاخيار الى بغض الاشرار ويعود الالفة نفارا ويطلب كل واحد لنفسه ما يظنه
خيرا فان الشر بعينه ويبطل الصداقات واتحاد المشترك بين الناس وتزول الامور
الى الهرج الذي هو ضد النظام الذي نبه الله بخلقه ورسمه بالشريعة واوجبه بالحكمة
البالغة فاما المحبة التي لا تشوبها الانفعالات ولا يطرأ عليها الافات ومحبة
العبد لخالقه فانها انما تخلص للعالم الرباني في جملة خاصة ولا سبيل لغيره اليها
الا بالدعوى الكاذبة وكيف يصل الانسان السبيل الى محبة من لا يعرفه ولا
يعرف ضروب النعمة الدارة عليه ووجوه احسانه المتصلة به في نفسه وبدنه
اللهم الا ان يصور في نفسه صنما ويظن انه الله تعالى عما يظنه المبطلون فيحبه ويعبده
فان اكثر الناس كما قال الله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون ولعمري انا
نرى العامة تدعي المعرفة والمحبة وهم يتصورون شخصا وشبحا فيكون عبادتهم
اياه من دون الله تعالى وهذا هو الضلال البعيد وقد دعوا اهل المحبة كم جزاء

والمعقول فليس حبا بل هو اقل من القليل وهذه المحبة يتصل بها الطاعة
والتعظيم ونتلوها وتقرب منها محبة الوالدين واكرامهما وطاعتهما وليس
يرتقي الى شبهها شيء من المحبات الاخر الا محبة الحكماء تلامذتهم فانها متوسطة
بين المحبة الاولى والثانية اعني الالهية وبين المحبة الثانية وذلك ان المحبة الاولى لا يبلغها
شيء من المحبات كما ان الاسباب الاول ليس لها شيء من الاسباب والنعم التي تاتي
قبلها لا يشبهها شيء من النعم واما المحبة الثانية فهي تقرب منها لان سببها
هو السبب الثاني في وجودنا الحسي اعني ابداننا وكوننا فاما المحبة الثالثة
اعني محبة الحكماء فهي اشرف واكرم من محبة الوالدين لاجل ان شرفهم ومرتبتهم
يكون من اجل تدبيرهم لنفوسنا وهم اسباب وجودنا الحقيقي وبهم وصلنا
الى السعادة التامة التي لنا بها البقاء الابدي والنعيم السرمدي في جوار
رب العالمين فيجب بفضل انعامهم علينا وبقدر فضل النفوس على الابدان
يجب حقوقهم ويلزم طاعتهم ومحبتهم فليس يبلغ احد جزاءا ولا مكافاة
ما يستحقه الاول ولا ما يستحقه الثاني وان اجتهد وبالغ ولا يؤدي حقوقهما
ابدا وان خدم باقصى طاقته وغاية وسعه فاما محبة طالب الحكمة للحكيم
والتلميذ الصالح للمعلم فهي من جنس المحبة الاولى في طرفيها وذلك لاجل
الخير العظيم الذي يرشح عليه ويصل اليه وللرجاء الكريم الذي لا يتحقق الا
بعنايته ولانه الاب الطاهر ولانه الذي ... ربه بشري واحسانه احسان

الى ان ذلك ان يربيه بالفضيلة التامة ويغذوه بالحكمة البالغة ويسوقه
الى الحيوة الابدية في النعيم السرمدي واذا كان هو السبب في وجودنا العقلي
وهو المربي لنفوسنا الروحانية فبحسب فضل النفس على البدن يجب
ان يفضل المنعم بهذا على المنعم بذاك وبقدر فضل احدى التربيتين على الاخرى
فمحبة المتعلم لمعلم الحكمة محبة خالصة شبيهة بمحبة الاولى واذا كانت
هذه المحبة من جنس تلك المحبة فالطاعة له من جنس تلك الطاعة وكذلك
تعظيمه واجلاله اياه ثم لما كان سبب هاتين النعمتين جميعا ومن عرضنا لهما
وساقنا اليهما والى جميع النعم هو السبب الاول الذي هو سبب الخيرات
كلها وجب ان يكون محبتنا لله تعالى اعلى مراتب المحبات وما يستحقه كل واحد
من صاحبه حتى لا يبذل كرامة الوالد للرئيس الاجنبي ولا كرامة الصديق
للسلطان ولا كرامة الوالد للعشيرة ولا كرامة الام للاب فان لكل واحد من
هؤلاء واشباههم صنفا من الكرامة وحقا من الجزاء ليس للاخر ومتى
خلط فيه اضطرب وفسد وحدثت الملامات واذا وفي كل واحد منهم حقه
وقسطه من الخدمة والمحبة والنصيحة كان عادلا واوجبت له محبته عند الله
فيها محبة على صاحبه ومعاملة وكذلك يجب ان يجري الامر في مؤانسة الاصحاب
ومن الخلطاء والمعاشرين توفيه حقوقهم واعطائهم ما هو خاص بهم
غش المحبة الصادقة كان اسوء حالا ممن غش الدراهم والدنانير فان اعظم

ذكر كل طاعتنا له وتمجيدنا اياه وجب على من بلغ نفسه الحد من الاخلاق ان يعرف مراتب المحبات صح

ذلك ان المحبة المغشوشة تخرج سريعا وتفسد وشيكا كما ان الدرهم والدينار
اذا كانا مغشوشين فسدا او انسدا وهذا واجب في جميع انواع المحبات
ولذلك يتعاطى العادل ابدا نمطا واحدا ويلزم مذهبا واحدا في ارادة الخير
ويفعل جميع ما يفعله من اجل ذاته ويرى خيره عند غيره كما يراه عند نفسه
لصديقه لانه يعلم انه هو الا انه غيره بالشخص واما سائر مخالطيه ومعارفه فانه
يمسك لهم صفاءه ويجتهد في ان يبلغ بهم ويرفعهم منازل الاصدقاء
وان كان لا يمكن في ذلك جميعهم فيسلك سيرة الرجل الخير في نفسه وذوي سابقته واهله
وذوي عشيرته واصدقائه وسلطانه فاما الشرير فانه يهرب من اهله
السيء وينفر منها لرداءة الهيئة التي حصلت له ولمحبته البطالة والتكاسل
عن معرفة الخير والتمييز بينه وبين الشر وما هو مطبوع عليه من الشر والبحث عنه
ومن كان على هذه الحال من الشر ورداءة الهيئة كانت افعاله كلها رديئة وذاته
رديئة ومن كانت ذاته رديئة هرب من ذاته لان الرداءة مهروب منها واضطر
الى مصاحبة قوم يناسبونه ليفني عمره معهم ويشتغل بهم عن ذاته وما يجده
من الاضطراب والقلق وذلك ان هؤلاء الاشرار اذا خلوا بانفسهم ذكروا
افعالهم الرديئة وهاجت بهم القوى المتضادة التي فيهم ويميل اولئك الى
الشرور المتضادة فيتألمون من ذواتهم وتتشاغب لنفوسهم انواع الشغب
وتجذبهم القوى التي فيهم ومنها الى جهات لم يروضوها بالاضداد فيبقى الى

يروضها

يحملهم من اللذات الردية وطلب الكرامات التي لا يستحقونها والشهوات الردية
المردية التي تهلكهم سريعا فاذا جذبتهم القوى الى جهات مختلفة حدثت
بينهم الالام الكثيرة لانه ليس يمكن ان يفرح ويحزن معا ولا يرضى ولا يسخط في حال
واحدة ولا يمكنه ان ينجذب الى جهات مختلفة بحركة واحدة ولا يستطيع ان
يؤلف بين الاضداد حتى يجتمع له فهو من شقائه يهرب من ذاته الى الاهتمام بغيره
فاستعمل ما كثر الشغف عليه ويلتمس العشيرة ومخالطة من هو مثله
او اسوأ حالا منه ليجد في الوقت راحة وسكونا اليه لاجل المشاكلة
ثم يعود بعد قليل بالاعباء وزيادة في خباله وفساده فلا محبة ولا
منه فليس له محبة ولا لذاته ولا له نصيحة ولا نفسه ولا يحصل الا على الندامة
ولا يرجع الا الى الشقوة فاما الرجل الخير الفاضل فان سيرته جيدة محبوبة
فهو يحب ذاته وافعاله ويسر بنفسه ويسر به ايضا غيره ويعتاد
كل انسان مواصلته ومصادقته فهو صديق نفسه والناس اصدقاؤه
وليس يصادقه الا الشرير فقط بل يعرض لهؤلاء سيرته ان يحسن الى غيره
بقصد وبغير قصد وذلك ان افعاله لذيذة محبوبة واللذيذ المحبوب
مطلوب مختار فيكثر المقتبلون له والمختصون به والاخذون عنه
وهذا هو الاحسان الذاتي الذي يبقى ولا ينقطع ويبقى على الايام ولا
ينتقص فاما الاحسان العرضي الذي ليس بخلق ولا هو سجية لصاحبه فانه
الاحسان

سعدہ
المتقبلون
الاحسان

ينقطع ويلحق فيه اللوم والعتب الذي يعرض منه فيما يلحق المحبات اللوامة وذلك
يوصي صاحبه بتربيته فيقال له ربّ الصنيعة اصعب من ابتدائها والمحبة التي
تحدث بين المحسن والمحسن اليه يكون فيها زيادة ونقصان اعني ان محبة المحسن للمحسن اليه اشد
المحسن اليه للمحسن وقد استدل ارسطوطاليس على ذلك بان المقرض وصانع
المعروف بينهم لكل واحد منهما من اقترضه واصطنع المعروف عنده
ويتعاهده ويتمنى سلامته اما المقرض فربما اراد سلامة المقترض
لمكان الاخذ لا لمكان المحبة اعني انه يدعو له بالسلامة والبقاء وسبوغ النعمة
والكفاية من كل وجه ليصل الى حقه واما المقترض فليس يعنى كثير عنايته
بالمقرض ولا يدعو له بتلك الدعوات فاما مصطنع المعروف فانه
يحب الذي اصطنع المعروف اليه وان لم ينتظر منه منفعة وذلك
ان كل صانع فعلا محمودا يحب مصنوعه فاذا كان المصنوع حسنا جيدا
احب ان يكون محبوبا في الغاية فقد تبين ان محبة المحسن اشد من محبة المحسن
اليه فاما المحسن اليه فشهوته للاحسان اشد وازيد من شهوة المحسن
وايضا فان المحبة المكتسبة بالاحسان تجري على طول الزمان مجرى
القنيات التي تعب بتحصيلها وما يكتسب منها على سبيل التعب والنصب يكون
المحبة له اشد والضن به اكثر ومن وصل اليه المال العفو فلم يكن له
ولم يشح عليه وبذله في غير موضعه كما يفعل الوارثة ومن يجري مجراهم

من محبته هو
ثمنا
جيدا

فاما من وصل اليه بتعب وساقه في طلبه وشقي بجمعه فانه لا محالة يكون
شديد الضن به والمحبة له ولهذه العلة صارت الام اكثر محبة للولد من الاب
ويعرض لها من الحنين والوله اضعاف ما يعرض للاب وبهذا النوع
من المحبة يحب الشاعر شعره ويحب ما اكده من عمله وكل فاعل فعلا
يتعب به فهو يحب فعله ذلك وايضا فان المنفعل لا يتعب كتعب الفاعل
والآخذ منفعل والمعطي فاعل فمن هذه الوجوه صار المصطنع المعروف
يحب من احسن اليه حبا شديدا ومن الناس من يصطنع لاجل الخير نفسه المعروف
ومنهم من يصنعه لاجل الذكر الجميل ومنهم من يصنعه رياء فقط
ومن البين ان اعلاهم مرتبة من صنعه لذاته اعني لذات الخير وصاحب
هذه المرتبة لا يتقدم الذكر الجميل والثناء الباقي ومحبته لمن يصنع المعروف
عنده وان لم يقصد ذلك بالفعل ولا بالنية ومما احكمنا فيما تقدم
معنى لا يرده احد وهو ان كل انسان يحب نفسه وكانت هذه
المحبة لا محالة تنقسم بالاقسام الثلثة التي ذكرناها اعني اللذة
والنافع والخير وجب من ذلك ان يكون من لا يميز بين هذه الاقسام
حتى يعرف الافضل فالافضل منها ابدا يعشق ويحسن الى نفسه التي
هي محبوبته فيقع في ضروب من الغلط بجهله بالخير الحقيقي ولذلك
صار بعض الناس يختار لنفسه سيرة اللذة وبعضهم سيرة الكرامة

والنافع لانهم لا يعرفون ما هو افضل منها فاما من عرف سيرة الخير
وعلو مرتبته فهو لا محالة يختار لنفسه افضل السير واكرم الاجزاء فلا يؤثر
اللذة البهيمية ولا اللذات الخارجة عن نفسه فانها عرضية كلها ومستحيلة
ومتبدلة لكنه يختار لها اشرف الاجزاء واعلاها واعظمها وهو الخير الذي لها
بالذات اعني الذي ليس بخارج عنها وهو الذي ينسب الى جزئه الالهي
ومن سار بهذه السيرة واختارها لنفسه فقد احسن اليها وانزلها في الشرف
الاعلى واهلها لقبول الفيض الالهي واللذة الحقيقية التي لا تفارقه ابدا
واذا كان بهذه الحال فهو لا محالة يفعل سائر الخيرات الاخر ويسعى غيره ببذل
الاموال والسماحة بجميع ما يتشاح الناس عليه ويخص اصدقاءه من ذلك ومواساته
بكل ما يضيق عنه ذرع اصحاب السير الباقية فيصير مغبوطا عند كل واحد
صديقه وايضا فقد بينا فيما تقدم ان الانسان مدني بالطبع وشرحنا معنى
المدني فاذن بالواجب ان يكون تمام سعادته الانسانية عند اصدقائه ومن
كان تمامه عند غيره فمن المحال ان يصل مع الوحدة والتفرد الى سعادته التامة
فالسعيد اذن من اكتسب الاصدقاء واجتهد في بذل الخيرات لهم ليكتسب بهم
ما لا يقدر ان يكتسبه بذاته ويلتذ بهم ايام حياته ويلتذون ايضا به وقد
شرحنا حال هذه اللذة وانها باقية الهية غير مملة ولا متغيرة وهي كالنزر في جملة
الناس والجمهور منهم قليل جدا فاما اصحاب اللذات البهيمية والنافعة منها فكثير

جدا وقد يكتفي من هولاء بالقليل كالابازير في الطعام وكالملح خاصة
فاما الصديق الاول الذي وصفناه فلا يمكن ان يكون كثير العزة ولا محبوب
بافراط وافراط المحبة لا يصح ولا يتم الا الواحد فاما حسن العشيرة وكرم
اللقاء والسعي لكل احد بسيرة الصديق الحقيقي فهذه لاجل طلبت الفضيلة
ولذا وقلنا فيما تقدم ان الرجل الخير الفاضل يسلك في عشيرته ومعارفه مسلك
الصديق وان لم تتم له الصداقة الحقيقية فيهم وارسطوطاليس يقول
ان الانسان يحتاج الى الصديق عند حسن الحال وعند سوء الحال اما احتياجه
اليه في كلتي الحالتين وذلك انه عند سوء الحال يحتاج الى معونة الاصدقاء
وعند حسن الحال يحتاج الى المواساة الى من يحسن اليه ولهذا ان الملك
العظيم يحتاج الى من يصطنعه ويقع عنده احسانه كما ان الفقير من الناس
يحتاج الى الصديق يصطنعه يتشارك الناس بعضهم بعضا ويتعاشرون عشرة
جميلة ويراغب بعضهم بعضا ويجتمعون في الرياضات والصيد والدعوات
فاما سقراطيس فانه قال يعجزه الالفاظ الى اكثر تعجبا ممن يقتني اولاد
اخبار الملوك ووقائع بعضهم ببعض وذكر الحروب والضغائن وممن اتفق
او توثب على صاحبه ولا يعظم امر المودة واحاديث الالفة وما يحصل
من الخيرات العامة لجميع الناس بالمحبة والانس فانه لن يستطيع احد من الناس
ان يعيش بغير المودة وان ما لطلبها الدنيا بجميع رغائبها فان ظل احد امر

المعوز كما يحتاج المعوز الى شانهم فالكل من اجل فضيلة الصداقة جدير

مبالده

المودة صغير الصغر من طن ذلك وان فقدوا انه موجود بالهوينى فما
اصعبه وما اعسر وجود صديق يوثق بها عند البلوى ثم قال الكندي العقد
واقول ان فقدان المودة وخطرها عندي اعظم من جميع ذهب كنوز قارون ود
ومن ذخائر الملوك قاطبة ومن جميع ما يقتنيه اهل الارض من الجواهر
وما تجود به الارض برا وبحرا وما يستخرجون منه من الحرث والبناء وساير
الامتعة والاثاث ولا اعدل بجميع ذلك ما اخترته لنفسي من فضيلة المودة
وذلك ان جميع ما احصيته لا ينفع صاحبه اذا اجلت به او عنه مصيبة في صديقه
ولا تقوم له جميع ما في الارض مقام صديق يشفع في مهم تساعده عليه وسعادة
عاجلا واجلة يتم له به فطري ... هذه النعمة العظيمة من خلوص السلطان
واعظم العطوف ... في سلطان وذلك لمن باشر امور الرعية واراد
ان يعرف احوالهم ويطلع على امورهم حق النظر لم يكفه اذنان ولا عينان ولا
قلب واحد حتى يجد اخوانا ذوي ثقة وجد بهم عيونا واذانا وقلوبا
كانها اجمع لم تغرب عليه اطرافه واطلع من ادنى امره على اقصاه ورأى
الغايب بصورة الشاهد فانى توجد هذه الفضيلة الا عند الصديق الصدوق
وكيف يطمع فيها عند غير الرفيق الشفيق واذا عرفناه من الجليلة الخطيرة
فقد وجب علينا ان ننظر كيف نقتنيها ومن اين نطلبها واذا حصلت
لنا كيف نحفظها لئلا يصيبنا فيها ما اصاب الذي ضرب به المثل حين

لامتحان

ومودة

الصدوق

الرفيق
النعوم

الدره

طلب شاة سمينة فوجدها وارمة فاغتر بها فظن الورم سمنا فاخذه
الشاعر فقال اعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
لا سيما وقد علمنا ان الانسان من بين جميع الحيوان قد يتصنع حتى يظهر للناس منه
ما لا حقيقة له فيبذل ماله وهو بخيل ليقال هو جواد ويتقدم في بعض
المواطن على بغض لها ليقال هو شجاع واما سائر الحيوانات فان
اخلاقها ظاهرة للناس من اول الامر لا تتصنع فيها وكذلك يكون حال
الاحداث في ابتداء الشباب فانها تشبيه في عيبه حتى تتم اسنانهم
ويكون ظاهره حلوا فاذا ظهر وجد مرا وباطنه غدرا فيكون شرا فينبغي لنا
ان نحذر ركوب الخطر في تحصيل هذه النعمة الجليلة حتى لا نقع في مودة المموهين
المتقربين الذين يقصدون ويتصيدون الفضلاء الاخيار فاذا حصلوا
في شباكهم افترسوهم كما تفترس السباع اكيلتها والطريق الى السلامة
من هذا الخطر بحسب ما اخذناه عن سقراطيس اذا اردنا ان نستفيد
صديقا ان نسال عنه كيف كان في صباه مع والديه ومع اخوته
وعشيرته فان كان صالحا معهم فارج الصلاح منه والا فابعد منه واياك
واياه وقال ثم اعرف بعد ذلك سيرته مع اصدقائه قبلك فاضفها
الى سيرته مع اخوته واباءه ثم تتبع امره في شكره من يحسن عليه كفره اذ
النعمة ليست تعني بالشكر للمكافاة التي ربما يعجز عنها بالفعل ولكن ربما

يقدر هو

على نيته في الشكر فلا يكافي بما يستطيع ويرى التقصير عليه ليعظم الجميل الذي
يسدى اليه ويراه حقا او شكا بتكاسل عن شكره باللسان فليس يعقد عليه
ذكر النعم التي لا ... والثنا على صاحبه والاعتداد له بها وليس شيء اشد
احباطا للنعم من الكفر وحسبك ما اعده للكافر بنعمته من النقم مع غالبه
على استنفاد ما الكفر ولا شيء اجلب للنعمة ولا اشد تثبيتا لها من الشكر
وحسبك ما وعد الله به الشاكرين مع استغنائه عن الشكر فتعرف هذا
الخلق فيمن تريد مواخاته واحذر ان تبتلى بالكفور للنعم المنكر لايادي
الاخوان واحسان السلطان ثم انظر ميله الى الراحات وتباطئه عن الحركة
التي بها ادنى نصب فان هذا خلق ردي يتبعه الميل الى اللذات ويكون سببا
للتقاعد عما يجب عليه من الحقوق ثم انظر نظرا ثانيا في محبته للذهب
والفضة واستكثاره منهما وحرصه عليهما فان كثيرا من المتعاشرين يتظاهرون
بالمحبة ويتهادون ويتناصحون فاذا وقع بينهم معاملة في هذين
الجوهرين جر بعضهم على بعض هرير الكلاب وخرجوا الى ضروب العداوات
ثم انظر في محبته للرياسات والتعزز فان من احب الغلبة والترؤس
وانفرد لا ينصفك في المودة ولا يرضى منك بمثل ما يعطيك ويحمله
التكبر والتيه على الاستهانة باصدقائه وطلب الترفع عليهم وليس مع
ذلك مودة ولا غبطة ولا بد من ان تؤول الحال بينهم معهم الى العداوة

ثم معه

والاحقاد والاضغان لكثرة ثم انظر الى من هو في سعة من الغنا والثروة وغرور
اللهو واللعب وسماع الملاهي والمضاحيك فان كان كذلك فانما اشتغل عن مساعدة التعب الملهوف
اخوانه ومواساتهم وما اشد غربته عن مكافاته باحسان واحتمال
ودخول تحت حمل فيه مشقة فان كان من هذه الخلال فليحتفظ به
وليرغب فيه وليكاتف به واجيدا ان وجده فان الكامل عزيز وايضا فان من
كثر اصدقاؤه لم يف بحقوقهم واضطر الى الاغضاء عن بعض ما يجب عليه
والتقصير في بعضه وربما ترادفت عليه احوال متضادة اعني ان يدعو
مساعدة صديق ان يفرح بسروره ومساعدة آخر ان يغتم بغمه وان
يسعى بسعي واجد ويقعد بقعود آخر مع احوال تشبه هذه كثيرة اخر
مختلفة ولا ينبغي ان يحملك على ما حضضتك عليه من طالب الفضائل من
تصادقه على تتبع صغار عيوبه فتقبيحه فان الكامل الاسلم لا احد وتتبع
خلوا من الصديق بل يجب ان تغضي عن المعايب اليسيرة الى من لا يسلم
مثلها بشر وتنظر ما تجده في نفسك من عيب فتحتمل مثله من غيرك
واحذر عداوة من صادقته اولا لطفت مخالطة الصديق واسمع قول
ان عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب فان الداء اكثر
ما تراه يكون من الطعام او الشراب فلذلك يجب عليك متى حصل لك
صديق ان تكثر مراعاته وتعاهده في نفسه ولا تستهين باليسير من حقه عنده ثم

سلماه

يعرف لها وجادت عليه فاما في اوقات الرخا فينبغي ان تلقاه بالوجه
الطلق والملقى الرحب وان يظهر لك في عينيك فرح كثير وبشاشة وارتياح وبشاشة شكره
عند مشاهدته اياك بما يزداد به في كل يوم وكل حال ثقة بمودتك وسكونا الى
عينيك وتوق السرور في جميع اعضائك اذا نظر اليه ومنها ان الذي في النفس الخفي
الشديد عند ملاقاة الصديق لا يخفى ويرى في الشكل بالشكل من غير مشكل
من شق ان يفعل ذلك نطق بعلم الاولى دونه ومحبه من صديقه او ولده او تابع او حاشيته مثل
صدره ويثني عليهم من غير اسراف فيخرج بك الى الملق الذي يهتك عليه ويظهر به منك
تكلف فيه واما بهم لكن ذلك اذا اتوجب الصدق في كل ما يثني به عليه والزم
هذه الطريقة حتى لا يتم منك ظفر فيها بوجه من الوجوه وفي حال من الاحوال
فان ذلك يجلب المحبة الصادقة ويكسب الثقة التامة ويغنيك بحب المحبوب ومن
لا يوجد له نظير كان الحكماء اذا الفوا قوما وانس بمجالسنا وطاف بنا عليه حلو لنا اشكاله
اما اشكاله وامثاله فكذلك حال الانسان اذا عرفنا واختلط بنا اختلاط
الراغب فينا الانس بنا بل بدلها على الحيوان غير الناطق عند الوحش وجميل لواسر
الثنا وتنشر المحاسن واعلم ان مشاركة الصديق في السرا اذا كنت فيها ولم
كان اجده عليك حتى لا يستانفوها ولا تختص بشيء منها فان مشاركته في الضراء
اذا وقعت او حبه موقعها عند عظم ما نطر عند ذلك ان اصابته نكبة او
لحقته مصيبة او عثرة الدهر كبوة تكون مواساتك له بنفسك ومالك كيف

عثرة

نظهر له بعقبك ومراعاتك ولا تضطرن به ان يسالك نصرعا او يعود بعضا بل اقطع
على قلبه واستوعبا في نفسه وتشاركه في مضض ما يجده اخفف عنه وان طوت
مرتبته من السلطان والغنى واحبس لغيو امكن فيها من غير استثقال ولا تطاول
وان رايت من بعضهم نبوا عنك او نقصانا فيما عهدته من مداخلة زيادة مداخلة
وانبسط به واجتذبه اليك فانك ان انفت من ذلك او تداخلك شي من الكبر
والصلف عليهم استضعف حبل المودة وانتكث قوته ومع ذلك فليس تامن
ان تتحول عنك فتستوحش منهم فتضطر الى قطيعتهم حتى لا تنظر اليهم ثم تحافظ
على هذه الشرائط بالمداومة عليها ليبقى المودة على حالة واحدة ولبس هذا
الشرط خاصا بالمودة بل هو مطرد في كل ما تحصل عنه من سر كونك
ومليوسك بسلوكك متى لم تراعها مراعاة متصلة فسد و انتقض
فاذا كانت صورة جا [illegible] كذلك في بني علة [illegible] لم تامن تنقوض
وتهدم فكيف ترى ان تخفو من تدرجوه في كل خير وتعطو يشاركه في السرا
والضرا ومع ذلك فان ضرر ذلك يختص بمنفعة واحدة فاما صديقك فوجع
الضرر الذي تدخل عليك بخيانته واستفاضة دته كثيرة عظيمة وذلك انه ينقلب
عدوا او يتحول منافقة منصبا [illegible] الامن خوالجه وعداوته مع عدمك الرغائب
والمنافع به وينقطع رجاك منها لا تجد له خلفا ولا يستفيد منه بدلا ولا
تنسد مسده شيء واذا لعبت [illegible] وحفظت حقوقه ثم الزمتها

وحافظ عليها بالمداومة

مرتبه

حبل المودة

وتسطو حيك

بالمداومة ابتث مع ذلك ان احد الموا ما معه خاصة وان كان واجبا
ان تجتنبه مع كل احد فان [illegible] الصديق نقطع المودة من اصلها لانها
سبب الاختلاف والاختلاف سبب التباين الذي يناسبه الضدية وتحبنا
اثره واخترنا عليه الا انه الى طلبنا ما وانثينا عليها ومن علمنا ان الله تعالى
دعى اليها بالشريعة القويمة وانى لا اعرف من يوثر المرا ويزعم انه يتقدح خاطره
ويشحذ ذهنه ويشير شكوكه فهو يستعمله في المحافل التي يجمع الوجوه من اهل
النظر ومتعاطي العلوم ماراه صديقه ويخرج في كلامه معه الى الفاظ جمال
بالمجر العائد ويتغاطهم ليزيد في تخجل صديقه ولتظهر انقطاعه وخجله ويلبس
يحمل ذلك عند خلوته ومذاكرته له وانما يفعله حيث يظن انه ادق نظرا
واحضر حجة واغزر علما واجد قريحة فاكثر ما شبهه الا اهل البغي وجبابرة
اصحاب الاموال والمتشبهين بهم من اهل البذخ فان هؤلاء يستحي بعضهم
بعضا ولا يبالي ان يصغر صاحبه ويزري على مروته وتتطلع عيونه ويتبع
عثراته ومساوي كل واحد فيما يعد من مساوي صاحبه حتى يتادى بهم الحال
الى العداوة التامة التي يكون معها السعاية وازالة النعمة وتجاوز ذلك الى
سفك الدم وانواع الشرور وكيف يتبع المرا بعينه او يرجى بها النفع
ثم اجد في صدقه انك اذا كنت محققا بعلم او متحليا بادب ان تحل عليه
بكالف [illegible] ذلك الكبر [illegible] دده ولا استبداد عليه فان اهل

المحاضرة

العلم لا يرى بعضهم في بعض ما يراه اهل الدنيا منهم وذلك ان متاع
الدنيا قليل فاذا ازدحم عليه قوم ثلم بعضهم حال بعض ونقص حظ كل واحد
من حظ الآخر فاما العلم فانه بالضد وليس ينقص احدا ما اخذه غيره منه
بل يزكو على النفقة ويربو مع الصدقة ويزيد على الانفاق كثرة واذا الخروج
بخل صاحب علم بعلمه فانما ذلك منه لاجل ان فيه كلا فضيحة وهي انه اما ان
يكون قليل البضاعة منه فهو يخاف ان يفنى ما عنده او يرد عليه ما لا يعرفه
فيزول تسوقه عند الجهال واما ان يكون مكتسبا به فهو يخشى ان يشركه من
مكتسبه به وينقص حظه منه واما ان يكون حسودا فالحسود يبعد
كل فضيلة لا يود احدا ولا يود احد انه لا يعرف من لا يرضى بان يتحلى بالعلم
نفسه حتى يتخلى عنه غيره ويكره عشيرته ويتسخطه على من يعنده غيره من الاملاء
والمستحقين لعائدة العلم وما اكثر ما يتوصل الى احد الكتب المؤلفين اصحابها
ويمنعهم منها وهذا لعله الا يبقى معه مودة ولا يكسب صاحبه عداوات الا
بحسبها وعسى ان طاع صاحبه من صداقته ثم احد ان يبسط اصحابكم اصدقاؤك
ومن يحاولك من اتباعك او يحتمل بينهم احدا على ذكر شي من اسباب
صديقك بغير الجميل فضلا عن ذكره في نفسه ولا ترخص في غيبة شي
يفضله فضلا عن غيبته ولا يطمعن في ذلك احد من اصحابك والمتصلين
بك صغيرا ولا كبيرا ولا تكشف عن ذلك من عورات عيبه وقلبه وخليقته على الناس

كلهم الموصوا اذا ان طاعه شي ثم احذر مرك منهم بينك ان ذلك كان عرضا لك
وهو انما تطلب عندك لتتفرع عنك نفور الصدق فان عرفت منه شيئا فوافقه عدوا
عليه موافقة الطبيب ليس فيها غلظة مال الطبيب الرفيق تم بالغ بالدواء اللطيف
ما يبلغ غيره بالشق والقطع واكثر ما يريد ما يوصل الغذاء الى الشفاء واكتفى
به عن المعالجة بالدواء وليس احب ان يقضي عما تعرفه في صديقك ما يشك
موافقه عليه هذا الضرب من الموافقة فان ذلك خيانة منك ومسامحة فيما يجوز
ضرره عليه وليس من حق الصديق ان يغره ويبدي للعيون الاضداد حتى يبيعوه
ويبلغوه ثم احذر النميمة وسماعها وذلك ان الاشرار يدخلون بين الاخيار
بصور النصحاء فيوهمهم النصيحة وينقلون اليهم في عرض الاحاديث الذين فيوهمونهم
اخبارا صدقا بأنهم محرومه ممقوته حتى اذا انحاشوا عليهم بالحديث للتملق
فرجوا اليها فسد مودتهم وشتتوا وجوه صداقتهم الى ان يبغض
بعضهم بعضا ويتقاطعوا والمتقدمون في هذا المعنى كتب مؤلفه مفرده
يحذرون فيها من النميمة ويشبهون صورة النمام بصورة الطفا اصولك
السيال القوة حتى يوثر فيها ثم لا يزال يوقد وينفخ حتى يدخل اليه العول هذا المجوزة
ينقلوه من اصله ويضربون له الامثال الكثيرة الشبيهة بحديث الشوم
والاسد في كتاب كليلة ودمنة ونحن نكتفي بهذا القدر من الآن لئلا نخرج
عن رسم كتابنا وما افنيناه عليه من الايجاز مع الشرح ولذلك تركنا

تنعم

مع الاعادة والاختصار فمعظم هذا الباب وذكرت عليك لتعلموا ان الق...

انما القوا فيه الكتب وضربوا له الامثال واكثروا فيه من الوصايا بالمداراة

من النفع العظيم عند السامعين من الاحيا ودطما خافوا من الضرر الكبير — حامده

على من تنبهين به من الاعادة وتعليل المثل المضروب في السباع القوية

اذا دخل بينها الثعلب الخداع على صعقه واهلكها ودمر عليها وعلى الملوك

العصابة دخل بينهم اهل النميمة في صورة المنتصحين حتى تفسد واثار

على وزرائهم الملك الغش فيصعد بهم الجند مع تثبيت الكلم الى ان تعطل

عليهم فيصرفوا عيونهم عنهم وتصبروا اسى محبتهم وايثارهم اياهم على

الذين علموا عيوبهم والى ان يبطشوا بهم فتلا وقتدها وهم غير مدنبين — منهم

ولا مجترمين ولا مستحقين الا الكرامة والاحسان اذ بلغ الاس لا صراد — محترس

والافساد ما بلغه من هؤلاء فكم يا اخي ان بلغ تنا اذا لم نحذره في

اصدقائنا اللذين آخرناهم على الايام وادخرناهم للشدائد واجللنا — اختبرناهم

محلا وراجحنا وزدنا بهم فضلا واكراما ويتبين لك من جميع ما قد تقدم

ان الصداقة واصناف المحبات التي تتم بها سعادة الانسان من حيث هو

مدني بالطبع انما اختلفت ودخلتها ضروب الفساد وزال عنها معنى الالتحام

وعرض لها الانتشار حتى احتجنا الى حفظها والتعب الكثير معها لاجل الانفصال

الكثير التي فينا وحاجتنا الى ... مع الحوادث التي تعرض للناس الكون

والفساد فان الفضائل الخلقية انما وضعت من اجل المعاملات والمعاشرات

التي لا تتم الوجود الانساني الا بها وكذلك العدل انما احتيج اليه لتصحيح المعاملات — الحقيقة

والبذل بمعنى الجود الذي هو رذيلة عن المتعاملين وانما وضعت العفة فضيلة

لاجل اللذات الرديئة التي تجني الجنايات العظيمة على النفس والبدن وكذلك

الشجاعة وضعت فضيلة من اجل الامور الهائلة التي يجب ان نقدم لاسباب توصفنا — تقدم

عليها في بعض الاوقات ولا نهرب منها وعلى هذا جميع الاخلاق المرضية التي

وخصصنا على اقتنائها وايضا فان جميع هذه الفضائل يحتاج الى اسباب

خارجة عنا والى افعال كثيرة الفنون اعني انه يحتاج الى اسباب خارجة من — اقدم

الاموال والى اكتسابها من وجوهها الممكنة ان يفعل بها فعل الاحرار والعادل

يحتاج الى مثل ذلك ليجازي من عاشره بجميل ويكافي من عامله باحسان جميعها

لا تتم الا بالابدان وهو معنى وما هو خارج عنها على حسب تقسيمنا الشيئا ذات

بما معنى وكلما كانت الحاجة اكثر احتيج فيها الى المواد الخارجة عنها اكثر — عناء

فهذه حال السعادة الانسانية التي لا تتم الا بالافعال البدنية والاحوال

البدنية وبالاعوان الصالحين والاصدقاء المخلصين وهي كما ترى

كثيرة والتعب فيها عظيم ومن قصر فيها قصرت به السعادة الخاصة به

ولذلك صار الكسل ومحبة الراحة من اعظم الرذائل لانهما يحولان بين

المرء وبين جميع الخيرات والفضائل ويسلخان الانسان من الانسانية

ولذلك ذممنا القوم الذين يرون الزهد في ان يتفردوا عن الناس ويسكنوا
الجبال والمغارات واختاروا التوحش الذي هو ضد التمدن لانهم
ينسلخون عن جميع الفضائل الخلقية التي عددناها كلها وكيف يعف	المعتقد
ويعدل ويسخو ويشجع من فارق الناس وتفرد عنهم وعدم الفضائل
الخلقية وهل يكونوا الا بمنزلة الجماد والميت فاما الحكمة والانصراف
الى التصور العقلي واستعمال الآراء الالهية فانه خاص بالجزء الالهي من
الانسان فليس يعرض له شي من الآفات التي تعرض للجزء الحيواني الاخر الخلقية
ولا يلحقها ضرب من ضروب الفساد ولذلك قلنا انها لا تقبل النميمة ولا انواعا
من انواع الشرور لانها الخير الاول المحض وسببها ذلك الجزء الاول الذي
لا يشوبه شي من المواد ولا يلحقه الشرور التي في المواد وما دام الانسان	المواد
مشتغلا بالاخلاق والفضائل الانسانية فانها تعوقه عن هذا الخير الاول
وهذه السعادة الالهية ولكن ليس يتم له هذا الا بتلك ومن حصل
تلك الفضائل في نفسه ثم اشتغل عنها بالفضيلة الالهية فقد سلم
ملائمة حقا ونجا من مجاهدات الطبيعة وآلامها ومن مجاهدات النفس	مجاهدات
وقواها وصار مع الارواح الطيبة واختلط بالملائكة المقربين فاذا انتقل
من جوهره الاول الى جوهره الثاني حصل في النعيم الابدي والسرور الاكبر
السرمدي وهذا لفظ ارسطوطاليس جمع هذه الالفاظ وقال السعاده

قال

التامة الخالصة هي لله عز وجل ثم للملائكة والمتالهين ولا ينبغي ان نضيف
الى الملائكة تلك الفضائل التي عددناها في سعادات الانسان فانهم لا
يتعاملون ولا يكون عند احد منهم وديعة فيحتاج الى ردها ولا لاحد منهم
تجارة فيحتاج الى العدالة ولا يفزعه شي فيحتاج الى النجدة ولا له
نفقات فيحتاج الى الذهب والفضة ولا له شهوات فيحتاج الى ضبط
النفس والى فضيلة العفة ولا هو مركب من الاستقصات الاربعة
التي تتحلل من اضدادها فيحتاج الى الغذا فاذن هو الابد المتطهر و
من تلك الاشياء غنيا عن هذه الفضائل الانسية والله تقدس وتعالى
اجل واعلى من الملائكة فيجب ان ننزهه عن جميع ما ذكرناه من فضائل الانسان
وانما نذكره بالخير البسيط الذي يشبهه وننسب اليه الامور العقلية التي
تليق به فيا بحق الواجد الذي لا مرية فيه لا يعنيه الا السعيد الحق من
ساعيه	الناس الذي يعرف السعادة والخير الحقيقة فلذلك يتعرف اليه بجهده
وتتقربه	ويطلب مرضاته بقدر طاقته ويتشبه افعاله نحو استطاعته ومن احبه الله
هذه المحبة وتقرب اليه هذا التقرب واطاعه هذه الطاعة احبه الله
وقربه وارضاه واستخلصه حتى اطلقها الشريعة في بعض البشر
نبي ابرهم خليل الله ومحمد حبيب الله عليهما السلام فاما ارسطوطاليس
فانه اطلق بعد ذلك ما العلة غير ... تغمضا وذلك انه قال من احبه الله

تعاهدن كما تبعها هذا الاصدقا بعضهم بعضا واحسن اليه بالاحسان الذي
يليق به ويكرمه ولذلك يلتذ الحكيم اللذات العجيبة وضروب الفرح الغريبة
ويرى من تحقق بالحكمة انها ملذة غاية الالتذاذ فلا يلتفت الى غيرها ولا يعرج
على سواها واذا كان الامر على ما وصفنا فالحكيم السعيد التام الحكمة والسعادة
هو الله تعالى وليس يحبه الا السعيد الحكيم الحقيقي لان الشبيه ابدا يسر بشبيهه فقط
ولذلك صارت هذه السعادة ارفع واعلى من تلك السعادات التي ذكرناها
مهلة وهي غير منسوبة الى الانسان لانها منزهة من الحيوة الطبيعية بريئة من
القوى المتضادة متباينة جميعها غاية المباينة وانما هي موهبة الهية
لمن اصطفاه من عباده ثم لمن التمسها منه وسعى لها سعيها ورغب فيها
ولزم فيها مدة حيوته واحتمل المشقة والتعب فان من لم يصبر على ادامة
التعب اشتاق الى اللعب فان اللعب شبيه الراحة والراحة ليست
من تمام السعادة ولا من اسبابها وانما يميل الى الراحات واللذات البدنية
من كان طبيعي الشكل ميمي النجار كالعبيد والصبيان والبهائم وليس اهل
والانفصال ينسب الحيوان غير الناطق ولا الصبيان ولا العبيد الى السعادة الا من كان
مناسبا لهم فاما العاقل الفاضل فانه يطلب همته اعلى المراتب قال ارسطوطاليس
بيت ليس يقول نسعى ان يكون همتنا انسانية وان كنا اناسا ولا ان نرضى
بهمم الحيوان الميتة وان كنا مواتا بل نقصد بجميع قوانا ان نحيى حيوة الهية

فان الانسان وان كان صغير الجثة فانه عظيم بالحكمة شريف بالعقل والعقل
سهو شرف جميع الخلائق لانه الجوهر الرئيس المستولي على هذا الكل بامر مبدعه
تعالى جده وقد قلنا فيما تقدم ان الانسان ما دام في هذا العالم فانه محتاج الى
حسن الحال الخارجة منه ولكن لا ينبغي ان ينصرف الى طلب تلك بقوته كلها ولا يطلب
الاستكثار منه فقد يصل الى الفضيلة والى العادات من ليس بكثير المال ولا
عالم السياد فان المقتصر من المال والاملاك قد يفعل الافعال الكريمة ولذلك
قال الحكماء ان السعداء هم الذين رزقوا القصد من الخيرات الخارجة وفعلوا
الافعال التي تقتضيها الفضيلة وان كانت نفقتهم قليلة فهذا كلام الحكيم
في هذه المرتبة التي عددنا الكلام فيها وهو يقول بعد ذلك ليس في معرفة الفضائل
كفاية في العمل بها واستعمالها ومن الناس من ينهض الى الفضائل
وسعادة الموعظة ويرغب في الخيرات ثم قليلون هم الذين يمتنعون من جميع
الرذائل والشرور وذلك للغريزة الجيدة والطبع الفائق فمنهم من يتعاد
الى الخير حتى يمتنع من الرذائل والشرور بالوعيد والفزع والانقياد
من القرآن فيهرب من الجحيم والعار ومما عدوه من الآلام ولذلك
علمنا ان بعض الناس اخيار بالطبع وبعضهم اخيار بالشرع وبالتعلم فالشريعة
يقال تجري لهم مجرى الماء للغصة الذي يشرق به فمن لا يسعد لها فهو
كالشرق بالماء لا يوجد له ما يسيغ غصته وهو الهالك الذي لا حيلة فيه

ولا طمع في اصلاحه وتقويمه ولهذه العلة قلنا ان من كان بالطبع خيرا فاضلا فذلك (كان بالطبع خيرا وفاضلا ظ)
لمحبة الله اياه وليس امره الينا ولا يجري كما يشاؤه بل الى الله تعالى وشرح هذا الذي
يقول فيه ارسطاطاليس عناية الله اكبر فيحصل انما قد مثلنا ان اصناف السعداء
من الناس اربعة وهم موجودون لنا ما انصح والخير وذلك انا نجد من الناس (مواتعنا)
من هو خير فاضل من مبدا كونه ونرى فيه النجابة طفلا ونتفرس فيه الصلاح
ثم نشاهده يكون حيثما كريم الطبع يؤثر مجالسة الاخيار وموافقة الفضلاء (الخير)
وينفر من اضدادهم وليس يكون كذلك الا بعناية تلحقه من اول مولده
كما قلنا ونجد ايضا من هؤلاء من لا يكون بهذه الصفة من مبدا كونه بل يكون
كسائر الصبيان الا انه يسعى بجهده ويطلب الحق اذا راى اخلاق الناس فيه
وانواع الكد حتى يبلغ مرتبة الحكماء [illegible] صحيحا وعملا صوابا والبر
يبلغ هذه الدرجة الا بالتفلسف واطراح الصبيان ما حذرنا منه وعلى (وسائر ما حذرنا)
من لا يخلص هذه السيرة اخذا على اكراه اما بالتاديب الشرعي واما بالقلم
ومعلوم ان المطلوب هو القسم الثاني اذ كانت اقسام الثلاثة من خارج
ولا يمكن ان نطلب عناية من يقول له في اصل مولده السعادة ومن يكره عليها
ليس من اقسام المجتهد ومن ليس ايضا من اقسام المجتهد ومنزلته من السعادة التامة
الضعيفة وانه وحده من بين سائر الطبقات هو السعيد الكامل [illegible]
الى ان يبلغ المطلوب المشرح [illegible] انقضت وهي تمت المقالة الخامسة

المقالة السادسة

من كتاب الطهارة في تهذيب الاخلاق وغرضنا في هذه المقالة بعون الله وتأييده
شفاء الامراض التي تلحق نفس الانسان وعلاجها وقد ذكرنا الاسباب والعلل التي
تولدها وتحدث منها فانا نجد اطباء الابدان لا يقدمون على علاج مرض جسماني (للابدان د)
الا بعد ان يعرفوه ويعرفوا السبب والعلة فيه ثم يرومون مقابلته باضداده
من العلاجات ويبدؤون من الحمية والادوية اللطيفة الى ان ينتهوا في بعضها
الى استعمال الاغذية الكريهة والادوية البشعة وفي بعضها الى القطع بالحديد
والكي بالنار ولما كانت النفس قوة الهية غير جسمانية وكانت مع ذلك مستعملة للمزاج
خاصة مربوطة به ورباطا طبيعيا الهيا لا تفارق احدهما صاحبه الا بمشيئة (د بطاء)
وجب ان نعلم ان احدهما متعلق بصاحبه متغير بتغيره متسقم بسقمه ويصح بصحته
وعن [illegible] كما نشاهده وعيانا بما يظهر لنا من افعالها وذلك انا نرى المريض (تماه)
من جهة بدنه ولا سيما ان كان سبب مرضه احد الجزئين الشريفين اعني القلب والدماغ
يتغير عقله ويعرض في نفسه [illegible] فكره وتخيله وسائر قوى نفسه الشريفة
ونرى ايضا من نفسه اما بالغضب واما بالحزن واما بالعشق واما بالشهوة (بالافكار [illegible] من جهة نفسه ظ)
الا انه [illegible] صورة بدنه حتى يضطرب ويرتعد ويصفر ويحمر ويهزل
ويلحقها ضروب التغايير المشاهدة بالحس فيجب لذلك ان نتفقد مبدا امراض (هواء المدرد اذ كان من نفوسنا ظ)
نفوسنا فان كان مبدأها منها كالفكر في الاشياء الرديئة واجالة الراي
فيها او كاستشعارها الخوف [illegible] من الامور العارضة المزعجة او السهو

الهاجمة قصدنا علاجها بما يخصها وان كان مبدؤها من المزاج او من الجوارح كالتهور
الذي مبداه ضعف حرارة القلب مع الكسل والرفاهية وكالعشق الذي مبداه النظر
مع الفراغ والبطالة قصدنا ايضا علاجه بما يخص هذه فلما كان طب الابدان ينقسم
بالقسمة الاولى قسمين احدهما حفظ صحتها اذا كانت حاضرة والاخر ردها اليها
اذا كانت غائبة وجب ان ينقسم طب النفوس هذه القسمة بعينها ونتقدم في حفظ
صحتها اذا كانت حاضرة فنقول اذا كانت النفس خيرة فاضلة يجب ان تطلب الفضائل
وتحرص على اصابتها وتشتاق الى العلوم الحقيقية والمعارف الصحيحة ويجب على صاحبها
ان يعاشر من يجانسه ويطلب من يشاكله ولا يانس بغيرهم ولا يجالس سواهم ويحاذر
كل الحذر من معاشرة اهل الشر والنقص من المجان والمجاهرين باصابة اللذات
القبيحة وركوب الفواحش والمفتخرين بها المتهتكين فيها ولا يصغي الى اخبارهم
ولا يروي اشعارهم سخفا ولا يحضر مجالسهم مجونا وذلك ان حضور مجلس واحد
من مجالسهم وسماع خبر واحد من اخبارهم ورواية بيت واحد من اشعارهم تعلق
من وسخه ودرنه بالنفس ما لا تغسل عنها الا بالزمان الطويل والعلاج
الصعب وربما كان سبب الفساد الفاضل المحنك وغواية العالم المستبصر حتى
يصير فتنة لهما فضلا عن الحدث الناشي والمتعلم المسترشد والعلة في ذلك ان
محبة اللذات البدنية والراحات الجسمية طبيعية للانسان لاجل النقصانات التي
فيه منذ الجبلة الاولى والفطرة السابقة [illegible] قبل البهاء ونمرض عليها وانما الزم

وانصافه
فيردها اذا كانت غائبة
بانس
المتهتكين

عنها بزمام العقل حتى يقف عند ما يرسم لنا ويقتصر على المقدار الضروري
منها وانما استقصيت في اول هذا الكلام كما استقصيت وشرطت ما شرطت لان
معاشرة الاصدقاء الذين ذكرت احوالهم في المقالة المتقدمة وحكمت بانهم السعادة
معهم وبهم لا تتم الا بالمؤانسة والمخالطة ولا بد في ذلك من المزاح المستعذب والحديث
المستطاب والفكاهة المحبوبة واصابة اللذة التي تطلقها الشريعة ويقدرها العقل
حتى لا يجاوزها الى الاسراف فيها ولا يقصر عنها تقصيرا بها وذلك ان الخروج الى احد
الطرفين ان كان الى جانب الزيادة سمي مجونا وفسقا وخلاعة وما اشبهها من اسماء
الذم والمتوسط بينهما هو الظرف الذي يوصف بالهشاشة والطلاقة وحسن
العشرة ويعرض من الصعوبة في وجود هذا الوسط ما يعرض في سائر الفضائل
الخلقية وما يوخذ به من حفظ الصحة نفسه ان يلتزم وظيفة من الجزء النظري
والجزء العملي لا يسوغ الاخلال بها ليجري للنفس مجرى الرياضة التي تلتزم
في حفظ صحة البدن فان الاطباء يعظمون امر الرياضة في حفظ صحة البدن واطباء
النفوس اشد تعظيما لها في حفظ صحة النفس وذلك ان النفس متى تعطلت من النظر
وعدمت الفكر والغوص في المعاني تبلدت وتبلهت وانقطعت عنها مادة كل خير
واذا الفت الكسل وتبرمت بالروية واختارت العطلة قرب هلاكها لان في عطلتها
هذه انسلاخها من صورتها الخاصة بها ورجوعها الى رتبة البهائم وهذا هو
الانتكاس في الخلق نعوذ بالله واذا تعود الحدث الناشي من مبدا كونه الارتياض

وان كان الى جانب النقصان
سمي فدامة وعبوسا
وشكاسة وما اشبهها
من اسماء الذم ايضا

بالامور المكرمة ولازم الفضائل الاربعة اعني الصدق واحتمل افعال الروية والنظر وانبرك
بالحق وبما طبعه عن الباطل وسمعه عن الكذب فاذا بلغ اشده واستعمل الحكمة مطالعه
استعمل طبعه وعشرته ما يستفيد منها ولم يعود عليه من عزمه فلا يعالج الكثير
تعب في فهم غوامضها واستخراج دقائقها فيصل الى السعادة التي ذكرناها
سريعا وان كان حافظ هذه الصحة قد توجه في العلم وبرع فلا يهمله الجحد عنده على
لو كان ازديادا فان العلم لا نهاية له وفوق كل ذي علم عليم ولا يتكاسل عن معاودته ما علمه
وابقيه على سبيل الدرس فان النسيان آفة العلم وليتذكر قول الحكيم المتقدم رحمه الله
اتلفوا هذه النفس فانها طلقة وجاذبوها فانها سريعة الدثور واعلموا هذا الكلام اتلفوا
مع قلة حروفه كثير المعنى وهو مع ذلك فصيح قد استوفى شرط البلاغة والتعليم
ايضا حافظ هذه الصحة على نفسه انه انما يحفظ عليها نعما شريفة موهوبة له لا جليلة
عقلية يتخذونها فيها ومن لابس فاخرة مفروغة عليها وان من كانت هذه المواهب العلمية
موجودة له فحرام ان يحتاج الى تطلبها من خارج ولا يبذل الاموال فيها الغيرة ولا
يتكلف البعد والمؤن الثقالة في تحصيلها ثم عن غيرها واتمم امرها حتى انسلخ
منها ويغير منها المكروه في فعله ويعود في دار غير وشيده ولا موقوف اسبابها ومن
يرى طالبي النعم الخارجة كيف يتجشمون الاسفار البعيدة الخطرة ويقطعون السبل المخوفة
الوعرة ويتعرضون لضروب المكاره وانواع التلف من السباع العادية
والاشرار الباغية ثم يغبنون في اكثر الاحوال ويقاسون هذه الاهوال دونها ضيعت

لهم الندامات المفرطة اكثر والحسرات المتعبة التي تقطع انفاسهم وتفصل اعضائهم
فان ظفروا بشيء من مطالبهم كان لا محالة والبلاء عن قريب وبعرضه للزوال غير مطبوع
في بقائه لانه من خارج وما كان خارجا عنا فهو غير ممتنع مما يطرقه من الحوادث
التي لا تحصى كثرة وصاحبه مع هذه الحال شديد الوجل دائم الاشفاق متعوب
الجسم والنفس حفظا لما لا يجد الى حفظه سبيلا وتحرزا مما لا يغني فيه تحرز عمّا
فلا وان كان طالب هذه الاشياء الخارجة عنا سلطانا او صاحب سلطان
تضاعفت عليه هذه المكاره اضعافا كثيرة بقدر ما يلابسه بحسب ما يقاسيه
من الاضداد والحساد على البعد والقرب ويكثر ما يحتاج اليه من المؤن ومركز
في استصلاح من يطلبه وما راه من يواليه ويعاديه وهو في كل ذلك مظلوم ولمن هو ملكه
مستظلم معنت مستقصر يستزيده جميع اهله والمتصلين به ولا سبيل له الى
ارضائهم واحد منهم فضلا عن جميعهم لانهم يطلبونه على اخص الناس به من
اولاده وخدمه ومن يحضر مجالسهم من حاشيته وخوله بل لا يخلو من غيظ وحفدة
فهو غير آمن على نفسه من حشمه مع الحاسد الذين يعينهم من مكايد له للاعداء
ايامهم ومواطاة الحساد لهم وكلما ازداد من الاعوان والاعداء ازداد في ولا اعصاد
شغل القلب وطلبوا الدين المكاره ما لم يكن عنده فهو غني عند الناس وهو
اشدهم فقرا ومحسود وهو اكثرهم حسدا وكيف لا يكون فقيرا وحد
الفقر هو كثرة الحاجة واكثر الناس حاجة اشدهم فقرا كما ان اغنى الناس اقلهم حاجة

ولذلك كلنا كما صادقا ان الله سبحانه اغنى الاغنيا لانه لا حاجة
الى شي من الاشيا ولقد صدق ابو بكر في خطبته حيث قال اشقى الناس
في الدنيا والاخرة الملوك ثم وصفهم بما الان الملك اذا ملك زهد فيما في يده
ورغب فيما في يد غيره وانتقص شطر اجله واشرب قلبه الاشفاق
فهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير ويسام الرخا وينقطع عنه لذة
البها لا يستعمل العبرة ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم القسي والسراب
الخادع جذل الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب عمره وضحا
ظله حاسبه الله فاشتد حسابه واقل عفوه الا ان الملوك هم المرحومون
فهذه صفة الملوك اذا امكن من ملكه لا يغادر منه شيا ولقد سمعت اعظم
من شاهدت من الملوك يستجيد هذا الكلام ثم يستعبر لموافقته
ما في قلبه وصدقه عن حاله وصورته ولعل من يرى ظاهر الملوك من
الاسرة والفرش المزينة والاثاث ويشاهدهم في مواكبهم محفوفين
بحسودين بين ايديهم الجنايب والمراكب والعبيد والخدم والحجاب والحشم
ويرو عند ذلك فيظن انهم مسرورون بما يراه لهم لا والذي خلقهم وكذا نا
امرهم انهم فرحون بالاحوال اذا خلوا [illegible] البعيد لهم مشغولون بالافكار
التي يحتويهم وتفوتهم [illegible] من ضرورتهم وتزجرنا ذلك في السير
والملكيات [illegible] على الكبر ما وصفنا [illegible] بعض من يصل الى الكبر من السلطان
جاء ملكنا

وحكمنا ايضا ان اعظم الملوك هم اشد الناس فقرا لكثرة حاجتهم الى الاشياء

شغلهم

يلتذ في سن الكبر مثله قبل ان تسبره بعد المقدار ما يتمكن منه ويفتح عينيه
ولكنه بعد ذلك يصير جميع ما ملكه كالشي الطبيعي له لا يلتذه ولا يفكر
فيه ويمد عينه الى ما لا يملكه فلو ملك الدنيا باسرها تمنى دنيا اخرى
او يرق نفسه الى البقا الابدي مع الملك الذي [illegible] حتى يلتزم جميع ما وصل
اليه وبلغه قدرته وذلك ان نحفظ ايضا صعب جدا ما في طبيعتنا من
الاضمحلال والتلاشي ولما [illegible] الملك الابدي لا [illegible] التي وصفناها ولا الاموال
الجمة المصروفة الى الجند المرتبطين والخدم المستوفين [illegible] والكنوز
[illegible] فهذه حال الطالب النعيم
الخارجة عنا فاما ملك النعمة التي هي في ذواتنا فانها موجودة عندنا
دنيانا وهي غير مفارقة لنا لانها موهبة الله الخالق تعالى وتقدس فاذا استثمرنا
والموفق فيها فاذا اقبلنا امرها انثمرت لنا نعما بعد نعم وصعدتنا في درجة فوق
درجة حتى تؤدينا الى النعيم الابدي الذي وصفناه بما تقدم وهو الملك الحقيقي
الذي [illegible] الغبطة الابدية الصافية التي لا تحول ولا تزول [illegible] واظهر سقطه
من اضاع جواهر نفسه [illegible] التي هي عنده وموجودة له وطلب اعراضا
خسيسة [illegible] ليست عنده ولا موجودة له فان اخفق ان يجدها لم تبق له
ولم يبق له [illegible] وذلك [illegible] عنه ويصل عنها لا محالة فلذلك ما قلنا ينبغي لمن
رزق الكفاية ووجد القصد من سعادة الخارجة ان لا يشغل بفضول العيش

ينتقم [illegible]

لا يزول [illegible]

قال الحكيم

طلبها

فانها بلا نهاية ومن طلبتها او تعبه في مكاره لا نهاية لها وقد علمنا كل ما تقدم
ما الكفاية والقصد ان الغرض الصحيح منها هو مداواة الآلام والتحرز من الوقوع
فيها لا التنعم وطلب اللذة فان من عالج الجوع والعطش اللذين هما مرضان
دائمان حادثان لا يسوغ له ان يقصد لغير البدن بل صحته فانها بسببه لا محالة
طلب العلاج الذي لا الصحة لم يحصل له الصحة فاما من لم يرزق الكفاية واحتاج
الى السعي والاضطراب في تحصيلها فيجب عليه ان لا يتجاوز القصد قدر حاجته منها
الى ما يضطر معه الى السعي في تعب الحرص الشديد والتعرض لمقابح المكاسب
وضروب المهالك والمعاطب في [illegible] طلبها احال العارف [illegible] منها
يضطر اليها انقضت [illegible] ما طلب [illegible] من ضروراتها
العاقل اذا تصفح احوالها [illegible] ما ياكل الميتة ومنها ما ياكل الروث والحشيش
وهي مسرورة بما تجده من اقواتها قريرة العين بها وليس تحس نفوسها
نفورا عنها ولا تقززا منها ولا ينصرف نفوسها عنها كما ينصرف نفوس
الحيوان المضاد لها [illegible] من اقوات [illegible] الى تضادها
النظافة ومثال ذلك الجعل والخنافس اذا قربت الى [illegible] تهرب
من الروائح الطيبة والاقوات النظيفة وهذا طلبها [illegible] فادن نسبة
كل حيوان الى قوته الخاصة به وكل مغتبط بما يحفظ بقاءه وحيوته طالب له
مسرور به فيستوي [illegible] ان ينظر الى اقواتنا [illegible] منزلة [illegible] يحتاج الى [illegible]

نفجرها

الى ملابستها لاخراج ما كنا نحرص على الوصول اليه فلا نقصدها من هذا
الا وجه [illegible] كانها ضرورية [illegible] ولا [illegible] ولا نتشاغل [illegible]
والمنع بها [illegible] في [illegible] اوقاتها والوصول اليها ولا [illegible] اعداد
[illegible] وربما [illegible] واذا [illegible] في [illegible] السعي [illegible]
~~[illegible]~~ امدادنا
وكما لا نستوحش ولا نتقزز منها من ابداننا ولا نستقذرها كذلك لا نتقزز
ما نضعه مكان ما ينقص منه ونهرب عنه واما الثاني منهما فهو عصارة
ذلك الغذاء وما تنقيه الطبيعة واخذت حاجتها منه اعني الذي احالته دما
صافيا وفرقته في العروق على الاعضاء واطرحت الثقل الذي لا حاجة بها
اليه وهو في غاية المخالفة والبعد من ارجنا فنحن نستوحش منه وننفر عنه
لاجل الضدية والمخالفة الا انا مضطرون الى اخراجه وتنحيته وتقضيه عنا اما الا
الموهوبة [illegible] فرح ذلك ليقع مكانه [illegible] ويجري مجراه و
[illegible] الصحيحة على قسمين لا يحركه قوة الشهوة ولا قوة الغضبية تتذكر
ما اصابت منها فوجد لذة بها [illegible] حتى تتحرك الانفسها واعني به ان
الانسان [illegible] تذكر لذاته من اصابة الشهوات او مراتبه من كرامة السلطان
وغيرها فاشتاق اليها واذا اشتاق اليها تحرك نحوها واذا تحرك نحوها
[illegible] غرضا فيضطر الى استعمال الادوية واستخراج النفس الناطقة فيه لتدبيره

واستخدام

طلبها
ولم يتوقع اللذة منه
ابعدها
كنسبة الحيوان الآخر الى قوته الخاص به
اعشوشب

عنفوانها
طلب الادخار ولا يستخفه السعي في طلب [illegible]
نتبعه
نفوسنا ادوانا
المستعمل
وطيبها

له الوصول اليه وهذه صورة من يقبل عليه عادية ويهيج به اغاضبا دائم
فيلتمس معالجتها والخلاص منها وليس يحمل العاقل لنفسه هذه الحال بل هو من
افعال المحاربين الذين لا يميزون بين الخير والشر ولا بين الصواب والخطا فلا اكثر
يجب ان لا نتذكر اعطيناه من القوى التي تميل اليها ماثل اليها ونحو كنحوها او نتركها
فانها ستفتقدان لا نفسها ونهيجان عند حاجتها وطلبهما ان نحتاج المال
اليه ونجد من باعث الشهوة ما يغنيك عن بعثها بالفكر والتشوق ويكون حسبه
ملكه ونميز كنا ان ازاحة علتها وتفقد موما يطلبه منها في الامر الضروري الواجب
لا بد منه الحافظة لصحتها وهذا هو اقتضاه مشيئة الله تعالى وامر سياسته
لانه تعالى وتقدس انما وهب لنا هاتين القوتين لكي نستخدمهما عند حاجتنا
اليها لا لتخدمنا ونتعبدنا وكل من استخدم النفس الناطقة وجعلها عبيدها
فقد تجاوز امر الله وتعدى حدوده وعكس سياسته وتقدموا وذلك ان
خالقنا عز وجل رتب لنا هذه القوى بتدبيره وتقديره ولا عدل افضل من
وافضل من تدبيره وتقديره وكل من خالفه وعدل عنه فهو اعظم جائر
على خالقه واعظم ظالم لنفسه ويستحق حافظ الصحة على نفسه ان يتلطف ويتطوع
من كل ما يفعل ويدبر ويستعمله الان بدنه ونفسه تجري فيهما على عادة
فقد نفقد منه مخالفة لما يوجبه تمييزه ورويته فما اكثر ما يعرض للانسان
ان يتعلم [illegible] لما تقدم فيه عزيمته وعقد عليه رايه فمن عرض له مثل هذا

سقوداء

الطبيعة

اسعك

توسعد

فيجب عليه ان يضع لنفسه عقوبات تقابل بها امثال هذه الذنوب فاذا انكر
من نفسه مبادرة الى طعام ضار او تناول حمية قد كان يستشعرها او تناول
غير موافقة او حلوا اكل كثيرا عاقب نفسه بصوم لا يفطر فيه الا على الخبز ما يعدد
عليه وان الله فان الحكمة الطبيعية فليطوع ويزيد في الحمية من غير حاجة اليها وليكن
لنفسه ان يقول لها انك قصدت تناول النافع منها دون الضار وهذا فعل
من لا عقل له وان اكثر اسنان البهائم احسن حالا منك لانه ليس فيها ما يقصد
لما انما تقصد [illegible] ما يمسك الا ان للعقوبة وان انكر من نفسه مبادرة
الى الغضب من غير موضعه او على من لا يستحقه او زيادة على ما يجب منه فليقابل
ذلك بالتعرض لسفيه يعرف به الغالم ليحتمله او يتذلل لمن يعرف بالخيرة حتى كان
اقواه انه لم تبرك ذلك ان يتعرض على نفسه ما لا يخرجه صدقة وليجعل ذلك نذرا
عليه لا يخل به وان انكر من نفسه كسلا وتوانيا في مصلحة له فليعاقب نفسه
مشقة او صلاة فيها طول او بعض الاعمال الصالحة التي فيها كد وتعب وبالجملة فليلزم
على نفسه ذنوبا يصير عليها في ابقى حدودا لا يخل بها ولا يترخص فيها اذا
انكر من نفسه مخالفة لعقله وتجاوز المرسوم ولعذر من جميع اوقاته ملابسه
زيادة او ساعة ورفق ومخالفة صواب لا يحتقرون شيئا ما بين من صغائره
السيار او لا يطلبي رخصة فيها فان ذلك يدعو الى ما هو اعظم منها ومن تعود
سيانيات [illegible] وجد ثمان نجابة ضبط النفس عن شهواتها والحلم عند ثوران غضبه

انظر

لتبذكر

وتحدوده م

وحفظ لسانه واحتمال القرابة خف عليه ما يثقل على غيره ممن لم يتأدب بهذه الآداب
ومارس ذلك اولا عبد الحميد واشباههم اذ اقبلوا بهم الى سوء يسفهون عليهم ويشتمون
اعراضهم ويلقون عليهم الخطب فما يسمعونه حتى لا يفرقونهم وربما ضحكوا عند سماع
مكروه يشتد ضحكا غير متكلف ويعملون عند ذلك على الاثم وادعى لطلبتهم غيظ
فلغيظ وقد كانوا قبل ذلك شرسين غضابين عجلين لا متمكنين من الاناة
والانتقام بالكلام وطلب التشفي بالخصام وهذه سبيلنا اذا الفنا الفضائل
وتمسكنا بالرذائل وامسكنا عن مقابلة السفهاء ومجازاتهم والانتقام منهم
ويجب على حافظ الصحة على نفسه ان يتشبه بالملوك الموصوفين بالحزم فانهم
يستعدون للاعداء بالعدة والعتاد ويتحصنون قبل هجوم العدو وهم
في مهلة من زمانهم وفي اتساع من وقتهم ولو اغفلوا ذلك الى ان يدهمهم
المكاره ويطرقهم الشدائد لادهلهم الامر عن الحيلة وعن الرأي السديد وعلى
هذا الاصل يجب ان يعني الانسان في الاستعداد لاعدائنا من الشره والغضب
وسائر ما ذكرنا من اغراضنا من الفضائل عنه بان نعود الصبر على ما يجب
الصبر عليه والحلم عمن ينبغي ان نحلم عنه ونضبط النفس عن الشهوات الرديئة
فنقطع دواعي هذه الرذائل وقت هيجانها فان الامر عند ذلك صعب جدا ولا
يمكن الا بمن عزمه شديد ويجب على حافظ الصحة على نفسه ان يتطلب عيوب نفسه باستقصاء
شديد ولا يقنع بما قاله جالينوس فانه ذكر في كتابه المعروف بتعرف المرء

عيوب نفسه انه لما كان كل انسان محبا لنفسه خفيت عليه معايبه ولم يرها
وان كانت ظاهرة واشار في كتابه هذا بان يتخذ من يعتاد ان يبصره بعيوبه
صديقا كاملا فاضلا ويحثه بعد طول المؤانسة على انه انما يعرف صدق مودته
اذا صدقه عن عيوبه حتى يتجنبها ويأخذ عهده على ذلك ولا يرضى منه اذا قال
له لا اعرف لك عيبا بل يغضب عليه وينكره ما يقول ويعلمه انه قد اتهمه بالخيانة
ويعاود مسألته والالحاح عليه فان لم يخبره بشيء من عيوبه فليظهر من حاله
رغبته وعتبا صحيحا ويزيد في الرغبة اليه والالحاح عليه بان يخبره بشيء
من عيوبه زاد قليلا فاذا اخبره ببعض ما يعرفه منه فلا يظهر له في وجهه
او كلامه كراهية ولا انقباضا بل يبسط له وجهه ويظهر السرور بما اخرجه اليه
ونبهه عليه ليشكره على الايام في اوقات المؤانسة ليتطرق له الى اهداء
مثله اليه ثم ليعالج ذلك العيب بازالة اثره ومحو ظله ليعلم ذلك المهدي اليك
عيبك انك عنيت بالصلاح نفسك في طرد وعلاج مرضك واستقبلت من عيب
معاودك وذلك في هذا الذي اشار به جالينوس معوز غير موجود
ولا مطمع فيه واما العدو ففي هذا الموضع انفع من الصديق فان العدو
لا يحتشم في اظهار عيوبنا بل يتجاوز ربما يعرف منها الى التخرص والكذب
بها فنتنبه على كثير من عيوبنا من جهته ولجالينوس ايضا مقالة في
ان خيار الناس ينتفعون باعدائهم ... لا تخالفه فيه ... ذكرناه

فاما ما اختاره ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي في ذلك فهو ما احكيه
بالفاظه وهو هذا انه ينبغي لطالب الفضيلة ان يتخذ صور جميع معارفه من
الناس مرآة له فيرى صورة كل واحد منهم عندما يعرض له من الالام التي
تتبع الشهوات حتى لا يغيب عنه شيء من السيئات التي له وذلك انه يكون عده
متفقدا لسيئات نفسه فمتى رأى سيئة بادية من احد اتهم نفسه عليها انه العاشر
يفعلها واكثر عتبه على نفسه من اجلها ويعرض على نفسه في آخر كل يوم وليلة
جميع افعاله حتى لا يشذ منها شيء فانه يقبح بنا ان نجتهد في حفظ ما نتفقده
من التجارات الدنية والارباح الباطلة العرضية منا لكي لا ينقص
علينا عددها البتة في كل يوم ولا نحفظها نحن من ذواتنا التي بتوفيرها بقاؤنا ما نتعوض
ونقصانها فناؤنا فاذا وقعنا على سيئة من افعالنا اشتد عذلنا
لانفسنا عليها ثم نعتم عليها جدا نفوضه ولا نضيعه واذا تصفحنا
افعال غيرنا وجدنا فيها سيئة عاقبنا ايضا نفوسنا عليها فان
النفس ترتدع حينئذ عن المساوي وتألف الحسنات ويكون المساوي
ابدا بينا نصب عيوننا لا ننساها ولا يأتي عليها زمان طويل فيخفى ذكرها
وكذلك ينبغي ان نراعي الحسنات لتنسرع اليها ولا يفوتنا منها
شيء وكذلك ينبغي ان لا نقنع بان نصير اشباه الدفاتر والكتب التي
تفيد غيرها معاني وهي عادمة لفنونها او كالمسان التي تشحذ ولا الحكم

٩٠

نور ذاتها

ولا نقطع ولا نكون كالشمس المضيئة والقمر كلما اشرق عليه اناره من فيض نورها
فيفعل له تماما حتى يكون لها شبيها وان قصر عن نورها فهكذا ينبغي ان يكون حالنا
اذا اذنا غيرنا الفضائل وهذا الذي ذكره الكندي في ذلك ابلغ ما قاله

من تعديد القول في رد الصحة على النفس اذا لم تكن حاضرة

وهو القول في علاج امراضها ونبتدئ بذكر اجناس هذه الامراض العالية ثم لمعرفه الدواء وجلاء
بمداواة الاعظم فالاعظم منها نكاية لكم والاكثر فالاكثر منها جناية معترك اما
اجناسها العالية فهي مقابلات الفضائل الاربع التي احصيناها فيما تقدم الكتاب
ولما كانت الفضائل اوساطا محدودة وانها موجودة امكن ان نطلب ونقصد
وننتهي اليها بالحركة والسعي والاجتهاد فاما سائر النقط التي ليست
باوساط فانها غير محدودة ولا انها اعيانا محدودة ووجودها بالعرض
لا بالذات ومثال ذلك ان المركز انما يكون واحدا هي نقطة ما حدها ولها
وجود في ذاتها تقصد وتشار اليها وان لم نجدها حسا ولم يمكنا الا شأنه
انها امكننا استخراجها واقامة البرهان عليها وانما هي المركز دون غيرها
من النقط واما النقط التي ليست بمركز فلا نهاية لها ولا وجود لها بالذات فيه
وانما توجد اذا فرضت فرضا وليست لها عين قائمة فلذلك لا تقصد ولا يمكن
استخراجها لانها مجهولة ولانها تابعة لخروج بسيط الدائرة فاما الظل فان
اللذان يشتبهان كالذان يشتبهان متضادين فهما موجودان متقابلان لانها

طرفي خطا مستقيم متعين مفروض البعد بينهما غاية ومثال ذلك انا اذا
اخرجنا من مركز الدائرة خطا مستقيما الى المحيط صار طرفاه محدودين
احدهما المركز والاخر نهايته والبعد بينهما غاية البعد ومثاله من المحسوس عند المحيط م
البياض والسواد فان احدهما مضاد للاخر وهما يجدوان البعد بينهما
غاية البعد فاما الاوساط التي بينهما فلا نهاية لها وكذلك الالوان التي بلا
نهاية فاما اطراف الفضيلة فلما كانت اكثر من واحد لم يسم ضدا لان لكل ضد
ضدا واحدا ولا يمكن ان يوجد اضداد كثيرة لضد واحد والسبب في ذلك ان البعد واحدة
بينهما غاية البعد وقد نجد للفضيلة الواحدة اكثر من طرفين واحد لكن
اذا تصورنا الفضيلة مركزا واخرجنا منه خطا مستقيما فحصلت له
نهاية امكننا ان نخرج من الجانب المقابل له خطا آخر على استقامته فيصير
له نهاية اخرى ويصيران جميعا متقابلين للمركز الذي يرضاه فضيلة لذا
الا ان احدهما يجري لها مجرى الافراط والغلو والاخر يجري مجرى
التفريط والتقصير واذ تمهد ذلك فلنعلم ان لكل فضيلة طرفين محدودين
يمكن الانسان اليهما واوساطا بينهما كثيرة لا نهاية لها ولا يمكن الانسان
اليها الا ان الوسط الحقيقي هو واحد وهو الذي سميناه فضيلة ثم
لنعلم انا بحسب هذا البيان نجعل الاجناس التي لا نسميها ضعف الفضائل الرذايل م
الاربع التي تقدم شرحها وهي هذه التهور والجبن طرفان للوسط الذي
هو الشجاعة والشره والخمود طرفان للوسط الذي هو

هو العفة والبلاهة والدهاء طرفان للوسط الذي هو الحكمة والجور والمهانة اعني الظلم
والانظلام طرفان للوسط الذي هو العدالة فهذه اجناس الامراض العالية التي
تقابل الفضائل التي هي صحة النفس وتحت هذه الاجناس انواع لا نهاية لها
ونحن نذكر التهور والجبن اللذين هما طرفا الشجاعة وهي فضيلة النفس وبعضها
فنقول ان سببهما ومبدأهما النفس الغضبية ولذلك صار الفلاسفة يسمون
علاج الغضب وان الغضب بالحقيقة هو حركة النفس يحدث عنها غليان دم علاج الغضب
القلب شهوة الانتقام فاذا كانت هذه الحركة عنيفة اججت نار الغضب
واضرمتها فاحتدم غليان دم القلب وامتلأت الشرايين والدماغ دخانا مظلما
مضطربا يسوء منه حال العقل ويضعف فعله ويصير عند ذلك مثل الانسان
على ما حكت الحكماء مثل كهف ملئ حريقا واضرم نارا فاختنق فيها اللهيب والدخان
وعلا منه الاجيج والصوت المسمى وهج النار فيصعب علاجه ويتعذر اطفاؤه
ويصير كل ما يدنيه منه للاطفاء سببا للزيادة ومادة لقوته فلذلك يعمى عن الرشد لا انسان م
ويصم عن الموعظة بل تصير المواعظ في تلك الحال سببا للزيادة في الغضب ومادة
للهب والتأجج وليس يرجى له في تلك الحال حيلة وانما تتفاوت الناس في ذلك
بحسب المزاج فاذا كان المزاج حارا يابسا كان قريب الحال من حال الكبريت الذي
اذا ادنيت منه الشرارة الضعيفة التهبت واذا كان المزاج بالضد صار ضد حاله
تتفاوت
وعلى ان مبدا امره وعنوان حركة الغضب فاما اذا احتدم فيكاد الحال

وعنوانه

فيه ونتصور ذلك من الحطب اليابس والرطب في تمثيل مبدا اشتعال النار بهر وشدة
من الكبريت والنفط ثم اخذ منها الى الادهان المتوسطة الى ان ينتهي الى حالة
فان لها احتكاكا او اركان ضعيفا في توليد النار فوقها قوي حتى يلتهب منه الاجمة العظيمة
والغيمة والنفط الاشبه المتلفة وكذلك مثل السحاب الذي هو من البخار فركبت حتى تحتكر
تنفتح بينها النيران وترسل بها الصواعق الى ان تنقلب لعا بعدها شي من المواد
ولا تعارف اشتعال به حتى تحفيه وتبيد وان كان جبلا اطلس حجرا اصم واما
الى السفينة سفرا اطلس فانه مال ان السفينة اذا عصفت بها الرياح وتلاطمت عليها الامواج
ودفعتها الى اللجج التي فيها الجبال الراسي بين العصبان الملتهب وذلك ان السفينة
ويخلصونها يمكن الى ان يلطف بها الملاحون ويخلصونها بضروب الحيل فاما النفس اذا استشاطت
غضبا فليس فيها حيلة البتة وكل ما ذريعة بها الغضب من النصح
والموعظة والخضوع يصير له بمنزلة الجزل من الحطب قوة تحتم ونوما استعارا
المولدة واما اسباب المولدة للغضب فهي العجب والافتخار والمراء واللجاج والمزاح والتيه
والاستهزاء والغدر والضيم وطلب الامور التي فيها عزة ومنافسة فيها الناس
حسدها ونتحاسدون عليها وشهوة الانتقام غاية لذلك الاسباب جميعها ينتهي اليه وذكر
لواحقه الندامة وتوقع المجازاة بالعقاب عاجلا واجلا وتغير المزاج وتعجل
الالم وذلك ان الغضب جنون ساعة وربما ادى الى التلف باختناق حرارة القلب
فيه وربما كان سببا لامراض صعبة مؤدية الى التلف ويمقت الاصدقا ويشمت به الاعداء

واستهزاء الحساد والارذال ولكل واحد من هذه الاسباب علاج سنذكره حتى
نقطع مواده فانا اذا انتفضنا عن هذه الاسباب فاما طلبنا فقد او منعنا من الغضب
وقطعنا مادته وامنا غايلته فان عرض لها منه عارض كان يحسب طبع العقل
ويلزم شرايطه وتكون حينئذ تفضلنا على الشجاعة ونكون حينئذ قدامنا كما
نقدم عليه كما يجب وحيث يجب وبالمقدار الذي يجب وعلى من يجب فيقتضيه
اذا احدثنا عما ظن كان ذلك بالتفريغ استحقاق من تبيه بحر يتخذه لها وخفيف
على من عرف نفسه ان يعرف كثرة العيوب والنقصانات التي يقصورها ولى الفضل
مقسوم بين البشر وليس يكمل الواحد منهم الا ببعضها لغيره وكل من كانت
فضيلته عند غيره فواجب عليه ان لا يعجب بنفسه وكذلك الافتخار فان الفخر هو
المباهاة بالاشياء الخارجة عنا ومن باهى بما هو خارج عنه فقد باهى
بالابلكة وكيف يباهي بما هو معرض للافات والزوال في كل ساعة وبلحظة وليسا
على ثقة منه في شي من الاوقات واصح الامثال واصدقها ما ضرب الله به من
لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما الى قوله فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي
خاوية على عروشها ثم قال بعد واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه وفي
القرآن من هذه الامثال شي كثير وكذلك في الاخبار المروية عن النبي عليه السلام
واما المفتخر بنسبه فاكثر ما يدعيه اذا كان صادقا ان اباه كان فاضلا ولو حضر
ذلك الفاضل وقال ان الفضل الذي تدعيه لي انا مستبد به دونك فما الذي

عندك منه مما ليس عنده غير الابهة وسكينه وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه
اخبار صحيحة منها انه قال عليه السلام لا تأتوني بانسابكم وائتوني باعمالكم وحكي عن — كثيرة
ملوك كان لبعض الفلاسفة انه افتخر عليه بعض رؤسا زمانه فقال ان افتخرت
علي بفرسك فالحسن والفراهة للفرس لا لك وان افتخرت بثيابك وآلاتك
فالحسن لها دونك وان افتخرت بآبائك فالفضل كان فيهم دونك فاذا كانت
المحاسن والفضائل خارجة عنك وانت منسلخ عنها وقد رددتها الى — ولها دونكم
اصحابها لم يخرج عنهم فيم فخرك عليهم فانت ممن حكي عن بعض الفلاسفة انه دخل
على بعض اهل اليسار والثروة وكان يعتشد في الزينة ويفتخر بكثرة
ماله وآلاته وحضرته الفيلسوف بزقة تنحنح لها والتفت في البيت
يمينا وشمالا ثم بزق في وجه صاحب البيت فلما عوتب على ذلك قال اني
نظرت الى البيت وجميع ما فيه فلم اجد هناك اقبح منه فبزقت عليه وهكذا
اشتهر من كان خاليا من فضائل نفسه وافتخر بما كان خارجا عنه فاما المراء — مستحق
واللجاج فيحسن سوؤهما في المقالة التي قبل هذه وما يولدانه من الشقاق — فقد ذكر ما فيه جورتها
والفرقة والتباغض بين الاخوان واما المزاح فان المقدار المعتدل منه محمود
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا وكان
امير المؤمنين كثير المزاح حتى عابه بعض الناس فقال لولا دعابة فيه — عليه السلام
ولكن الوقوف على المقدار المعتدل منه صعب واكثر الناس يميل الى

والبذى لو يقف منه فيخرج عن حده ويدوم الزيادة على صاحبه حتى يصير
سبب الوحشة فيثير غضبا كامنا ويزرع حقدا باقيا فلذلك عددناه
في الاسباب فينبغي ان يحذره من لا يعرف حده ويتذكر قول القائل رب جد جرّه
اللعب وبعض الحرب اوله مزاح ثم يهيج فتنة لا تهتدي لعلاجها واما التيه
فقريب من العجب والفرق بينهما ان المعجب يكذب نفسه فيما يظن بها والتياه
يتيه على غيره ولا يكذب نفسه الا ان علاجه علاج المعجب بنفسه وذلك بان
يعرف ان ما يتيه به لا مقدار له عند العقلاء وانهم انما لا يعتدون بمن ساسه
وقدره حظه من السعادة ولانه متغير زائل غير موثوق به ولا متيقن الا المال
والآلات وسائر الاغراض قد توجد عند الانذال والنوكى فاما الحكمة فلا توجد — النوكى والانذال
الا عند الحكماء خاصة واما الاستهزاء فانما يستعمله المجان من الناس والمسخرة — والعلم وسائر الفضائل
ومن لا يبالي بما يقال له لانه قد وضع في نفسه احتمال ما يرد اليه اضعافه
بوجه العين بضروب الاستخفافات التي يلحقه وانما يتعيش بالدخول تحت المذلة
والصغار ولا يتعرض لقليل ما يبتدي به لكثير ما يرد اليه بضحك غيره وتعالى — بعامة
الكبير من نزه والحر الفاضل يبعد من هذا المقام جدا ويكرم نفسه وعرضه
عن تعريضهما للسخرية ويبيعهما بجميع خزائن الملوك فضلا عن الحقير التافه واما
الغدر فوجوهه كثيرة لانه قد يستعمل في المال وفي الجاه وفي الحرم وفي
المودة وهو على كثرة وجوهه مذموم بكل لسان ومعيب عند كل احد .

فنفر السامع من ذكره ولا يعترف به انسان وان نال حظه من الانسانية
ولسنا نجد الا في جنس من اجناس العبيد يفقدون قائم الناس وبائعهم سائر
اجناس العبيد وذلك ان الوفاء الذي هو ضده موجود في جنسي الروم والحبشة
والنوبة وقد شاهدنا من جنس كثير من العبيد فاما لم نشاهده في كثير
من المتسمين بالاحرار ومن عرف قبح الغدر باسمه ونفور العقلاء منه ثم
عرف معناه فليس يعمله خاصة من له طبيعة جيدة او قرأنا ما تقدم
هذا الكتاب وتحققوه وانتهى في قراءته الى هذا الموضع فاما الضيم فهو تكلف
احتمال الظلم والغضب اذا عرض له فيه منه وسهو للانتقام وقد ذكرنا فيما تقدم
حال الظلم والانطلاق وشرحنا الان انهم يصيرون الى ان يتسرع الى الانتقام
عند ضيم يلحقه حتى ينظر فيه وعند ذلك لا يعود عليه الانتقام بضرر
اعظم من احتمال ذلك الضيم وهذا النظر والحذر هو استشهاد العقل
وهو الحاكم بعينه فاما طلب الاشياء التي فيها عسيرة ويقتنى فيها الناس فقد
حظا من الملوك والقتل فضلاء او سياط الناس وذلك ان الملك اذا حصل
في خزائنه علق كريم او جوهر نفيس فهو متعرض به للجزع عليه عند فقده
ولا بد من حلول الآفات بما عليه طبيعة العالم اعني عالم الكون والفساد
من تغير الامور واحالتها وادخال الفساد على كل ما يدخر ويقتنى فاذا
فقد الملك ذخيرته عن نوع الاوحد خطر عليه بانظر الى المجموع المصاب به العز

حسن وناكد

وعلى

لاعلاق

عليه ويبقى في فقده الى طبع الذي يحبه فيتقطع الصديق والعدو على خزنته
وكآبته وحكي عن بعض الملوك انه اهدي اليه قبة بلور صافية عجيبة النقاء
محكمة الخرط قد استخرج منها اساطين وصور وخاطها صانعها حتى بعد اخرى
في تخليص النقوش والحروف والتجاويف التي بين الصور والاوراق فلما حصلت
بين يديه كثر تعجبه منها واعجابه بها وامر بها فرفعت في خاص خزائنه فلم يأت عليها
كثير زمان حتى اصابها ما يصيب امثالها من الخالف وبلغ ذلك الملك فظهر
عليه من الاسف والجزع ما منعه من التصرف في اموره والنظر في مهماته
والجلوس لجنده وحاشيته واجتهد الناس في وجود شيء شبيه به فتعذر
عليهم فطلبوا ايضا من يجبره وامتناع مطلوبه عليه بما ضاعف به جزعه وحزنه
وهما واما اوساط الناس فانهم متى ادخروا آلة كريمة او جوهرا نفيسا او اعتدوا
مركوبا فارها او ما اشبه ذلك من الاشياء التي يتمسكها منه من لا يمكنه ردته عنها
فان حاجة عنها ويخل عليه بها فقد عرض نفسه وعرضه للبوادر وان هيج
بما الحقه من الجزع والغم ما كان مستغنيا عنه فاما الاحجار النفائس
فيها من اليواقيت واشباههما ما تبعد عنه الآفات في انفسها فليس
تبعد عنها الآفات الخارجة من السرقة ووجوه الحيل فيها واذا ادخرها
الملك قل انتفاعه بها عند حاجته اليها وربما عدم الانتفاع بها دفعة
وذلك ان الملك اذا اضطر اليها لم ينتفع في عاجل امره وخاصة ضرورته

وحسرته

تبعد

فقد شاهدنا اعظم الملوك خطرا في عصرنا لما احتاج اليها بعد
فناء امواله ونفاد ما في خزاينه وقلاعه ولم يجد ثمنها ولا قريبا من
ثمنها عند احد ولم يحصل منها الا على الفضيحة في حاجته الى عيشه
في بعض قيمتها وهو لا يقدر على قليل ولا كثير من اثمانها وهي مبذوله
مبتذله في ايدي اهل اليمن التجار والسوقة يتعجبون منها ولا يقدر
عليها ومن قدر منهم على ثمن شي منها لم يتجاسر على اظهاره خوفا من يقع
بعد ذلك في ظهور امره فينتزع منه فهذه حال هذه الذخاير
عند الملوك فاما التجار الموسومون بهذه التجارة فربما اتفق
لهم زمان صالح وسكون من الدنيا وامن في السرب فحينئذ يكون
بضاعتهم شبيهة بالكاسدة لانها لا تنفق الا على الملوك والاولاد عنهم
الذين لا يحزنهم شي من نوايب الدهر وقد استتمت بهم الحظوظ ووصلت
اموالهم عن الخزاين والقلاع فحينئذ يغترون بالزمان فيقعون في
مثل هذا الاغتباط ثم نرجع الى ما قصدنا منه فهذه اسباب الغضب
والامراض الحادثة منها وقد ذكرنا علاجاتها وحذرنا من اسبابها
والوقوع فيها ومن عرف العوارض وعلم بها كما كتبناه فيما تقدم سهل
عليه علاج هذه الامراض لانه جور وخروج عن الاعتدال ولذلك لا ينبغي
ان يسمى باسم المدح واعني بذلك ان قوما يسمون هذا النوع من الجود

متداوله

وغيرهم

اعني الغضب في غير موضعه رجولية وشدة شكيمة ويذهبون به مذهب الشجاعة
التي هي الفضيلة ويسمونه باسم مدح وشتان بين المذهبين فان صاحب هذا الخلق
الذي ذممناه يقصد من افعاله ذميمها ويجور فيها على نفسه ثم على اخوانه
ثم على الاقرب فالاقرب من معامليه حتى ينتهي الى عبيده وخدمه وحرمه فيكون
عليهم سوط عذاب لا يقيلهم عثرة ولا يرحم لهم عبرة وان كانوا ابرياء من الذنوب
غير مجرمين ولا مكتسبين سوءا بل يتجرم عليهم ويهيج من ادنى سبب يجد به طريقا
اليهم حتى يبسط لسانه ويده وهم لا يمتنعون منه ولا يتجاسرون على رده عن البغي بهم
بل يذعنون له ويقرون بذنوب لم يقترفوها استكفافا لبادرته وتسكينا
لغضبه وهو مع ذلك مستمر على طريقته لا يكف يدا ولا لسانا وربما تجاوز في
هذه المعاملة الناس الى البهائم التي لا تعقل والى الاواني التي لا تحس فان صاحب
هذا الخلق الردي ربما قام الى الحمار والبرذون والى الحمام والعصفور
فيتناولها بالضرب والمكروه وربما عض القفل اذا تعسر عليه وكسر
الانية التي لا يجد منها طاعة لامره وهذا النوع من ذوي الخلق مشهور في
كثير من الجهال يستعملونه في الثوب والزجاج والحديد وسائر الالات
فاما الملوك من هذه الطائفة فانهم يغضبون على الرياح اذا هبت مخالفة
لهواهم وعلى القلم اذا لم يجر على ارادتهم فيسبون ذلك ويكسرون هذا
وكان بعض من تقدم عهده من الملوك يغضب على البحر اذا تاخر في سفينة فيه

كثيره

يغضبون على الامطار والرياح وعلى التراب اذا تحرك مخالفا لمرامهم ... بكرد

اضطرابه وحركة امواجه حتى يمدده بطرح الجبال فيه وطمّهما وكان بعض
ذكر بدره السفهاء في عصرنا يغضب على القمر ويهجوه بشعر له مشهور وذلك انه كان قد ذكر
به اذا نام فيه وهذه الافعال كلها قبيحة وبعضها مع قبحه فضحكة تسرّ ابصاحبه
فكيف تمدح بالرجولية والشدة وشرف النفس وعزتها وهي بالمذمة والفضيحة
اولى منها بالمدح واحرى بالاّ تسمى عزة ولا شدة ونحن نجدها في النساء
اكثر منها في الرجال وفي المرضى الضعفاء اقوى منها في الاصحاء الاشداء
اسرع الصبيان اشد غضبا من الرجال والشيوخ اكثر ضجرا من الشبان ونجد
والشهوة رذيلة الغضب ورذيلة الشره قال الشره اذا تعذر عليه ما يشتهيه غضب
ويعامله وضجر على من يعني طعامه وشرابه من نسائه وخدمه وسائر من يلابسه ويسرع
والبخيل اذا افتقد شيئا من ماله تسرع بالغضب على اصدقائه ومخالطيه وتوجّه
بتهمته الى اهل الثقة من خدمه ومواليه وهؤلاء الطبقة لا يحصلون من اخلاقهم
الا على فقد الصديق وعدم النصح وعلى الندم السريع واللوم الوجيع
حالا لا تتم معها غبطة ولا سرور وصاحبها ابدا يجد من نفسه منغصا
متبرما بامورها وهي حال الشقي المرحوم واما الشجاع العزيز النفس
فهو الذي يقهر بحلمه غضبه ويتمكن من التمييز والنظر فيما يدهمه ولا يستفزّه
ما يورد عليه من المحركات لغضبه حتى يروّي وينظر كيف ينتقم وممن وعلى اي
قدر او كيف يصفح ويغضي عمن يغفل اي ذنب وقد حكي عن الاسكندر الملك انه
دمى والاثر

رقي اليه عن بعض اصحابه انه يعيبه وينتقصه فقال له بعض نصحائه لو ادبته
ايها الملك بعقوبة تنهكه فقال لهم وكيف يكون انهاكه بعد عقوبتي له في تطلبي
وطلبه معايبي لانه حينئذ ابسط لسانا واعذر عند الناس واتى يوما ببعض
اعدائه من المتغلبين الجائرين عليه وكان قد رفع في اطرافه عبثا كبيرا
فصفح عنه فقال بعض جلسائه لو كنت انا انت لقتلته فقال له الاسكندر
فاذا لم اكن انا انت فلست بقاتله فقد ذكرنا معظم اسباب الغضب ودللنا
على معالجتها وحسمها وهذا النوع اعظم من امراض النفس واذا تقدم
الانسان في حسم سببه الحسن تمكنه منه وكان ما يعرض له منه سهل العلاج
قريب الزوال لا مادة له تمده وتقوّيه ولا سبب يسرع به ويقويه ويجد بالروية
موضعا لاجالة النظر والفكر في فضيلة الحلم واستعمال المكافأة ان كان صوابا
او التغافل ان كان حزما والذي يتلو معالجة هذا النوع من امراض النفس
علاج الجبن معالجة الجبن الذي هو الطرف الآخر من ضدها فان الاضداد يعرف
بعضها من بعض وكما قد عرفنا الطرف الذي حددناه بحركة للنفس عنيفة
تحدث منها غليان دم القلب شهوة الانتقام فقد عرفنا اذا
مقابله اعني الطرف الآخر الذي هو سكون للنفس عندما يجب ان تتحرك فيه
وبطلان شهوة الانتقام وهذا هو سبب الجبن والجمود ويتبعه مهانة
النفس وسوء العيش وطمع طبقات الانذال وغيرهم من الاهل والولد
والاولاد

وسائر العاملين وقلة الثبات والصبر في المواطن التي يجب فيها الثبات
وهو ايضا سبب الكسل ومحبة الراحة اللذين هما سبب كل رذيلة وشر
لواحقه الاستخذاء لكل احد والرضا لكل مذلة وضيم والدخول
تحت كل فضيحة وفاحشة من الشتم والقذف واحتمال كل ظلم — في النفس والاهل والمال وسماع كل قبيح صح
من كل معامل وقلة الانفة مما يانف منه الناس الاحرار وعلاج هذه
الاسباب واللواحق يكون باضدادها وذلك بان نوقظ النفس التي بها هذا المرض
هذا المرض بالهز والتحريك فان الانسان لا يخلو من القوة الغضبية
راسا حتى تجلب اليه من مكان آخر لكنها تكون ناقصة عن الواجب فهي بمنزلة
النار الخامدة التي فيها بقية لقبول الروح والنفخ فهي تتحرك لا محالة اذا — الروح
حركتها بملائمها وبعثت ما في طبيعتها من التوقد والتلهب وقد حكي عن
بعض المتفلسفين انه كان يتعمد مواطن الخوف فيقف فيها ويحمل نفسه
على المخاطرات العظيمة بالتعرض لها ويركب البحر عند اضطرابه وهيجانه — حضور صح
ليعود نفسه الثبات في المخاوف ويحرك منها القوة التي تسكن عند الحاجة الى
حركتها ويخرجها عن رذيلة الكسل ولواحقه ولا يكره لصاحب مثل هذا المرض
بعض المراء والتعرض للملاحاة وخصومة من يامن غائلته حتى يتعرض الفضيلة
التي هي وسط بين الرذيلتين اعني الشجاعة التي هي صحة النفس فاذا
وجدها واحس بها من نفسه كف ووقف ولم يتجاوزها حذرا من الوقوع

علاج الخوف

في المجانبة لآخر الذي علينا علاجه ولما كان الخوف الشديد في غير موضعه من
امراض النفس وكان متصلا بهذه القوة وجب ان نذكره ونذكر اسبابه وعلاجه فنقول
ان الخوف انما يعرض من توقع مكروه وانتظار محذور والتوقع والانتظار انما يكونان
للحوادث في الزمان المستقبل وهذه الحوادث ربما كانت عظيمة وربما كانت
يسيرة وربما كانت ضرورية وربما كانت ممكنة والامور الممكنة ربما كنا نحن اسبابها
وربما كان غيرنا سببها وجميع هذه الاقسام ليس ينبغي للعاقل ان يخاف منها
اما الامور الممكنة فهي بالجملة مترجحة بين ان تكون وبين ان لا تكون وليس يجب ان
يجزم على انها تكون فيستشعر الخوف منها ويتعجل مكروه الغم بها وهي بعد لم تقع — يكون صح
ولعلها لا تقع وقد احسن الذي يقول وقل للفؤاد ان نزا بك نزوة من الروع
افرخ اكثر الروع باطله فهذه حال ما كان منها عن سبب خارج وقد
اعلمناك انها ليست من الواجبات التي لا بد من وقوعها وما كان كذلك فالخوف
من مكروهه يجب ان يكون على قدر حده ووقته وانما يحسن العيش ويطيب
بالظن الحسن والامل القوي وترك الفكر في كل ما يمكن ان لا يقع من المكاره واما
ما كان سببه سوء اختيارنا وجنايتنا على انفسنا فينبغي ان نحترز منه
الذنوب والجنايات التي تخاف عواقبها ولا نقدم على امر لا نامن غائلته فان
هذا يفعل من يرى الممكن يجوز ان يكون ويجوز ان لا يكون وذلك انه اذا اتى — هو الاكثر صح
ذنبا او جنى جناية فقد دل بفعله انه يخفى فلا يظهر او لا يخفى ويظهر الا انه متجاوز عنه

او لا يكون له غاية فكانه جعل طبيعة الممكن واجبا كما ان صاحب التنسيم او جعل
ايضا الممتنع واجبا الا ان هذا يأمن الجانب الجحود خاصة وذلك على المأمول
خاصة واعني بهذا ان الممكن لما كان متوسطا بين الجانبين الواجب والجانب الممتنع صار
كالشيء الذي له جنبتان احدهما الى الواجب والاخر الى الممتنع ومثال ذلك خط
ا ج ب فنقطة ا هي الجانب الواجب ونقطة ب هي الجانب الممتنع وموضع
ج هو الممكن فجعله من اعتاد بنفسه واحد فله الى نقطة ا جهة وله الى نقطة
ب جهة فاذا صار مستقبلا لاحديهما بطل اسم الممكن عنه وحصل اما في جانب
الواجب واما في جانب الممتنع وليس ينبغي ما دام ممكنا ان يحسب الى هذا
الجانب ولا من ذلك الجانب بل يعتقد فيه طبعه الخاص به وهو انه ممكن ان
يصير الى ههنا والى هناك واحدا فالحكم في وجوه الامور الممكنة اعتقادها
واما الامور الضرورية كالهرم وتوابعه فان علاج الخوف ان يعلم ان الانسان لا بد
اذا احتاط للحيوة فقد احب لا محالة الهرم واستشعر استشعار ما لا بد
منه ومع الهرم تحدث نقصان الحرارة الغريزية والرطوبة الاصلية التابعة لها
وغلبة ضديهما من البرد واليبس وضعف الاعضاء الاصلية كلها ونقص ذلك قلة الحركة
وبطلان النشاط وضعف آلات الهضم وسقوط الاسنان ونقصان القوى المولدة
للغذاء على القوى الجاذبة والدافعة والممسكة والهاضمة وسائر ما يتبعها
من مواد الحيوة وليست الامراض والآلام بشاغرة لها انساتم ثم ينبع ذلك

ا ب ا ج ب
جب ٤
فسه جهه ٤
ولعل ان العاقل

٩٨

١ الكلام على الخوف من الموت

العاجز وفقد الاخوة والمستبشرين بها الملتزم لشرايطها في سبيل اكرام الغانات
منها بل نسطرها او موجوداتها عن آلة وترغب اليه لعله عند الصلوات وفي
المساجد والمشاهد فهذه جملة الكلام على الخوف المطلق ولما كان اعظم
ما يلحق الانسان منه هو الخوف من الموت وكان هذا الخوف عاما وهو مع عمومه
اشد واطم من جميع المخاوف وجب ان نقدم الكلام فيه خاصة فنقول ان الخوف من
الموت ليس يعرض الا لمن لا يدري ما الموت على الحقيقة او لا يعلم الى اين نفسه
او لانه يظن ان بدنه اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحل ذاته وبطل نفسه بطلان
عدم ودثور وان العالم سيبقى بعده موجودا وليس هو بموجود فيه كما يظنه
من جهل بقاء النفس وكيفية المعاد او لانه يظن ان للموت الما عظيما غير الم
الامراض التي ربما تقدمته وادت اليه وكانت سبب حلوله او يعتقد عقوبة تحل به بعد
الموت او لانه متحير لا يدري على اي شيء يقدم بعد الموت او لانه يأسف على
ما يخلفه من المال والقنيات وهذه كلها ظنون باطلة لا حقيقة لها اما من جهل
الموت ولم يدر ما هو فانا نبين له ان الموت ليس شيئا اكثر من ترك النفس
استعمال آلاتها وهي الاعضاء كلها التي تسمى بدنا كما يترك الصانع استعمال الآلة
وان النفس جوهر غير جسماني وليست عرضا وانها غير قابلة للفساد وهذا البيان
يحتاج الى علوم تتقدمه وهو مبين مشروح على الاستقصاء في موضعه
اللائق به ومن يطلع عليه وتشوق الوقوف عليه بعد مراتبه ومن قنع
مراتبه

له معا ٤
ينتوي ٥
تصيره
اسباب ٤

بما ذكرناه في صدر هذا الكتاب ويكشف لنفسه الشبهة ليعلم أن ذلك الجوهر مفارق للجوهر
البدني مباين له كل المباينة بذاته وخواصه وأفعاله وآثاره وإذا فارق البدن
كما قلنا وعلى الشريطة التي شرطنا بقي البقاء الذي يخصه ونقي من كدر الطبيعة وسعد
السعادة التامة ولا سبيل إلى فنائه وعدمه فإن الجوهر لا يفنى من حيث هو
جوهر ولا تبطل ذاته وإنما تبطل الأعراض والخواص والنسب والإضافات التي بينه وبين
الأجسام بأضدادها فأما الجوهر فلا ضد له وكل شيء يفسد فإنما فساده من
ضده ومتى أمكنك أن تقف على ذلك بسهولة من أوائل المنطق تبين أن تقبل إلى
براهينه وإن أنت تأملت الجوهر الجسماني الذي هو أخس مرتبة من ذلك الجوهر الكريم
واستقريت حاله وجدته غير فانٍ ولا متلاشٍ من حيث هو جوهر وإنما يستحيل
بعضه إلى بعض فتبطل خواص شيء منه وأعراضه فأما الجوهر بعينه فهو باقٍ لا يستحيل
إلى عدمه وبطلانه مثال ذلك الماء فإنه يستحيل بخاراً أو هواءً وكذلك الهواء يستحيل
ماءً أو ناراً فيبطل من الجوهر أعراضه وخواصه فأما الجوهر من حيث هو
جوهر فإنه باقٍ لا سبيل إلى عدمه وهذا هو في الجوهر الجسماني القابل للاستحالة
والتغير فأما الجوهر الروحاني الذي لا يقبل استحالة ولا تغيراً في ذاته وإنما
يقبل كمالاته وتمام صورته فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشي وأما من
يخاف الموت لأنه لا يعلم إلى أين تصير نفسه أو لأنه يظن أن بدنه إذا انحل وبطل
تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه وجهل بقاء النفس وكيفية المعاد فليس يخاف

99

في الجهل المخوف

الموت على الحقيقة وإنما يجهل ما ينبغي أن يعلمه فالجهل إذن هو المخوف إذ هو سبب
الخوف وهذا الجهل هو الذي حمل الحكماء على طلب العلم والتعب فيه وتركوا لأجله
لذات الجسم وراحات البدن واختاروا عليها النصب والسهر ورأوا أن الراحة
التي يستراح بها من الجهل هي الراحة الحقيقية وأن التعب الحقيقي هو تعب
الجهل لأنه مرض مزمن للنفس والبرء منه خلاص لها وراحة سرمدية ولذة أبدية
فلما تيقن الحكماء هذا واستبصروا فيه وهجموا على حقيقته ووصلوا إلى
الروح والراحة به هانت عليهم أمور الدنيا كلها واستحقروا جميع ما تستعظمه
الجمهور من المال والثروة واللذات الحسية والمطالب التي تؤدي إليها إذا كانت
قليلة الثبات والبقاء سريعة الزوال والفناء كثيرة الهموم إذا وجدت عظيمة
الغموم إذا فقدت فاقتصروا منها على مقدار الضرورة في الحياة وتسلوا
عن فضول العيش التي فيها ما ذكرت من العيوب وما لم أذكره ولأنها
مع ذلك لا نهاية لها وذلك أن الإنسان إذا بلغ منها الغاية تاقت نفسه إلى غاية
أخرى من غير وقوف على حد ولا انتهاء إلى أمد وهذا هو الموت لا ما خاف
منه والحرص عليه هو الحرص الزائل والشغل به هو الشغل بالباطل ولذلك
قالت الحكماء الموت موتان موت إرادي وموت طبيعي وكذلك الحياة حياتان
حياة إرادية وحياة طبيعية وعنوا بالموت الإرادي إماتة الشهوات
وترك التعرض لها وعنوا بالموت الطبيعي مفارقة النفس البدن وعنوا

فالحيوة الارادية ما يسعى له الانسان في حيوته الدنيا من الماكل والمشارب
والشهوات والحيوة الطبيعية بقا النفس السرمدي في الغبطة الابدية بما
تستفيده من العلوم وتبرا به من الجهل ولذلك وصى افلاطن طالب الحكمة بان قال
مت بالارادة تحي بالطبيعة على ان من خاف الموت الطبيعي للانسان فقد خاف
ما ينبغي ان يرجوه وذلك ان هذا الموت هو تمام حد الانسان لانه حي ناطق
مايت فالموت تمامه وكماله وبه يصير الى افقه الاعلى ومن علم ان كل شي
مركب من حده وحده مركب من جنسه وفصوله وان جنس الانسان هو الحي وفصله
هو الناطق المايت علم انه سينحل الى جنسه وفصوله لان كل مركب لا محالة ينحل
الى الشي الذي منه تركب فمن اجهل ممن يخاف تمام ذاته ومن اسوا حالا ممن يظن
ان فناه بحيوته ونقصانه بتمامه وذلك ان الناقص اذا خاف ان يتم فقد دل
من نفسه على غاية الجهل فاذن يجب على العاقل ان يستوحش من النقصان
ويانس بالتمام ويطلب كل ما يتممه ويكمله ويزيد في شرفه وعلو منزلته ويحل رباطه
من الوجه الذي يامن معه الوقوع في الاسر لا من الوجه الذي يشده ويزيد في وثاقه
تركيبا وتعقيدا ويثق بان الجوهر الشريف الالهي اذا تخلص من الجوهر
الكثيف الجسماني خلاص نقا وصفا لا خلاص مزاج وكدر فقد سعد
وعاد الى ملكوته وقرب من باريه وفاز بجوار رب العالمين وخالط الارواح الطيبة
من اشكاله واشباهه ونجا من اضداده واضداده ومن ههنا نعلم

واغياره

ان من فارقت نفسه بدنه وهي مشتاقة اليه مشفقة عليه خايفة من فراقه فهو في
غاية الشقا والبعد من ذاته وجوهرها سالكة الى ابعد جهاتها من مستقرها طالبة قرار
ما لا قرار له واما من ظن ان للموت الما عظيما غير الم الامراض التي ربما تقدمته وادت اليه
فعلاجه ان يتبين له ان هذا ظن كاذب لان الالم انما يكون للحي والحي هو القابل اثر النفس فاما الجسم الذي
ليس فيه اثر النفس فانه لا يالم ولا يحس فاذن الموت الذي هو مفارقة النفس البدن
لا الم له لان البدن انما كان يالم ويحس باثر النفس وحصول اثرها فيه فاذا صار لا اثر
للنفس فيه فلا حس له ولا الم وقد تبين ان الموت حال للبدن غير محسوس عنده ولا
مولم لانه فقد ما كان يحس ويالم به واما من خاف الموت لاجل العقاب الذي يوعد به بعده
فينبغي ان يتبين له انه ليس يخاف الموت بل يخاف العقاب والعقاب انما يكون على شي
باق بعد البدن الداير ومن اعترف بشي باق منه بعد البدن فهو لا محالة معترف
بذنوب له وافعال سيئة يستحق عليها العقاب وهو مع ذلك معترف بحاكم عدل
يعاقب على السيئات لا على الحسنات فهو اذن خايف من ذنوبه لا من الموت
ومن خاف عقوبة على ذنب فالواجب عليه ان يحذر ذلك الذنب ويجتنبه وقد بينا
فيما تقدم ان الافعال الرديئة التي هي ذنوب انما تصدر عن هيئات رديئة والهيئات
الرديئة هي للنفس وهي الرذايل التي احصيناها وعرفناك اضدادها من الفضائل
فاذن الخايف من الموت على هذه الطريقة ومن هذه الجهة جاهل بما ينبغي
ان يخاف منه وخايف مما لا اثر له ولا خوف منه وعلاج الجهل هو العلم ومن علم

[illegible]

فقد وفوه من فوق فقد عرف سبيل السعادة ومن عرف سبيل السعادة
فهو يسلكها لا محالة ومن سلك طريقا مستقيما الى غرض صحيح افضى اليه لا محالة و
الشك فيكون العلم اليقين في حال المستبصر في دينه المتمسك بحكمته وقد عرفناك
مرتبته ومقامه فيما سلف من القول فاما من زعم انه ليس يخاف الموت وانما يحزن
على من يخلفه من اهل وولد ومال ونشب ويأسف على ما يفوته من ملاذ الدنيا
وشهواتها فينبغي ان نبين له ان الحزن تعجل الم ومكروه على ما لا يجدي الحزن عليه طائلا
وسنذكر علاج الحزن فيما بعد لانا في هذا الباب انما نذكر الم الخوف وعلاجه
وقد بينا منه على ما فيه مقنع وكفاية الا انا نزيده بيانا ووضوحا فنقول ان
الانسان من جملة الامور الكائنة وقد تبين في الآرا الفلسفية ان كل كاين فاسد
لا محالة فمن احب ان لا يفسد فقد احب ان لا يكون ومن احب ان لا يكون فقد احب
فساد نفسه فكانه احب ان يفسد واحب ان لا يفسد واحب ان يكون واحب ان لا يكون وهذا
محال لا يخطر ببال عاقل وايضا فانه لو لم يمت اسلافنا واباؤنا لم ينته
الوجود الينا ولو جاز ان يبقى الانسان لبقي من تقدمنا عليهم ولو بقي الناس على ما هم
من التناسل ولم يموتوا لما وسعتهم الارض وانت تتبين ذلك مما اقول هذا الآن تطلا
واحدا فيمن كان منذ اربعمائة سنة هو موجود الآن فليكن من مشاهير الناس حتى
يمكن ان يحصل اولاده موجودين معه ويكن كعلي بن ابي طالب رضي الله عنه مثلا ثم ولد له
اولاد ولاولاده اولاد وبقوا كلهم احياء لم يمت منهم احد كم كان يكون مقدار

من يجتمع منهم في وقتنا هذا فانك ستجدهم اكثر من عشرة آلاف الف رجل وذلك
انه ابقيتهم الآن مع ما قدر فيهم من الموت والقتل الذريع اكثر من خمسين الف
انسان في جميع الارض واحسب لكل من كان في ذلك العصر من الناس في بسيط الارض
ترتيبا وعددا مثل عدد الحساب فانهم اذا اضاعفوا هذا التضاعيف لم
تحصهم عدد ثم امسح بسيط الارض فانه محدود معروف المساحة لتعلم
ان الارض حينئذ لا تسعهم قياما منتصبين فكيف قعودا ومضطجعين ولا يبقى
موضع يفضل عنهم ولا مكان زراعة ولا مسير لحيوان ولا حركة فضلا عن غيرها
وهذا في مدة يسيرة من الزمان فكيف اذا امتد الزمان وتضاعف الناس
على هذه النسبة فهذه حال من يتمنى الحياة الابدية ويكره الموت ويظن ان ذلك
ممكن او مطموع فيه من الجهال والاغبياء فاذن الحكمة والعدل المبسوط بالتدبير
الالهي هو الصواب الذي لا معدل عنه ولا محيص منه وهو غاية الجود الذي
لا غاية اخرى لطالب بعده ولا مزيد عليه والخائف منه هو الخائف
من عدل الباري وحكمته بل هو الخائف من جوده وعطائه فقد ظهر ظهورا
بينا ان الموت ليس بردي كما يظنه جمهور الناس وانما الردي هو الخوف منه
وان الذي يخاف منه هو الجاهل به وبذاته وقد كان ظهر ايضا فيما تقدم من قولنا
ان حقيقة الموت هو مفارقة النفس لبدنه وهذه المفارقة ليست فسادا للنفس وانما
هو فساد المركب فاما جوهر النفس الذي هو ذات الانسان ولبه وخلاصته

بحالهم ١٠١

فهو باق غير مستحيل فلا يلزمه ما لزم الاجسام مما اوردناه قبل ولا

يلزمه شي من اعراض الاجسام اعني عالمه الشريف القريب الى بارئه ومبدعه

وهذا الكلام الذي يستفيده بهذا العالم الحسي قد بيناه وعرفنا الطريق

اليه فيما سلف من هذا الكتاب وان السعادة القصوى للانسان انما تنال

الذين هم الاشقى الاقصى لهم وبينا مع ذلك مراتب السعادة ومنازل الابرار

ودرجاتهم من رضوان الله وجنته التي هي دار القرار كما بينا ذلك مراتب اضدادهم

من سخطه ودركاتهم من النار التي هي الهاوية ودار البوار ونسال الله حسن التوفيق لما

علاج الحزن

يقربنا منه ويبعدنا من سخطه انه جواد كريم رؤوف رحيم

الحزن الم نفساني يعرض لفقد محبوب او فوت مطلوب وسببه الحرص على القنيات

الجسمانية والشره الى الشهوات البدنية والحسرة على ما يفقده او يفوته منها

وانما يحزن ويجزع على فقد محبوباته وفوت مطلوباته من ظن ان ما يحصل له من

محبوبات الدنيا يجوز ان يبقى ويثبت عنده وان جميع ما يطلبه سيحصل له مفقودا انا

لا يمكن يحصل له ويصير في ملكه فاذا انصف نفسه وعلم ان جميع ما في عالم

الكون والفساد غير ثابت ولا باق وانما الثابت الباقي هو ما يكون في

عالم العقل لم يطمع في المحال ولم يطلبه واذا لم يطمع فيه لم يحزن لفقد ما يهواه

ولا لفوات ما يتمناه في هذا العالم وصرف همته الى المطلوبات الصافية وانتصر

بهمته على طلب المحبوبات الباقية واعرض عما ليس في طبعه ان يثبت ويبقى فاذا حصل.

مماا

مفقود ابدا

لمن يأتي شيئا بادرا الى وضعه في موضعه واخذه منها نفدا الحاجة الى دفع الالام

التي اصابنا منها من الجوع والعري والبرد وبان الى ما يشبهها وفوق الا دجاد

والاستكثار والتنافس المباهاة والافتخار ولم يحدث نفسه بالمكاثرة

بها والتمني لها فاذا فاز وقطع باب سخطها وامان بها فان من فعل ذلك امن

فلم يجزع وفرح فلم يحزن وسعد فلم يشق ومن لم يقبل هذه الوصية ولم يعالج

نفسه بهذا العلاج لم يزل في جزع دائم وحزن غير منقضي وذلك انه لا يعدم

في كل حال فوت مطلوب او فقد محبوب وهذا لازم لعالمنا هذا لانه عالم

الكون والفساد ومن طمع من الكائن في الفساد فان الكون لا يفسد فقد طمع

في المحال ومن طمع في المحال لم يزل خائبا والخائب ابدا محزون والمحزون شقي

ومن استشعر بالعادة الجميلة ان يرضى بكل ما يجده ولا يحزن لشي يفوته لم يزل

مسرورا سعيدا فان ظن ظان ان هذا الاستشعار لا يتم او لا ينتفع به فلينظر

الى استشعارات الناس في مطالبهم ومعايشهم واختلافهم فيها بحسب

الاستشعارات فانه سيرى تبينها ظاهرا من فرح المتعيشين بما يتيسر لهم على

تفاوتها وسرور اصحاب الحرف المختلفة بمذاهبهم على تباينها ولننصح

ذلك في طبقة طبقة من طبقات الدنيا فانه لا يخفى عليه فرح التاجر بتجارته

والجندي بشجاعته والمقامر بقماره والشاطر بشطارته والمخنث بتخنثه

والمجنون حتى يظن كل واحد منهم ان المغبون من عدم تلك الحالة حتى فقد بهجتها

بوجوده

الدنيا

كل واحد

المحروم

من غنى عنها حتى حرم لذتها وليس ذلك الا لقوم استشعار كل طايفة
بحسن مذهبه ولزومه اياه بالعادة الطويلة فاذا الزم طالب الفضيلة
مذهبه وقوي استحسانه وحسن ايه وطالت عادته كان اولى بالسرور من
هذه الطبقات الذين يغلطون في حالاتهم وكان احظاهم بالنعيم المقيم لانه
محق وهم مبطلون وهو متيقن وهم ظانون وهو صحيح وهم مرضى
وهو سعيد وهم اشقيا وهو ولي الله وهم اعداه وقد قال الله الا ان
اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال الكندي في كتاب دفع الاحزان
ثم ابتدى كلامه واوضح ان الحزن شي يجلبه الانسان بضعف وضعاوة ليس هو
من اشيا الطبيعة ان من فقد ملكا او طلب امرا فلم يجده ولحقه حزن
ثم نظر في حزنه ذلك نظرا حكميا وعرف اسباب حزنه هي اسباب غير ضرورية
وان كثيرا من الناس ليس لهم ذلك وهم غير محزونين مغتبطين علم لا محالة
ان الحزن ليس بضروري ولا طبيعي وان من يحزن من الناس ويجلب لنفسه هذا
العارض فهو لا محالة سيسلو ويعود الى الحالة الطبيعية فقد شاهدنا
قوما فقدوا من الاولاد والاعزة والاصدقا والاحبة ما اشتد حزنهم
عليهم ثم لم يلبثوا ان يعودوا الى حال السرور والضحك والغبطة ويصيروا
الى حال من لم يحزن قط وكذلك حال من يفقد المال والضياع وجميع ما
يقتنيه الانسان مما يعز عليه ويحزن فانه لا بد ان يتسلى ويرد الى [illegible]

واعساكره فالعاقل اذا نظر الى احوال الناس في الحزن واسبابه علم ان من يحزن
بنيهم بحسبه ولا تمنعهم عنه بعد ان غايته من مصيبته السلو وان الحزن
هو مرض عارض يجري مجرى سائر الردائات فلم يصبه لنفسه عارضا رديا
ولم يكتسب مرضا وضعفا اعني يجتلبا عن طوعه وينبغي ان يتذكر ما قدمنا
ذكره من حال من يجتنبا بتحفظه على ان يشتمها ويمتنع بها ثم يردها
عنه ويتمتع بها سواه فاطمع نفسه فيها وظن انها موهوبة له
فلما اخذت منه حزن واسف وغضب فان هذه حال من عدم عقله من طمع
لا مطمع فيه وهذه حال الحسود لانه يحب ان يستبد بالخيرات من غير مشاركة
الناس والحسد اقبح الامراض واشنع الشرور ولذلك قال الحكما من احب
ان ينال اعداه الشر فهو محب للشر [illegible] وشر من هذا من احب الشر لمن ليس
بعدو واسوا حالا من هذا من احب ان لا ينال الصديق خيرا من احب الخير
صديقه [illegible] فهو صاحب الشر [illegible] الرداة [illegible] الحزن على ما فاتنا وله
من احزان [illegible] على ما يصلون اليه منها سوا كانت هذه الخيرات من
قنياتنا وما ملكناه او مما لم نقتنه ولم نملكه لان الجميع مشترك للناس وودايع
الله [illegible] عند خلقه وله ان [illegible] العارية متى شا على يد من شا ولا شبهة
علينا ولا عار اذا ردها [illegible] وداع الله [illegible] وانما العار والشبهة ان نحزن
اذا ارتجعت منا ونحن [illegible] كفرا للنعمة لا ان اقل ما يجب من الشكر للمنعم ان نرد

علة عاريته على طيب نفس يسرع الى اجابته اذا استردها لا سيما اذا
ترك المعير علينا افضل ما اعارنا وارتجع اخسه وقال داعيا الافضل الاجل
اللذيذ المرئي الذي لا يشركنا فيه احد وهي النفس والعقل والفضائل الموهوبة
لنا هبة لا تسترد ولا ترتجع ونقول انه ان كان ارتجع الاقل الاخس ما اقتضاه
العقل فقد ابقى لنا الاكثر الافضل وانه لو كان واجبا ان نحزن على كل ما نفقده
لوجب ان نكون ابدا محزونين فينبغي للعاقل الا يفكر في الاشياء الضارة
المؤلمة بل يفعل الغبطة ما استطاع اذ كان فقدها سبب الاحزان وقد ذكر
عن سقراط انه سئل عن سبب قلة حزنه فقال لاني لا اقتني ما اذا
فقدته حزنت عليه واذ قد ذكرنا اجناس الامراض العالية التي تخص النفس
واشرنا الى علاجاتها ودللنا على اشفيتها فليس يتعذر على العاقل
لنفسه الساعي لها بما يخلصها من آلامها ويخصها من ضارها ان يعالج
الامراض التي تحت هذه الاجناس من انواعها واشخاصها فيداوي نفسه
منها ويعالجها بمقابلاتها من العلاجات والرغبة الى الله بعد ذكر التوفيق
فان التوفيق مقرون بالاجتهاد وليس فيهما احدهما الا بالآخر

تم كتاب الطبيب في تهذيب النفس ودفع الاحزان
في عشر الاواخر من رمضان المبارك سنة اربع وثمانين وسبعمائة
على يدي اضعف خلق الله عوض بن ... غفر الله لصاحبه ولكاتبه
ولجميع المؤمنين والمسلمين ...

العدد
ادحد
سعا الادوار

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال المعلم الثاني ابو نصر الفارابي رضي الله عنه في الموعظة كل واحد من الناس متى
رجع الى نفسه فتامل احواله واحوال غيره من ابناء جنسه وجد نفسه
في رتبة يشركه فيها طائفة منهم ووجد فوق رتبته طائفة هم اعلى منه منزلة
بجهة او جهات ووجد دونها طائفة هم اوضع منه بجهة او جهات لان الملك
الاعظم وان وجد نفسه في محل لا يرى احدا في زمانه منزلة اعلى من منزلته
فانه اذا تامل حاله فربما وجد فيهم من يفضل عليه بنوع من الفضيلة اذ
ليس في اجزاء العالم ما هو كامل من جميع الجهات وكذلك الوضيع الخامل
الذكر يجد من هو دونه بنوع من الصفة فقد صح ما وصفناه وينبغي
للمرء في السياسات مع هؤلاء الطبقات الثلث اما مع الارفعين فلينال
من نفعهم واما مع الاكفاء فليستفضل عليهم واما مع الاوضعين فليحظ بالاحسان
اليهم ونقول ايضا ان انفع الطرق التي يسلكها المرء في اجتلاب علم
السياسة وغيرها من العلوم اذ هو الطريق الاعز هو ان يتامل احوال
الناس واعمالهم ومتصرفاتهم ما شاهده وما غاب عنه مما سمعه وتناهى
اليه منها وان يمعن النظر فيها ويميز بين محاسنها ومساويها وبين النافع
والضار لهم منها ثم ليجتهد في التمسك بمحاسنها لينال من منافعها
مثل ما نالهم وفي التحرز من مساويها ليامن من مضارها ويسلم من غوائلها

مثلا سليما ونقول ايضا ان لكل شخص من اشخاص الناس قوتين احديهما عاقلة
والاخرى بهيمية ولكل واحدة منهما اراده واختيار وهو كالواقف بينهما ولكل
واحدة منهما نزاع غالب فنزاع القوة البهيمية نحو مصادفة اللذات العاجلة
الشهوانية مثل انواع الغذا وانواع الاستفراغات وانواع الاستراحات
ونزاع القوة النطقية نحو العواقب المحموده مثل انواع العلوم وانواع الامور
الافعال التي تودي الى العواقب الفاضلة السليمة واري ما يميز الانسان يكون واول
في جميع البهائم الى ان تولد فيه العقل اولا وتقوى فيه هذه القوة فالقوة
البهيمية اذا غلبت عليه وكلما كان اقوى واغلب كانت الحاجة الى توهينه واخماده
واخذ الاهبة والاستعداد له اشد فواجب على كل من يروم تحصيل الفضيلة ان لا
يتغافل عن تفقد نفسه في كل وقت وتعريضها على ما هو اصلح له وان لا
يهملها ساعة واحدة فانه متى اهملها ومتى جنبه والحى يتحول لم يكن لها يدرك
ان تحرك نحو الطرف الذي هو بهيمي واذا تحركت نحو التشبث ببعض اذا
اراد ردها عما تحركت نحوه لحقه من التعب اضعاف ما كان يلحقه لو لم
يهملها ويغفل وقته الذي كان ينبغي ان يحصل فيه فضيلة لاشتغاله بالاحتيال
لردها عما تحركت نحوه وفاته عنه تحصيل الفضيلة ونقول ايضا ان الامر الاعلى في
جميع سيرته فانه متى ان يلقى امرا محمودا او مذموما وله في كل واحد من الامرين
فايدة ان استفادها وتجد في كل واحد منهما ما يجذبه الى النقص والتصادف

في كل واحد منهما موضع رياضة لنفسه وهو انه متى يلقاه امر محمود ويحتال
للتمسك به او تشبه المتمسكين به فقد طافه ان اعونه ذلك او عسر ذلك الامر
عند نفسه ومنعها على قصلة ويوجب عليها التمسك به متى وجد الموضع
كذلك وهو لا يشك في اجل السبيل الا احد هذه السبل الثلثة اذا المعاه الامر المذموم
فليجتهد في التحرز منه والتباعد عنه وان لم يجد الى ذلك سبيلا وهو واقع فيه
فليبالغ في تقبيحه عن نفسه وتفقد ما امكنه فان لم يمكنه التبري منه فليعزم
على نفسه انه اذا تيسر له الخلاص منه لا يعود الى اسبابه ويتبع الى نفسه دواعي
ذلك الامر ويلينها على الاعتياد من تلك الامور مضا ومثلها فقد ظهر ان المرتاض في
في جميع احواله دنياها وجلها خيرها وشرها موضع الرياضة لنفسه ونقول
ايضا ان اول ما ينبغي ان يبتدي به هو ان نعلم ونعتقد ان لهذا العالم واجزائه
صانعا بان نتامل الموجودات هل لكل واحد منها سبب وعلة ام لا فانه يجد
عند الاستقراء لكل واحد منها سببا وعلة عنه وجد ثم ينظر الى تلك الاسباب
هل لها اسباب ايضا ام ليست لها اسباب فانه يجد لها ايضا اسبابا ثم تامل
وينظر هل الاسباب ذاهبة الى ما لا نهاية له ام هي واقفة عند نهاية ام
بعض الموجودات اسباب البعض على سبيل الدور فانه يجد القول بانها
ذاهبة الى غير نهاية محالا ويجد القول بان بعضها سبب للبعض على التعاقب
محالا ايضا لانه يلزم من ذلك ان يكون الشي سببا لنفسه كما انه لو كان ا سببا

له وبه سببا له وهو سببا لما كان آ سببا لنفسه وهو محال
فبقي ان يكون الاسباب متناهية واقل ما تنتهي اليه الكثرة هو الواحد
فسبب الاسباب موجود وهو واحد ولا يجوز ان يكون في ذات السبب وذات
المسبب واحد فسبب اسباب العالم منفرد بذاته عما دونه ولما لم يقدر
الانسان على معرفة سوى ما شاهده بحواسه او فهمه بعقله مما شاهده
لم يجد بدا من وصف الباري الذي هو سبب الاسباب في العبارة عنه بما وجد
السبيل اليه من الالفاظ والاوصاف فلما اراد العبارة والوصف له
وعلم انه المحيط بشيء من جميع الاوصاف التي شاهدها وعلمها لتفرده بذاته
ولانه منزه عن كل ما احسه وعرفه لم يجد طريقا احسن في الموجودات
التي لديه فاذا تاملها وجدها صنفين فاضل وخسيس ووجد الخلق سبب
الاسباب وموجدها الواحد الحق ان يطلق عليه من كل صنفين افضلها
مثل انه اذا راى الموجود والمعدوم وعلم ان الموجود افضلهما
[illegible]
فاطلق القول عليه وقال انه حي وراى العليم وغير العليم فاضاف اليه
العليم وكذلك جميع الاوصاف وعلى هذا الواجب على كل صنف من الناس
اذا اراد ان يصف الباري بصفة ان يخطر بباله تلك الصفة انه منزه عن
ان يشبه تلك الصفة بل هو افضل وانزه واعلى لانه سبب وجود كل صفة

موصوف وانه لا يمكن احد احاطة العلم به كما هو وكما يستحق اذا علم هذا الذي
وصفناه فينبغي له ان يتامل اجزاء العالم كلها فانه يجد افضلها ما هو ذو نفس ويجد
افضل ذوي الانفس الذي له الاختيار والارادة والحركة التي عن روية وافضل
ذوي الارادة والحركة عن الروية الذي له النظر البليغ في العواقب وهو الانسان
الفاضل وان يعلم مع ذلك ان الطبيعة لا تفعل شيئا باطلا وكيف تبدع الطبيعة والباري بعد
حيث وهب الاختيار والروية والفكر للروية لم يكن ينبغي ان يهمل امرها وكان من
الواجب في عدله وصنعه المتقن ان ينهج لها منهجا تسلكونه ولما كان كذلك
بالواجب لم يكن ينبغي ان يرسل اليها من ليس من طبعها لانهم لم يكونوا يقدرون على
الاستفهام فهو منهم من غير طبعهم ونظامه ان في الناس في عقولهم وقوى انفسهم متفاضلا
بيانا حتى ان الواحد منهم يفرق بالفن الواحد جميع ذوي جنسه ويعجز الباقون عنه
لم يكن اذن ان يكون من الناس من يقوى على ان يدرك الحكمة بمجرده وجنسه عن مثله
حتى يقوم ذلك الواحد فيبلغ ما يلقى اليه ويقلده سلوك الطريق وذلك الا الهام
على شرائع الاحكام ونهج السبيل الواضح الى الصلاح علوم ينبغي ان يعلم انه اذا ظهر
شخص الواحد وبين امر ما الواجب على كل ذي تمييز ان يعلم ان لكل واحد من الناس
مقدارا وتمييزا ومعرفة فمتى وجد الاذهان الكثيرة والاراء المجتمعة متفقة على كلمة واحدة
ولم يجد فيما هو اظهر منه واكشف واقوى فليتبع الكثرة والاراء المتفقة من جماعة الجميع
فان اتفق معهم في السلامة جامع [illegible] الاشرف الوافقة في الذات وفي الاراء

فان كان نزعها ابا طبيلا اذا تامل تمام حسن ان يعلم ان المكافاة واجبة في الطبيعة وانها انما تجب
في الاعمال المقرونة بالنيات الدالة على ذلك ان المرء لا يجازى على ما يعمله في نومه ولا على ما ليس
بارادته واختياره مثل سعاله وعطاسه وجشوته ومرته وتنفسه ولا على اغتراره
واستغراقه وان كان فيها بعض الارادة ولا على ما يفعله على نيابة المجرده وان امكن
ان يستدل المرء به على وجوب المكافاة وانه اذا عرف ربه واعتقد ما ذكرناه من
وحدانيته وتنزيهه عن صفات المخلوقين وعرف رسوله في زمانه كان واتبع النهج
الواضح وجد في صدره سعة وفي احواله استقامة وعلى ارشاد سلامة وعند الاخيار
حظوة وفي معاشه سدادا متى ارادها يفعله وشوبه منه فاذا تيقن ذلك ينبغي له
ان يعتمد على سياسة احواله مما في نيته صادق وقصد ماض وتعقد باطن ما يأتيه
من ذلك وان يتعلق عبد بما ينبغى ان يبتدى بنفسه لدوسانه ما يستصفيه فيقول ان
الانسان لا يخلو من قوة من الدوسانية ان يكون مقصدنا عندنا ويكون حينئذ ويعتنيه
حال القناة في بعض الاوقات ان يكون نال العبد عنده المقابلة الا بالذكر فواجب على المرء
ان يستعمل من هو متصل عنده ما يقوله ويقول ان يكون بينه وبينه اتصال ملازمة
دائم لما هو بصدده ويكون مواظبا على ما فرض له ويجتهد ابدا ان يكون نصب عينيه
اذا ذكره ولا ينسى الملك وخصوصا من الملوك كان موضع الملال الا ما يكون عنده كثيرة
غشيان الناس المواضع التي ليس لهم فيها عمل وان يكون بما دخاله منقطا يجمع ما يأتيه
الرسم فيه في جل مجتهدا في تحسين كل ما يأتيه ويقوله ويقول احد ذلك الى

شي من امور العالم الاوله وجهان احدهما جميل والاخر قبيح فليطلب لكل امر من امورك
وجها جميلا يعرفه اليه فيتكلف ذكره بحضرته وغيبته فان المرء يميل الى نفسه ذكر
الرئيس مثل ان يكون زيدا او مستمرا او معلنا لا بد له من وجه اصلاح الاعمال
فليعلم ان الرئيس كالسيل المتحدر من الربوة فان اراد ان يصرفه الى ناحية المزاح حتى
اهلكته نفسه ما يعلم السيل فيغرقه فان سعى بعده ومعه جانبه بلطف يصرفه
الى الناحية التي يريدها بان يخرج في بعض جوانبه منفذا وان سدده وتطرق له مس
البالغ ولا يلبث ان يصرفه حيث شاء وينبغي ايضا ان يستعمل مع الرئيس صرف
وجه ما يريد صرفه عنه ان يجري معه فيما هو جار نحوه ولا يواجهه بامر ولا نهي
بل يرى وجه الصلاح في خلاف ما يأتيه ويشيع عنده في الوقت بعد الوقت على
سبيل الحكايات عن غيره والمثل اللطيفة بعض ما يعرض فيما هو فيه فانه اذا استعمل
معه هذا الطريق لا يلبث ان يعود الحال مراده وان يكون كالتام لا سراره والحيلة
اذ ذلك ان جميع احوال الطامع ما يعقد عليه فان من كان كاتما لاحوال الطامع
لكم الجبر انه لا يعثر منه على باطنه الا من على الشمل المكتوم ان يظهر ببعض الاحوال
الظاهر لان الامور والاحوال متصلة متعلقة بعضها ببعض وان يعلم ان الدوساء
في جميع ما يأتونه بهما ينفردون بانحسن سواهم من الناس مما انهم يعتقدون
في جميع من دونهم الاستخدام والاستعباد وفي انفسهم الاصابة في جميع ما يأتونه
علة ذلك فيهم لكثرة مدح الناس واطرائهم عمالهم وتصويبهم اراءهم وذلك في طباع

كل الناس وان يحترز كل الاحتراز من ان يحدث نفسه بعضة الرئيس بل ان يجد
ذلك مع جرم ما عليه وان كان في غاية الانبساط معه وان لا يغتر بما يحتمل الرئيس منه
ما يستفتح فيتمنى من الخروج من الادب وليس مع من يخبر الاحوال فاما اذا
اعترض منه وبين الرئيس حال لا يمكن صرف القبح الا اليه او الى الرئيس فقط
فليجتهد في صرف ذلك القبح الى نفسه وليجعل لذلك وجها فاذا اتجه القبح عليه
وتبرأت ساحة الرئيس منه او كاد ان يتجه فليحتمل ان يطلب لذلك وجها وسببا يكون
تبرئه من غير ان يلحق الرئيس الائمة عليه وان كان بالقصد الثاني لئلا يلزم الائمة وما من
شيء ابلغ واعم نفعا في باب العبودية من ترك المرء حظ نفسه في جميع ما يباشر من
الاعمال للرئيس فانه ما من امر يتعاطاه الانسان مما هنا ومن الرئيس الا ويجد
لنفسه فيه حظا فينبغي ان يتركه ويتجنبه ويتخلص مما هو حظ الرئيس فانه مهما
فعل ذلك لحقته ثمرة خيره ومهما استعمل استيفاء حظه لم يبق الامر على جهته ودنى
فيه خلل وترك الامر من الفساد وينبغي ان يتلطف كل التلطف في نيل المنافع من
جهة الرؤساء ما امكن في السؤال النافع في اسبابه مثل اطلاق اليد في الوجوه
التي تجلب الاموال والمنافع ليقل السؤال ويكثر النفع ويجتهد ان ينتفع الرئيس به
لا ان ينتفع منه لان من انتفع به اعزوه ومن انتفع منهم ملوه ويضع نفسه عندهم
في صورة من يقطع عن ملكه ويقيه لهم بما يعود كلمة او دون [illegible] ويحذر كل الحذر
من ان يتصور عندهم من ان يقتني بالامر على الاستيثار بشيء من منفعته بانه

حينئذ يصير يعرض من الاستقصاء والممنوع محروص عليه والمبتذل مملول منه
ويجتهد في ان يظهر في كل ما يفعله انه انما يفعله ليكون زينة وجمالا للرئيس لا لنفسه
فانه ملاك الابقاء وليحذر ان يتخذ لنفسه شيئا مما يتفرد به الرئيس او مما يليق بالرؤساء
الذين فوقه فان كل من يتخذ شيئا من ذلك فقد عرض نفسه للهلاك وعرض ذلك الشيء
للذهاب وينبغي الا يظهر من نفسه الاستغناء عن الرؤساء او ترفها يقل مقداره وان
يكون مظهرا ابدا قناعة ورضى بكل ما يتصرف فيه من الامور والاحوال ومتى ما احس
حفظ من الرئيس ملالا وما اشبهه فليجتهد في ترك الشكاية عنه وليجتهد في
اظهار العذر والحمد وليصرف وجه الذنب قبل الى نفسه ثم ليجتهد ويتلطف ليتجدد
ما ينبلك التحفظ بما يعون ما يعتقد عليه فحينئذ يتوالى [illegible] باستعمال ما شرحناه
الرؤساء واما التي ينبغي ان يستعمل مع الاكفاء فسنذكرها ونقول ان الاكفاء
ان الاكفاء لا يخلون من ان يكونوا اصدقاء او اعداء او ليسوا باصدقاء ولا اعداء
والاصدقاء صنفان احدهما الاصفياء المخلصون في الصداقة فينبغي للمرء ان
يديم ملاطفتهم ويتعهد اسبابهم واحوالهم ما يستحسنه وما يتيسر لهم اليهم كل وقت
ويعين الحال فيما بينه وبينهم لذلك من غير ان يظهر منه ملالا او تقصيرا ويجتهد في
الاكثار منهم فان الصديق عون المرء وعضده وعونه وناصره ومدح فضائله
وكاتم هفواته ومادح آلاته ومهما كان هو الاكثر كانت احواله بينهم احسن
والثاني والصنف الاخر من الاصدقاء في الظاهر غير صدقاء فيما يظهره بمثل

عشيه ويصنع فينبغي للمرء ان يعاملهم ويحسن اليهم ولا يطلعهم على شي من اسراره
وخصوصا من عيوبه ولا يلقي اليهم خواص احوال دينه واحواله ولا يحدثهم عن نعمه
ولا عن اسباب منافعه وليجتهد في استمالتهم والصبر معهم ومعاملتهم
الظاهره دون الخفيه بالنواطق ولا ياخذهم بالمعقره ولا يقطع عنهم فيما ينفعهم
من المعقره ولا يعاديهم على كل حال فانه بها ينقل ذكرهم حتى صلاحهم ويرجوهم الى
ارادة ولعلهم يصيرون في عداد الاصفياء وليس شي ادل على صدق الاخاء واخبار
الوفا ولا اشد استجلابا للمحبه وجود المحق من تعهد احوال الاصدقا فان المرء
اذا راى صديقه وهو يتعهد احوال الاخلاء والمتصلين به يستدل بذلك على صدق اصدقا فانه صح
محبته ويثق بوداده ويقوى في امله ورجاه عنده وافضل ما يستعمله المرء مع
اصدقايه هو ان يتعهد احوالهم عند الحاجه والفاقه ويواسيهم بما يمكنه من غير
ان يحوجهم الى المسئله ويتفقد اولادهم وعيالاتهم اذا ماتوا فانه ينمي محبتهم ويكثر
رغبتهم في صداقته كل واحد ويكثر اصدقاوه والاعدا ايضا صنفان احدهما
ذوو الاضغان والاحقاد وينبغي للمرء ان يحترس منهم كل الاحتراس ويبحث
عن احوالهم ويستطلع اخبارهم بكل ما امكنه ومما اطلع منهم على مكر او خديعة
او فتنة يبيتونه فليقابلهم بما يقتضيه تدبيرهم ويكثر الشكايه منهم الى
الروسا واقنا الناس ليعرفوا بعداوته حتى لا ينجع مكايدهم ولا ينفق عليهم
قولهم فيه وليصبروا متهمين عند الناس في اقوالهم وافعالهم بما ظهر عند الناس من عداوتهم

اياه وكل من ييس من صلاحه ويتحقق سوء طويته وتمكن الضغينه من قلبه فليتنزه عنها
والتغافل عنه ما امكنه اذا تيقن امره من اهلاكه واهلاكه ربما لا يقدر على ايثار امره
والنجاة منه فلا تشرع في شي منه لئلا يحمل العدو عليك ما تتعلق به عند الناس
ما تمهد لنفسه عندهم في عداوته عذرا والصنف الاخر من الاعدا هم الحساد
وينبغي للمرء ان يظهر لهم ما يغيظهم ويعاديهم ويلقي اليهم ذكر النعم التي يحتقر بها المرء
ليذوب بانفسهم ويحترق مع ذلك بنيران حسدهم وتمام الظهور حسدهم فيه
وان يبرز من الناس ليعرفوا ذلك فاما سائر الناس الذين ليسوا اصدقا ولا عدو
والتصنع معهم طبقات يستذكر منها وما ينبغي للمرء ان يستعمل مع كل طائفه منها
لهم النصحا الذين يتبرعون بالنصيحه فالواجب للمرء ان يتواضع للخاضع مع كل
من ادعى انه ناصح له ويسمع اقواله ويعزم على قبولها لئلا ينفر بذلك السمعه وان لا
يعجل الى قبوله ولا يعمل بكل ما ينهى اليه بل يتامل ادلتهم ويتعرف اغراضهم على حقيقته
ادلتهم واقوالهم وجه الصواب ويحتفظ لان في شي ما الغي اليه باذن
الى الفاد الا ارشده لكن يلعنه بكل منهم يشابه [illegible] عرض على ما يلقيه اليه
ومنهم الصلحا ومنهم اناس يتبرعون في صلاح ما بين الناس فيجب على المرء ان يكرمهم
[illegible] على ما يفعلونه وان يتشبه بهم في جميع احوالهم فان مذاهبهم مرضيه عند جميع
الناس ومنها يشبه المرء بهم عرف بالخير وحسن النية ويتميز من السفها فاما
السفها فيجب على المرء ان يستعمل معهم الحلم والاعراض عنهم ولا يعاملهم بما هم فيه

من السفاهة بل يلقاهم ابدا بعلم ورزانة وسكون بليغ ليعرفوا قلة مبالاته بهم فيه
ولا يؤذوه ومتى يلقوه بالشتم والسفه فيجب ان يلقاهم بالحلم وترك الكرامات
ومنهم اهل الكبر والمنافسة فيجب على المرء ان يقابلهم بمثله لانه ان تواضع لهم احسوا فيه
تضعفا وتوهموا ان فيه لينا وان تعلمهم ذلك صواب فانه لا بد للناس من التواضع
ومتى ما تكبر المتعلم عليهم وكابرهم في الاحوال فقاذوا به علموا ان الذنب في ذلك اليهم
ورجعوا الى التواضع وحسن التبيع فاما الذي ينبغي ان يستعمل المرء من دونه
من الناس فانا نصف منه ما تيسر فنقول ان منهم الضعفاء ومنهم صنفان احدهما اهل
ذوو الفاقة ومنهم صنف منهم المتعففون فينبغي ان لا تعطيهم ولا تبدأهم على
الحاجة شيا لينزجروا عنا الا اذا علم انه بهم صادق الحاجة الى الشيء الضروري
ومنهم الكاذبون فيما يدعونه من الفاقة فينبغي ان يميز منهم فان كان يعمل للتكذيب
لضرب من التدبير فليكن معاملته معهم في المواساة وسطا من غير منع ولا بذل
تام ومنهم الضعفاء الصادقون فيما يدعونه من الحاجة فيجب ان يواسيهم بغاية
ما يمكنه من غير ان يخل باحوال نفسه بالمواساة والصنف الآخر منهم المتعلمون
وذوو الحاجة الى العلم فمنهم ذوو الطباع يقصدون تعلم العلوم لتستعملوها
في الشر فينبغي للمرء ان يحملهم على تهذيب الاخلاق ولا يعلمهم شيا من العلوم التي
اذا عرفوها استعملوها في باب الا بعد ان يجتهد في كشف ما هم عليه من رداءة الطبع
ولعدد رداءتهم ومنهم البليد الذي فيه اذني ذكا ولا يرجى اعتبارهم فينبغي ان يعتني بهم

بما يعود عليهم ومنهم المتعلمون ذوو الاخلاق الطاهرة والطباع
الجيدة فيجب ان لا يدخر عنهم شيئا مما عنده من العلوم ثم انه ينبغي للمرء ان
يرجع الى تخلص احواله ويميزها ويطلع على حاله وصلاحها ويستعمل كل
حال من احواله ما يعود بصلاحها ويستقصي النظر في اسباب الدخل والوجوه
التي يمكنه استجلاب المال منها الى ملكه فيسلم في استجلابه من حيث لا يضر بشيء
مما تقدم ذكره من الاصول اعني لا يضر بدينه ولا بمروته ولا بعرضه فليس كل
وجه يكون فيه منفعة يحسن بكل احد ان يتعرض له مثال ذلك الدباغة والكناسة
والتجارات الخسيسة والقمار والوجوه التي لا يحسن بذوي المروة
ان يطلبوا المال منها فاذا تجنب هذه الوجوه واكتسب المال
من وجه محمود لم يخرجه في خسيسة اعني تقدير دخله ويجتهد
في ان يعرف السخاء والتبذير في بذل الاموال حيث ينبغي لكن بقدر ما
ينبغي وحيث ينبغي بالمقدار الذي ينبغي على سبيل الاعتدال
اللائق بحال طبقة طبقة من الناس ومن ذلك الجاه فينبغي
للمرء ان يجتهد كل الجهد في احراز الجاه فالنفس وحشمها يستقل
امران يكون احدهما زيادة في المنافع وفي الآخر زيادة
الجاه للمال ذلك الامر الذي هو يعود عليه في زيادة الجاه
والجاه الغرض يكسب المال بالضرورة او لا تقوم مقامه وليس للمال

به مما يكسب الجاه ومن انفع ما يستعمله المرء في معاشه
ان يستجلب لذاته وشهواته الى نفسه بجاهه لا بماله لكن
ما امكنه فان من استجلب اللذات بماله دون جاهه
لم يصل اليها كما يشتهيه ولا يستنب ان يتلف ماله ويصير
محذقه من الناس كان من اسفع به عدوا له ومن استجلب
اللذات بجاهه وقضا بحاجات الناس وصل اليها كما يشتهيه
وفوق ما يشتهيه وكل من جلب اللذة لطمعه في جاهه كان
صديقا له داعيا ومحبا الخير اليه مواليا ولسنا نومي الى انه
ينبغي ان يوثر حاله شيئا في استجلاب لذاته ولكن المال يكون
معونة له في ذلك على الجاه لا على المال ونقول الان
في تحصيل الاسرار وفي استخراجها من المناوين واذا عرف المرء
احد هذين البابين حصل له المعرفة في الباب الاخر ولكل طايفة
من اهل الطبقات الثلث نوع من التحصين ونوع من الاستخراج
وما نذكره من الاصول فيها يصلح لكل طايفة منها على مقداره
ومرتبته فاول منافع تحصين الاسرار وكتمانها ان يكون
المرء ابدا قادرا على احالة الراي في تدبيره وعلى انفاذه والامساك
عنه الى ان يتجه له وجه الصواب فيه مادام الامر مكتوما كان

قادرا عليه فاذا ظهر خرج الامر من يده ولم يقدر عليه وفي كتمان
الامر والاراء والتدابير سلامة من الافات ومن افاتها
الاعراض التي تعرض من اذاعتها فتصير موانع من انفاذها
وتعني ذو الراي عن رايه عن طلبه سلوك الاعراض ومنها
دخان حدته وثمرة رايه ونفاذه في جدته وطرايه ومنها
ان الراي اذا ظهر قصد بالمناقضة واذا كان محصنا سلم
من المناقضة ولكل امر نقيض ومنها ان الامر الذي فيه التدبير
والراي لا يفطن له حتى يقع فيه ينبهتهم ويرد عليهم ما لا يحتسبه
واذا ظهر قبل الوقوع قوبل بالتحرز والتحفظ وبطل الراي
والتدبير وتعطل الوقت الذي افنى في احكامه واتم للمرء من المنا وان
يسمع غيره في الراي ثم يرى من رايه ضعفه ان يستودعها ذا النبل
وكبر الهمة وعزة النفس وذوي العقل واللب فان امثالهم
لا يذيعونها وان باشرهم وقت انشاء الراي الامور التي
تستعين بها على احكام ذلك الراي من الاستشارة
والنظر في اخبار المتقدمين والاستماع على الاحاديث
في السياسات اللاتي ينال التدبير الذي يظهر ظهورها
الستر وتستعملها فيضاد ذلك الراي من غير ان يظهر

[illegible]

من نفسه حرصا على استكمال الاضداد فانها ايضا اذا كانت من حرص
متوحد يدل على نفس الامر موضع التهمه وتطلب معرفة الاسرار من
الامور الظاهره والباطنه جميعا اما الامور الظاهره فمما يدوم من
الرئيس من اصناف العزم والعداد العدد واصناف الاهبه للامور التي كان
نهاقبل على التقصير ومن جميع المتفرقات وتفريق المجتمعات
وما يجلد بعض الاحوال الظاهره وايضا من الامساك عن امور كان
ما شده ها قبل ذلك ومن ادنا من كان قاصيا واقصا من كان
دانيا وشدة التطلع للاخبار وحرص زايد في الوقوف على الاحا
المحتاطه ومن التشغط الزايد على ما كان قبل ذلك واما من الامور الباطن
فعن استطلاع احوال البطانه والخدم وعن اسبابهم عما كانوا مستعملين
له واستعمال ما كانوا ممسكين عنه فان البطانه والخدم احرى الى ان يكونوا
حرمته ظهر من خطير امورهم ومواردها ما ستره الرئيس ويطلع
من افواه العجم والصبيان والجهال والنساء والاوباش ممن قلعلوا التمييز
والعقول فانه ليس مع صون مصاحفه والاعتصام من الرزانه
ما يمكنهم التحرز من الافشا للاسرار وايضا فانه يستخرج
من الاسرار كثرة المحادثه فان لكل واحد من الناس من يستانس
به ويلقى اليه جميع احاديثه اوجلها فان اكثر الكلام والمحادثه

فانه لابد من ان ياتي على جل ما في الضماير وايضا فانه ليس كل امر وكل تدبير يكون
موافقه للجميع ممن بحضرة الرئيس او صاحب التدبير وتلك اسباب الظفر بالاعداء
ومما نذكره فنقول ان اول ما يجب ان يستعمل من اراد ان يطلب الظفر بالعدو
على عدوه في كل فضل نذكرها ان كان من اهل الفضل ويتحرى ان يقف
العدو على ذلك ويعلم منه فان ذلك ما يضعف ويخذ نابيته وان يحصي عليه
معايبه حتى لا يترك صغيرا ولا كبيرا الا اظهره واورد ما ظنا من عيوبه الاجمعه
ونشره في الناس والتوسخ في ذلك الصدق ويتجنب الكذب فان
الادب قوه للعدو وان يعرف احبار العدو واخلاقه وشيمه وعاداته
ويقابل كل واحد منها بما يضاده والمجتهد في ذلك في معرفة التجربه والتقلع
من كل واحد ولكل سبب من اسباب نجحه ما يلايمه فان ذلك ملاك الظفر
وهو من انفع اسباب الفضل عليه واصل ذلك كله هو طلب الكلام من من
مكايده بكل ما امكن بزياده على طلب المكاشفه وما ينفع المرء غاية المنفع
هو الادب واصل الادب من ادلة الادب في الظاهر ومن ذلك معرفة العورات
وطلب العثرات وعمده الادب شدة التطلع على ما عند الناس والحرص على
التاعد من ان يعرف الناس ما عند المرء ومنه ايضا ان يقصد الانسان بغير
المقصود ثم يقصد المقصود ومنه ان يبتدئ بالاعطاء من الادنى فالادنى الى الاعلى
فان كان الرضا مع هذه الاعمال من خلاف السخط ومنه ان يحمل الاصعب
فالاصعب ثم الاخف ومنه ان لا يظهر الغضب ولا الرضا بافراط ومن ذلك
ايضا المطل اذا تعقبه النجاح ومنه الصبر الى ان يظفر بالفرصه ومن ذلك ان
يقدم للامر مقدمات يصير توطيه له ومنه ان يلحق الامر بما يشبهه ونحن الان
ذاكرون من القدماء واهل الفضل شيئا يسيرا مما يحولنا به على الحكايات
والنوادر والاشاره في هذا الفن عنا ونعظما فنقول قال افلاطن
الشي الاصغر لكان ينفع فلا تهوه وقال الشي يحسن مثل الطير فلا تفطر انداده المسلم
لكون الهنا انداد او اهنا موقفا لا يحكم فما ان يسمع قول الخصمين ويستيل

والعورة كل ما يستحى من اظهاره من الحرب او غيرها الا ان الخلل سعدى

ظ

الناس
صح

لم يكن عليه ... عنايتكم بالعلم اشد قال لانا كلما ازددنا علما ازددنا معرفة بمنفعة العلم وسئل اي الامور اشبا
اهون بالدوام قال معاداة الجهال وسئل اي شي تقدر كل انسان ان يجود به قال حسن الخلق للناس وسئل
ما الفضل بما سعدي عن المصائب قال اما العقلا فعلمهم بان ذلك ضرورة واما السائر الناس فالتاسي
وسئل اي حسنة لا يحسد عليها واي سيئة لا يقبل احد عليها قال التواضع حسنة لا يحسد عليها والكبر
سيئة ... كل احد وقال اذا تقدم ضمان المرء الشي ثم لم يف به صار كالمستام المحسن وسئل
ما الشي اذا فقده المرء كان دائم البلاء فقال العقل وقال لا تامن من كذب لك ان يكذب عليك وقيل
شتم من الحجاب فشتمك استدعاء للشتم ومن ... شتمك لوم وقيل الادب يزين على الغنى
ويستر فقر الفقير وقيل لحكيم ... من اصنع معروفا قال من ساواه في ساعته وتحب على من
اسدى عليه ان تكون ذكره بين عينيه ابدا وسئل ايما احمد الحياء او الخوف قال الحياء لانه يدل على
العقل والخوف يدل على الجبن وقال ان احببت ان لا تفوتك شهوتك فاشته ما يمكنك وقيل
احسن ما ... من الملوك اتيان البشاشة وتخفيف المونة وقيل افضل ... الرجل
الصديق المخلص وقيل من يرى ... لم يتعلم شيا من يرى من الشره نال العزة ومن يرى
من البخل نال الشرف ومن يرى من الكبر نال الكرامة وقيل لمن لا يعرف المعروف لا تهن
بجيلا وان يستقل وان كان كبيرا وان يترك الامتنان وقيل من يشاغل بالادب
فاقل ما ينتج منه ان لا يستريح للخطا وقيل ... ان يطلع في مراة النفس لاحد يطلب
معها انه يشتري والابلغ من ... الى حد نطق به ... وقيل الحبو ... الاشيا
ما ... اليه ... امامي محبوبه في نفسها وقال ... لما سئل ماذا ينفع الانسان عن اطلاعه
واي شي يعظم قال بان يزداد فضلا ـــــــ وصايا الشيخ ابي النصر

من وصايا العامري وآدابه

من اراد السعادة ان يكون سرور الانسان بما انعم عليه من العقل الصحيح والراي الصريح والكرم
من النفقه ... الخلق والاحجار جلاله ووثق من التمييز والشم الحكمة الخالصة وتابدبه من الاستعلا
روحانيته على عالمي العلو والسفل والاحاطة بما فيهما من التدبير الالهي والنظام الحكمي وكاونيه
من الغبطة ... عقلا ... وجود ان نفسه في زمرة انها شيا غلا لا عوض لا تلذذ بالذهب والفضة
والمسك والعنبر والسناق والغلمان لم يصير هذه الاشيا وتحققه في عبده وحقيقة في نفسه
بحيث تستعد جوهرها لصحبة افاضل الروحانيين ووصايا القديس ان العبد الافضل المختار
العقل الاحسن الا الا وحد الامرين اما ان يحلب به اشرف القنيات لا شرف الاعراض
واما ان يستصلح به اشرف الجواهر لاشرف القنيات والسعادة العظمى اشرف الاغراض
فالافضل من العبيد لا يسعى الا ... وادوم الاعلى ... علم ان الاحد الحق تعالى القدس هو المتفرد
بعلو ذاته وانما يتشوقه فان يتجرد للمحبة بخالص شوقه ويلازم النظر اليه والاعتصام بحبل
بل لا يسكن الا اليه ولا يانس الا به ولا يقوى الا ... غير ... جوهره يتحظ الافعال

به والتقرب اليه عقلا ... لها وحقا محضا له روحا صافيا ونورا الهيا فتطلع ... جميع ما في العالم
الهاما ويعتبط بالاحقوا اعلى ما فيه من الحكم الرابعا وذلك هو الكمال الخصوص بجوهر الانسي بدوه
العاتك افتقار وتمامه استغنا وبدو التوكل استغنا وتمامه افتقار ومن فاز بشرف الملكين
فانه يصير مغتبطا بالعوام متحسنا نفسه ... ~~بشرف الحكمي ... العوالم~~
مغتبطا ... ومتى اقترن احد الفوزين بالاخر فقد كمل بهما التحيزه واستحكمت الامنية
ومتى عاون البعض البعض فعدا سعى الجميع ومتى تقاعد البعض عن البعض فعدا العقر
الجميع ومتى تجاذب الخصمان اعني العقل والطبع شيئا واحدا اعني الملك القبيح او المول الجميل
بحسب غرضيهما اعني الكمال الجسماني والكمال الروحاني وافتقر الى الحكم المنصوب بينهما اعني
القوة المدبرة فعند ذلك يبادر الشيطان الى نصرة الطبع ويبادر الملك الى نصرة العقل
فان كان الحكم شيطاني السوس تابع العقل الطبع واذا كان ملكي السوس تابع الطبع العقل
المعنى ملكي السوس لاحكام الالاهية واعني بالشيطاني السوس الانقياد الى شهواتها طبع النسيع
وان يصير الحكم اعني القوة المدبرة شيطاني السوس فتنقص الحياة دون ان ينفق لها الاراذل من
القربا وان يصير ايضا ملكي السوس فتنقص الحياة دون ان يتفق لها الافاضل من القربا ومداو
الامر فيه ليس بموكول اليه لكنه موكول الى من هو المدبر عليه ـــــــ مراتب الافعال الجوانية
... اولها الافتقارية وهي بمرتبة الفرخ في التربية والصبي في التلقين ثم الاستعانية وهي بمرتبة
الطائر اذا نهض من عشه والصبي بعد التلقين من معلمه ثم الجودية وهي بمرتبة المنزل للغير احتياله
الرشد للغير لمصالحه فالمرتبة الاولى قريبة الحال من الطبع والمرتبة الثانية من الجابة والثالثة
الثالثة هي الاختيارية المطلقة واذا عرف حفظا الافعال الا فينبغي ان يعلم ان المرتبة الافتقارية
تسبب مستصلح للشي بما هي مضطرة الى ان يصلح ذات المطبوع عليها واما المرتبة فهي مصلحة
للواحدة الفرد من المطبوعات واما الجودية فهي المستصلحة للكثير وان كان استصلاح
الواحد الفرد من الناس فاضلا محمودا فاستصلاح العدد الكثير افضل لن يصير النفس الانسانية
مستعدة لنيل السعادة العظمى الا اذا سلمت من اعلالها ونقيت عن اضدادها فان المستو
للاصلاح لا قنا الحكمي والعادم لحكم لا يعود بالسعادة فاما اعلالها فتكون على اربع درجات
اولها الكسل ثم الغباوة ثم القحة ثم الانهماك وعلاج استشعار التقوى والمحافظة على
العادات والنفقة في ابواب البر واما اضدادها فتكون على اربع درجات اولها النزوع
الى الزين ثم العشاوه ثم الخشم وعلاج الادمان على التقوى والتقرب الى الله والتصدق
الدايم حالـــــــ الانسان الكامل لا يجب ان يكون فرضا من احوال
الصبيان والطيش لا يجب ان يكون ذا ... والاداب صداه والرفق الاجمال يكون استعمال
لا يهتمني واستصلاح الواحد ... الملك حيث يوجد الملك وجدا الملك

ولا يمكنني ذلك الا الانسان لا سيرى فان يصير مالكا لما ان يصير ملكا ويفعل الملك حفظ النظم
على خاص حوزتها ويفعل الملك حفظ للمراتب على حاق درجاتها مادة الفعال بحسب التقسيم
على صورة العبودية لان تتبع الاجموع معان اربعة وهي الخوف والرجا والحب والتقى واول
درجات الاقبال على العبودية الاعتقاد بانه لم يعرف مولاه الا رتبة التقربها لا يستغني في شي
من حالاته عنه ثم العرفان بانه كلما كان اخلص له وابعد من الاستبداد دونه كان ادخل
في طلبته من سلم وحشمه وان تقرب العبد الى المولى بحسب العمل بعضه اثا ملك مراتب وهي الطاعة
والعبادة والشكر وان تقرب المولى الى العبد بحسب العمل بعضه الى مراتب مثل الافضال
والتعويض والمثوبة وان البعد الموضوعة عند عدم السعي كما للحضور العرض على ذلك بحث
وهي الامتحان في العبرة والاستدراج اما الشاملين بحسب تسويل الاباطيل لا يتعلق
بالاخطار بالبال فانه عارض لتفاوق ولا الالتجاء الى التشوق فانه حادث طبيعي ولكن يتعلق بالعزم
من جهة اصابة المطلوب اعني التزام ببعوه الى الاقدام عليه لا من جهة الوجه الذي يحذوه الشريعة
بل من اقرب وجوهه على الاجتهاد ثم لا يكون تسويلها له بحسب مرض في رأيه عند نفسه بل بالعلم
انه ارفع محلا من ان يتعلق عليه الآفات المعدة لذوي الردائة ومن يكون تخذيلها للعقوبة
النواقص ثم اذا الافراط يكون عاملا بالضرر على الغير الى النقص فيه يكون عاملا بالضرر على ذاته
والنفس تشكل الى الضرر بذاته يكون ابطل الان الضرر بالغير يكون اشنع ان العبد متى اخلص
لمولاه العبودية فقد حظي بالقرب منه ومتى لازم القرب سعد بوصاله ومتى تمسك بوصاله
وثق بفيض الجود منه ومتى وثق به لم تتهمه الحيلة ولا شكاه في حالاته فاذا المسترشد
لمولاه غير واثق بفيض جوده وغير الواثق ليس بسعدله ولا مستعد لوصاله وغير المستعد
لوصاله لا يدوم على التزلف لديه وغير الدائم على التزلف اليه لا يخلص العبودية له وغير المخلص
للعبودية لا يقلع عن الذنب المألوف والمقترف للذنب معرض لكل افة وهدف لكل ملمة
والمرة المستجدة ومن يوصف بالنقص بحسب ما نعوه من كل احد ومن لها الكثرة ولم يوصف بالكمال
الاسلامية المجموع ممن الارائي يسكن في هذا العالم فليتقرب الى رب العالم بملازمه الخدمة
وليتمسك بخلقه لسنن الشرائع ودينه فان الشريعة هي المقومة للخلق على حسن الخدمة
وان العبد متى عرف مولاه وانه سبب تام لكل تام ثم عرف انفاقه وما افاض
عليه من صنوف الاحسان افضاله فقد لزم الحمد ادائه وشكره لا على صورة الطمع
في مكافاته بل بحسب المعرفة لكل صفة وان الناس صنف على احكام مولاته ليتحرم مراتهم
عهد لسيصفيهم عن شوائب غرورهم و … الى الخاص كما لهم وليخلصهم من مكائد
اعدائهم لن تسعد بالعيش الفاضل الا اذا … مستكفا من ان يكون سكونه الى الامال
الممهدة والمجد المؤثل اقوى من سكونه الى … ومن يتل المجد لا يشتاق

في مصارعه الالية والسيرية احواله الا انا القرار لديه وان يعتقد ان كل خير احاط به فهو منه
فهي دونه ومنه وخلاف وكل حسن يكون لمعزل عنه فهو فضل وجلاله فيكون قد اتقى بنفسه
مولاه مسيح العالم والصال من له الخلق والامر على كافة من سواه فلا يهتم للملك الادون
الملك الاعلى احد وجهين اما الرافة والرحمة واما التمسك الطاعة السياسة صنفان
وعوارضهما اثنان ولوازمهما اثنان فاحد صنفي السياسة هو الامامة وعرضها
تكميل الخلق ولازمها نيل السعادة واما الصنف الاخر فالتغلب وعرضه
استعباد الخليقة ولازمه الشقاء والمذمة ومتى الزم السائس نفسه التمسك بالسيرة
وجعل بغيته اصطفاء فالحق الواجب ان يملأ مدحه بالخيرات العامة كالسلامة
والتوادد والامنة والعدل والعفاف ومتى جعل نفسه عبد الشهوة وجعل بغيته
هو المطلق الواجب … مدحه بالشرور العامة كالعذر والخيانة والعسف
والرعونة والتسخط والسخا فاما ان الذي عدل الحب الا العول وطاعر الحب
الاباطل هو وكل مسرح جار وقد فسق فقد عاند مولاته وصارعه عادى من يسلب الرقا والجود
وخدمه النفاد والمحن وشرق بالمقت والمذلة واستوجب الهوان والخسارة
ولما كان قوام الجوهر الانسي متعلقا بانتظام العالمين في الروح ثم كانت النفس بمثابة
السنخ ولهذا تشتاق عند صفوتها بالحكم الحقيقية والاعمال الصالحة الى العالم العلوي
وكان العالم ارضي السنخ ولهذا ما تشتاق عند تكدره بالجهالة المغوية والاعمال
السيئة الى العالم السفلي فاذا يجب علينا ان نلتزم ما هو خير مطلق لتصلح به النفس
لما هو مشوقها ونحترز عما هو شر مطلق لئلا ينجذب به العالم الى ما هو مشوقه وان نعلم
ان التزامنا الحالة الاولى هو العزة الاصلية وان التزامنا الحالة الثانية هو المذلة الابدية
ان النفس لها الطلبة والبدن بمنزلة المطية وقائدها نحو الخير رفع الهمة وعلفها الاعمال
بالعزم الصحيح نحو الغاية وآفتها استبدادها الجهة من اجل التلون في الاراء وسعادتها
الميل الى الراحة واللذة ونجحها استخلاص الجوهر من شوائب الكدورة وتصقيلها
ان توافق العقل والحكمة وتخالف الهوى والشهوة وشينها ان تصادر بالسهو والغفلة
… من الخول والوهن ونستنتج علمها جمع الهمة على تقوية العزيمة … كما ان
تطلع على الخير بعين البصيرة وتمام غرضها الفوز بالسعادة في الدنيا والاخرة
اصابة درجة الاعتدال اعني صورة العدالة المطلقة تحصل
للانسان بسلب عادات … النفس ورياضة البدن وتدبير الملك فاما
تزكية النفس فتصلح بالعفو … العدالة واما رياضة البدن فمتعلقة
بالعلاوة والصبر والثقة … وانما تدبير الملك فمتعلق بالادب

والاكتفاء بهو وادب التمسر وادب الانفاق وقد تقال ان مهمنا سفاه العمر ومن معاشرة
الاخوان ومدارها على الطلاقة والاحتمال والتلطف والاكرام فصل القوة
الشهوية انما يقع من الانسان بحسب حدوث نفسه وربما يقع الاختلاف لاشتهاء
نقلتها لخاصة الكادر وفصل القوة الغضبية انما يقع بحسب دفع المولم
من نفسه وربما يقع الاندفاع عن مولمه نقلتها لخاصة النفور والعدو ومتى
افرطت القوة الشهوية في حصول الشي عرض منه الاضرار بالغير ويكون ردعها
بحصول فوت العز الذي هو اشهى الهامة فتحصل لحاق موذ ومكدر ذاتها
ومتى افرطت القوة الغضبية في دفع الشي عرض منه الاضرار بالغير ويكون ردعها
بحصول موذ آخر اشد الاما منه واما فوت مشتهى يستهل بلوغها كان العقل
الصريح لا يسكن الى عرفان المبداء القريب من الشي دون ان يعرف المبادي الاول
على الاطلاق وما بين المبداء ومن توسط كذا النفس القويمة لا تهداء
في عرفان الغرض القريب من الشي حتى يعرف الغرض البعيد على الاطلاق وما بين
الغرضين من المطالب الوسايط وحسب الانسان من كمال ذاته ان يلاحظ
السعادة المطلقة ويتوجه لها بتجرد القصد لها ويكون صادق الرغبة الى الله عز وجل
في ان يجعله من الفائزين بها فاما انا من العوارض الشاغلة عنها وهو دوهكل
جسماني يدور عليه الفلك فليس لاحد مطمع اصلا ان الاشتهاء نوم من الانسان
بالانسان تلحق النفس شبيها بالذبول ومهما استقام عاد الى حالتها الاولى
وان استحكام الغضب سبب لمصير النفس ابية واستحكام النجدة سبب لمصير النفس
عليه وان مجموعهما سبب لمصير النفس مستعدة لقبول الحكمة وتجريد السعي
لاصابة اللذة لسلع معنى فان اكتساب الفضيلة سهو دون التشاغل بها لا محالة
وتجريد السعي لدفع الالم له معنى فان افراط الالم مدهشة للعقل في
تجرع اللذة تعب عظيم فلا اصابة الاعلى احسن منه واحتج اليه
العفيف العادل مغبوط على الاطلاق والشره
الجاير مرحوم على الاطلاق فان اصل الغبط هو الامن والكرامة والعفيف
العادل قد حازهما والشره الجاير قد حرمهما فان المحسن بما تعاطاه
من الافعال الجميلة يفوز بالكرامة وبما يرتبط الاذل وذلك حظوة اشرف
من حظوة الملك والشرير بما تعاطاه من الافعال الذميمة يشتمل بالاهانة

لعنه للايث الابدي وبلحالة اخس من حال العبودية فكل من اكرم الشهوة الغالب
وقرظه فهو يفعل ذلك تحذرا من شره والاهم سن فهين حصول المحبة
على مصير المتحابين بها وخلوص المحبة على المصير المتحابين واحدا فاذا بلغ
التحابب على الاجتماع وتمام التحابب على الاتحاد وصاحب النجدة لا يتم له القوة الا بالاعقاد
الاصدقاء وصاحب المشورة لا يتم له الروية الا بالاعتقاد الاصدقاء وكل ذلك يطالب التحابب
من خاصية الاتحاد لسبب [illegible] الحقيقة من علامة المدح فان
الصبي قد يمدح والامر علامة العطية فان الكلب قد يعطى والامر علامة النجاح ضع
فان الفاتك لا يخاضع ولا الزبرج علامة المراة فان المراة قد تزين لكنها تعلو
بحسانة ما تقتضيه الشرف الادبي هو الحكمة والعدالة فاما الثروة والرياسة
فمن رويعتنا على موجب الشريعة بل انما هي الاجنحة المرقية بالنفس الكريمة الى
الدرجات الحقيقية وهي الحكمة والعدالة فاذا العادل لما هو الكاسب لذاته زينة غالبة
لا تفارقه ابدا وليس العدل المتكرم الضاهو الجميل ولا الصحيح ولا القوي لكن المستعمل
كالروح حيث تكون على ما يقبله الامة واللامة وهو معطي الشريعة ومن تعهد الصلحاء
بالمصافاة والاكفا بالمكارمة وذوي التفضل بالمعرفة وذوي الاعتراف بالرافة والجيران
بالرفق والاقربا بالمواساة والمصاحبين بالمساعدة والرؤساء بالتوسط والملوك بالطاعة
والمعتشين بالاصلاح وذا الرحم بحسن التفقد فقد استحق المحبة ومن تعاهد الاعداء بالاذى
وذوي الاعتمال بالمناقضة وذوي الحسد بالغابطة وذوي الشرف بالملاحسة وذوي السفه
بالحلم والاغضاء وذوي المواثبة بالوقار وذوي المشاتمة بالاستحقار وذوي الدغل
بالاحتراس فقد استفاد الامنة ولا يوصف الانسان بحسن العدالة المطلق الا بالجمع
من الخصلتين واستحكام اللاحمة بها واستيلا المراد عليها ان المساعدة من ترك الخلاف
على المعاشرين بالنطق اشرا لا انه لذة والمخالطة والتشاكس هي الاعتياض
على المعاشرين بالنطق يعتمد التحالف وعليهم شرايط الانس والتملق هو التحبب
الى المعاشرين مع التغافل عما يلحق من شناي الاخفاق [illegible] والحب هو انجذاب
النفس الى الاتحاد بالشي المرغوب فيه والبغض هو تفار النفس عن الاتحاد بالشي
غير المرغوب فيه والسرور رضوان النفس بما يتجدد من اللذات والخوف
هو الم نفساني يعارض الفرق المحبوب والحيا الم نفساني يعارض النفس
من عار النقيصة الخجل هو حصر النفس لاستيلا الحيا عليها بالافراط
النجاح هو التمادي في العار المحذور عنه والاقتصار في النفس في تعاطي

ما يلزم تطلبه من الافعال والاثار فهو استصغار النفس بالترفع عن الانقياد للواجد
والحسد فهو الاغتمام بالخيرات التي تصل للاخيار على طريق الاستحقاق والفرح بوصول النعم
لخيرات تصل للاشرار لعلى طريق الاستحقاق **فصل** كما ان قوام
البدن الطبيعي بقوام الطبيعة بالنفس وقوام النفس بالعقل كذلك قوام المدن بالملك وقوام الملك
بالشريعة وقوام الشريعة بالحكمة لانها تصدر عن الحكيم العليم فمتى ظهرت الفاحشة في المدينة فارقها
الحكيم ومتى فارقها الحكيم خذلت الشريعة ومتى خذلت الشريعة زالت زينة الملك ومتى
زالت زينة الملك حقت القضية بعلام المروة وعثرت بذي النعم عواثر النقم وتعيس فكر
للملك البالغ في حراسة الملك من قوة الجند والجهل في اساس الامر بصيرته فيها وفي
كل امر والجهل في اواخره بمصيره متضرية على الشيء المجهول **معرفة**
الانسان بنفسه عند الحكيم لان كل انسان لفرط محبته لنفسه يغلط فيها فيحسبها اكثر
ما هي عليه مودته ذلك لولا العجب والعجب يودي الى الخبال والجهل يتلف النفس
ولا يرحم صاحبه في لذة الحكيم بجامع المدح ولهذا يحرص على اخفائها وفي لذة الشهوة
بجامع الذم ولهذا يحرص على كتمانها والمؤثر للحكمة الاخص بجاه وان جلت والالذة
وان قويت فانها اشرف لمن يراد الله تعالى والاجر من اكبر انه النقصان **باب**
السعادة كانت اعلى درجة الحكمة هو العلم المطلق هو النهاية في الحكمة وكما كانت
الاوقات اكثر فهو الى الاعدام اعرق والى الحكمة المطلقة اقرب الا ان العاقل متى تحقق
نقائصه وتجمع بازدحام اوجهها عليه واعتم باعتياض الكمال على ذاته فقد استحق ط
مدركه كلاوا واستوجب بهذا الكمال ثوابا ما ومن جعل همومه همها واحدا كفاه الله سائر
الهموم ومن ترك همومه تتشعب في كل واد لم يبال الله به ولم يحفل باتها هلك ولو لم يقع
من النفس والغالب بحسب قوى العقل والطبع في الجبلة وذاتي لما انطلق
على الانسان شيء من الامر والنهي الالهي وبطل ان يكون مستوجبا للثواب
الا انهم ان الاخلاق هو ماخوذون بتحسين الاخلاق والسوء مواخذون
بتكميل الفضائل واحدى الحالتين مدرجة الى الاخرى وهذا بحسب
القوة العملية ثم ان الاخلاف يواخذون بطريق التعليم والسوء يطالبون
بطريق التحقيق واحدى الحالتين مدرجة الى الاخرى وهذا بحسب القوة العلمية
والحكمة ان كتمان وان اظهار فلا يعطى في الكتمان لاظهارها ولا بيان
الاظهار لكتمانها وهي يتعصر اصلهم في حينه كما يتقدم في حينه

ويضعهم عند غير المستحقين لها كما ان منعهم عند المستحقين لها ومن كان من جنسه
وزيادته لغاية جودة بالغ يعف لم يبذر منه عن الحسد اصلا وذلك لعلمه بان
واحداعم احاله متى صدر عن حسد لم تصنه جودة البواقي عن السنة والعار
بل يصير شنيع الذم واقع في اعين الناظرين فتنبو الاجلاء بسمعه وتحط جميع ما
عمله **مصالح** الفلاحين هو النعم وفي الاعمال ومصالح التجار
هو النعم وفي الاعمال ومصالح الملوك هو التعاون بالاراء السياسية
ومصالح الاهل هو التعاون بالحكم الخصيصة ثم هم جميعا متعاونون
على عمارة المدن بالخزائن والعقل بل وكان اللوازم الا ما خلف الاخ
نول عليه والعدل الاوضح من الانقياد ما يمكن منهم كذلك ايضا لا يصلح للرياسة
الا الا حض باعبائها وهو الاكثر في الفضائل الخمس يعني العفة والنجدة والحرية
والعدالة والحكمة كما ان العنان يكبح الفرس الجموح الى ما يريد من يحب فضلها ح
كذا الشريعة تكبح العاتي المختلط الى ما يريد الحكيم من يحب فضلها وكما ان
الملك الارضي الاختلاط الى ما يريد حرمه وضعفه حاشيته والعالم ظ
الكامل لا يرضى بالاختلاط الى ما يريد اصاغر تلامذته كذا العقلاء
لا يرضى بالاختلاط الى ما يريد طبعه خاصة **من** تشبه بحبار الناس
فقد ازداد عند شرارهم نفاقا ومن تشبه بشرارهم فقد ازداد عند حبارهم
كسادا والنماس الراحة بالراحة يورث طول النصب والافراط الانسان في
محبة ذاته مدعاة للاذى من الخصال وهو العجب والمرء وتارك ف
اللذات راسا بالحركة الى نوعها بالافتقار **العقوة التمييزية** كلما كانت اوفى
نشطا من التمييز والفهم للانسان والشوق كان اسلس قيادا للعقل ومهما
لحقها السوداء فانه يشتبهها الى العقل الضد مضاهية لنسبة الاعضاء المفلوجة
الى البدن القوي فكما انها متى حركت نحو اليمين تحركت نحو الشمال لما عرض
لها من الافة الجسمانية كذا حال الشره والظلوم والمتهور والجبان
في تحريك هذه القوى منهم على خلاف ما توجبه العقل بالاختلاف
من المتحركين الحركتين الا ان احدهما الحسن والاخر الاحسن **مفتاح السعي**
في تحصيل الاسعاد هو التعرف للنفس التي هي ادوك

والسيرة التي هي اشق للنفس احدهما الى الاخرى وتؤثر منهما الاعلى ومتى الفاهما
من التساوي بحيث يقصر عقلها عن اثبات الحكم فيها التجأ الى الشرع في
الاهم والاشق في امرهما بالعقل الجزئي ومن احب ان يعيش عيش المتلذذين
على الاطلاق فهو مفتقر في اختيار السيرة الى ابتر احدى الحالات
وكل من جهل امره الحاجة فهو اما عادم التأدب واما متحلل العزيمة
ان للسلوك درجات ستا اولها الخوف ثم الرجاء ثم الشوق ثم الحب ثم الاتصال
ثم الاتحاد وللخذلان درجات ستا اولها الزيغ ثم الرين ثم الغشاوة
ثم الطبع ثم الغلاف ثم القفل وللقبول ست درجات اولها الارتضاء ثم
التقريب ثم الاجتباء ثم الاصطفاء ثم الاستخلاص ثم الرفع بالاجلال وللرد
درجات ست اولها الحظ ثم القطع ثم الابعاد ثم الطرد ثم الحجب ثم الطرح
بالاهلاك والايمان هو اذعان النفس للحق على سبيل التصديق له بالقلب ومتى
صار ملكة فانه يسوقه الى العمل بما يوافق الحق ومن حرص على الاحتجاج الكمه
بدل الاحتياج اليه فانه تكلف ما لا يخلق له واسقط ما خلق له والغبن الكثير
من يستفرغ ايامه لما لم يخلق له والمغبوط من كثر الاهتمام بما يشغل عن
الخير المطلق والالحاد هو العدول عن الحق اما باللجاج والمعاندة واما بالعادة
والاقتداء بالغواة من الجمهور واما بالقصور عن النظر والتفاضل وطرح العاقل
ويكل ... نظر لنفسه ان كان الانفعال الجسمانية كالشهوة والغضب
والخوف والحزن ابلغ شاغل للعقل وكان الاعضاء لم تخلق لم الخلق والاجرام
من الحول والقوى ابلغ ما يتقوى به العقل وكان الفراغة والملال في تعويذه
الى ... من ... قوة العقل فبالحري ان يكون الاعتدال الخالص
حصن حصينا من ... المتقدم ... كل علم
على معالجة ... اذا مرض ... اذا ابرقلس ... العالم
ولغرض العالم الا من شر اجلهما الملك الفلكي والاخر التي ...
فاما الملك الفلكي فهو ... النفوس البشرية ... وعلاج اشر
الانفس الاقبال على الله والتمسك بدينه ... العالم ... مرضه
فقد صارت الولاية للقوة التدبيرية فاستحقت الانفس الفضيلة الحقيقية

من النفس بشرف الحكمة ثم شاهد جماعة يستوى فيها من اهلها اغبط عيشا في هذه الدنيا
ممن هو من اهلها فقد اضطره الرأي الى ان يصرف الشرف للغبطة في الدار الاخرة
ثم اذا كره الموت الذي هو المعبر الى نيل تلك الغبطة فكانه كره الربح التي لاجلها حرص
على اقتناء الحكمة وخصوصا اذا علم ان نعيم الدنيا اعني المال والرياسة والاتباع والحاشية
سوف ينقل عنها وانه جدير ان يرفض عاقبة ما يعوقه عن اقتنائها وان نعيم جسده
مقام الشعر الذي فيه يقابل النفس القوية اعلاقها المعتبرة كالحرص والشهوة والغضب
وغيرها العوز عند الظفر عليها بالكنوز والكرامات المعتبة لها وان يعلم انه لا شيء
له انفع من صيانة النفس عن هذه الآفات وان الحكمة في ذاتها عاجل الموت
آجلا للمشوبة وانه لا شيء اسرع الى الفساد من عقل المعشي بها وذلك لفرط لطافتها
ودوام صفاتها على انه لو لم يكن في اقتناء الحكمة الا اكتساب اسمها الشريف على الابد
والا التعفف من عار الجهالة وشين الغفلة للزم العاقل ان يتمسك بها ويقتصر شغله
على استيفاء الحظ منها فكيف وقد علم انها مفضية بارباها الى الخلود ودافعة
عن نفوسهم روعة الهلاك وجاعلة هومهم كلها هما واحدا وهو به لجواهرهم
الى ... الانسان استكمالان طبيعي ونطقي واما الاستكمال الطبيعي
فيستقصي به طبعه واما الكمال النطقي فليس يغوره الا من صدقت عنايته بنفسه
معاناة الامور المختارة بالذات علما وعملا ولهذا قيل ليس وجود الكمال المطلق
للانسان الحاصل بالفعل ليس يمتنع لحصول اما بها بل ممكنا مع ... انفعالها
وانفعالاتها ولذلك شبهوا الكمال الطبيعي بالصورة الحيوانية في الاعتدال والمزاج
وشبهوا الكمال النطقي بصورتها في النضج البرز بل كلاهما جوهرا في الكمال النطقي
الصورة وخارج حسب احساس البيضة الى الحاضن ... بحو الكمال الاخير
الولادة كل ما اشعر كل واحد من البشر في عنفوان نشوه وابتدا جبلته
الى ... بالعناية الصادقة عليه ... بالتدرج عن حالته الطبيعية
الى كماله النطقي اعني ... الى ... جوهره عن معدن وخارج ... عند ذلك
... الى ... الحقيقية لا بالصورة
المحسوسة ولهذا ما قيل ان لا اخرج عن ... ان لا حيوة
... لحيوة وعلام ... لا باخذ ما ... من الحركات

الخارجة على القصد الاول والكفاية حسب ما احق الحيوانات الاخر بل يشرف على النفس
بحذب فلا يستغني عنه وتجنى على غيره فيمنع فلا يحتاج اليه اتباعا للشهوات الفاسدة والظنون
الكاذبة فيتربك بطول عمره في الالام والحسرات ومن هاهنا نعلم ان الكمال الطبيعي
قد يستفيده الانسان بالفطرة والغريزة فاما حسب ما كان الفعل واقعا في ذلك
القسم فكان الكمال الانسي بمجموعها وكذا مراتب السعادة التي هي الكمال المطلق ايضا
منقسمة قسمين احدهما غايته النطق العملي وهو الكمال الانساني ويسمى سعادة
وحدها فعل النفس بفضيلة كاملة خلقية والاخرى غايته النطق النظري وهو الكمال
الروحاني ويسمى سعادة قصوى وحدها فعل النفس بفضيلة كاملة حكمية وبالكمال الانساني
وهو الاول يسمى الرجل معتدلا ظريفا وبالكمال الروحاني وهو الثاني يسمى الرجل عالما فلا
حكيما علما ان العمل لا شرف الا بالعلم ما عدا ان علم قد يقع في حيد التسليم للاراء المحمودة
اولا وبالتجارب والاختبارات ثانيا على ان العلم التجربي لا يكاد يصفو الا لمن ابتلي بالمصائب
بل لا يصح الحكم بما يباشره منه الا باكتساب الهيئات الفاضلة بالعادات
الحسنة وذاك ان من كان ذا دينار واحد لم يصلح للاختبار المحمود اصلا لانه يظن لاجلها
ان ما ليس بها فضل هو الافضل او يؤثرا نوع الجميل او اللائق على الخير فاذا كان هذه
حال ذي دينار واحد فما ظنك بالذي امتلاء بالرذائل علما ان العلم المطلق ايضا ليس
مما يصفو لاحد من غير عمل فان من لم يجتهد في سعيه لطلب الحكمة ولم يستصحب
منه لديه ولم ياخذ الخيرات النافعة التي يستعين بها على السلوك نحوها ولم يتوخ
ان يكون اصابته لها على سبيل الهوى والمفاخرة بل على سبيل الترقي نحو الفضيلة
يقتسم اوقاته ويشغب حالاته كلها اجمعها ولم يكن للبحث عنه واحد متى
مقصود اته بل غاية احد الخيرات العرضية كالمال او الرياسة او اللذة او الراحة
دون الخير المحض الذي هو اول الامور بغض الاحاطة باشرف المعلومات
لئن بما يتفقن منها احق اللذات بالطلب الالذ منها وليس يعرفها الا
من ذاق جميعها وعرفها في جميعها فقد ذاق لا محالة لذة الحكمة وليس يذوقها
غير محب الحكمة فاذا الفيلسوف الله قد يطعم جميع اللذات بفضل التجربة
والعقل ان لذات الابدان موقتة الى الاحزان لا سيما عند الخلط بالافراط
والتفريط ولذات الشراب حالته التي تسيد وتغضبه الاقران ولا سيما عند
تعذر الغلبة وقبح الامر بالضد فانها تجلب الشبهة ثم يوهم الاصدقاء فاما
لان الحكم فيها صافية خفيفة يستتبع لسائر اللذات اذ هي باجمعها بهذه اللذة كالفقد

من الشعور وجدة اللذة الواحدة هي اللذة الخاصة بجوهر الانسان بما هو انسان
بل بما هو حيوان فكل لذة لم يكن خلوصها الا من حيث هو انسان فليس بعد العمر
المصروف اليها عمرا مختارا لذاته بل هو مختاره لغيره ومن قطع عمره عن ذات نفسه
فقد مات حقيقة الانسانية وقد خلصت عيشته الخاصة الحيوانية ومن رضي لنفسه
بمثل هذه الحال فقد صار ظالما لها الا انه يستنفد جوهرا خلقه الله لاشرف الاغراض
لاجلها وبعلم من نفسه انه ليس بمستاهل للاحسان اليها وهذه هي الشقاوة التامة
والسعادة اذا ما... هذه الحالة فالسعيد اذا من عرف جوهره وعرف كماله الاخير
وصرف سعيه الى تحصيله فيصح ملتذ الجوهر معتبطا بما اوتيه من تصيلة دائم شعوفا
بما ناله من الكمال الذي من له الخلق والامر والظفر ببقاء الابد وليس يظفر بهذه المرتبة الا
من تيقن ان لا راحة لمن يحب الراحة ولا لذة لمن انهمك في اللذة ولا امنا لمن اولع
بالثروة ولا عتق لمن يتذلل في طلب الرياسة ولا ملك لمن كان عبد الشهوة والاشرف
لمن صار آلة للفرج والبطن ولم يبلغ التمام من لم يكن سيره على نظام فالحافظ
احذركل الحذر ان يخدعك الشيطان عن الحزم فتمثل لك التواني في صورة التوكل
ويسلك بك الحزن بالحالة على القدر فان الله تعالى انما امرنا بالتوكل عند انقطاع الحيل
والتسليم للقضاء بعد الاعذار وانت تجد ذلك عيانا في الكتب المنزلة وسير
الرسل عليهم السلام من كلام العامري مراتب التعرف للذات بحسب المبادى
اربع مراتب وهي ان يعرف ما هو مفرح اربابه ومما ذا يجري به وكيف كان محبته
ما تعرف الذات بحسب الغاية فهو ايضا اربع مراتب وهو ان يعرف لماذا
وكيف السبيل وما الذي يحتاج اليه في التوجه نحوه وما الذي يعوقه عن بلوغه من
من العقل الصحيح والتمييز من الحسن والقبيح ثم السكون الى الحسن والنفور
عن القبيح الا ان الشيء متى كان مفرطا في الحسن فانه يبهر العقل الحركي فلا يحتاج
الى التدريج الذي لم التمرين عليه لن ينفع بساقة الشيء الى الكمال اذا لم يحفظ عليه
ولن ينفع ما يحفظ عليه اذا لم يحفظ ذاته بنفسه بحفظ لطاعته على الخصم كله
ما لم يصر آمنا من طريان الآفة المعتبرة له عنه ولن ينفع ما لا منه للعقل
اذا لم يكن للعقل الكامل ابديا على الاطلاق

والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد واله

قال الحكيم العلوانى

تفريق الاهوا تحيّر العقول وتحيير العقول مضر
لليقين وضرر بالنفس ووهن فى الاختيار والوهن
فى الاختيار ابطاء العمل والابطاء فى العمل يورث
الكسل ونتيجة الكسل اضاعة الاستعداد واضاعة
الاستعداد يشكر بالمعاد والمضر بالمعاد
شقاوة الآباد

لابي على السينا رحمه الله

بيني وبينك في المودة نسبة
مستورة عن عين هذا العالم
حتى الكرامة قارنت ارواحنا
من قبل خلق الله طينة آدم